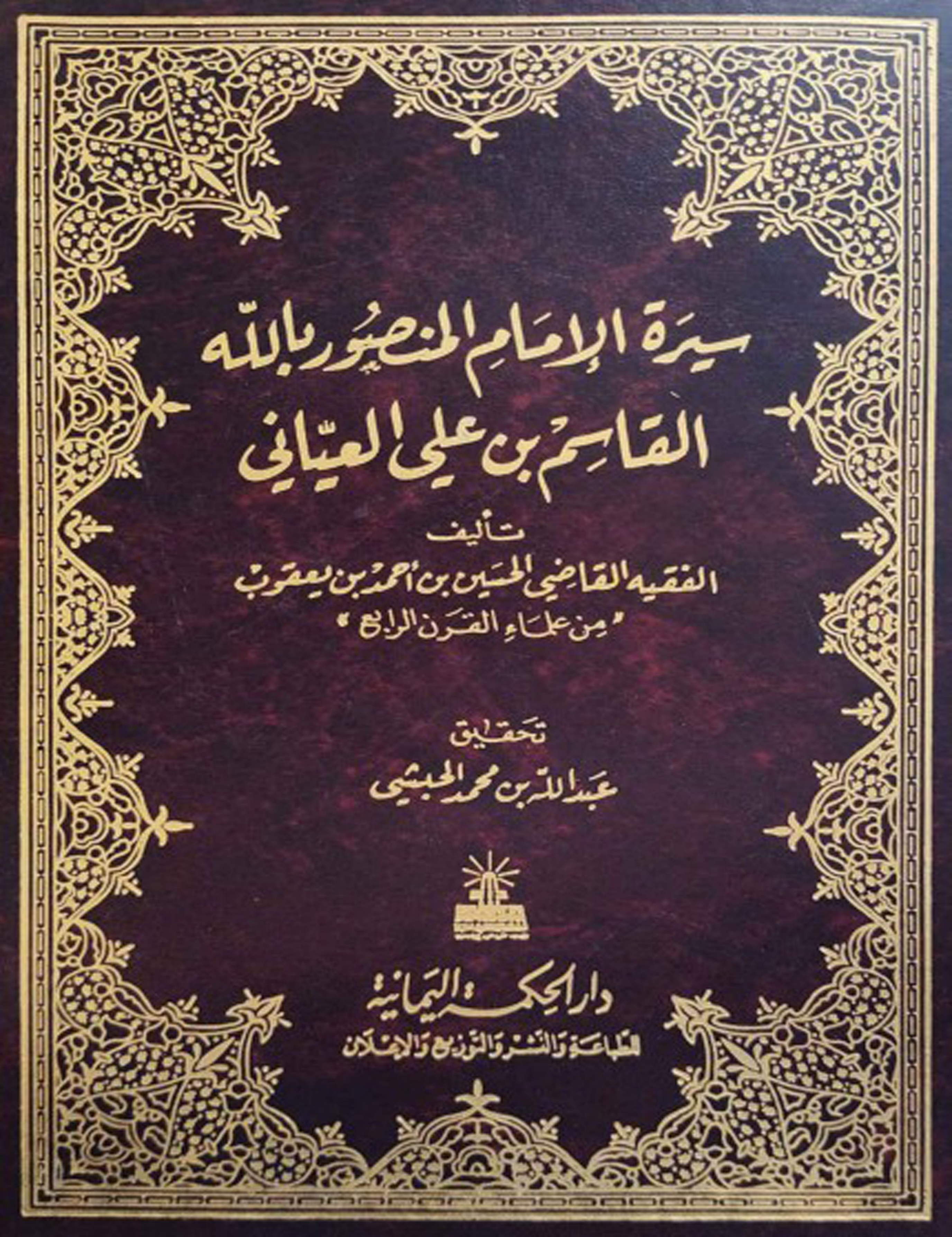

سيرة الإمام المنصور بالله
القاسم بن علي العياني
تأليف
الفقيه القاضي الحسين بن أحمد بن يعقوب
"من علماء القرن الرابع"
تحقيق
عبد الله بن محمد الحبشي
دار الحكمة اليمانية
للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان

سيرة الإمام المنصور بالله
القاسم بن علي العيّاني

تأليف

الفقيه القاضي الحسين بن أحمد بن يعقوب

« من علماء القرن الرابع »

تحقيق

عبد الله بن محمد الحبشي



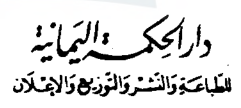
دار الحكمة اليمانية

للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان

الطبعة الأولى

١٤١٧هـ - ١٩٩٦م





ج. ي - صنعاء
شارع القصر الجمهوري
هاتف: ٢٧٢٤٧٤ - ٧٣٥٨٤
ص.ب. ١١٠٤١ - برقياً: حكمة
س.ت. ٣٠٨٠٣ - ٢١ فاكس: ٢٧٢٤٣٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلَّم.

يعتبر كتاب سيرة الإمام المنصور بالله القاسم بن علي العياني ثالث ثلاثة من كتب السيرة التي ألّفها أهل اليمن في سير الأئمة الزيديين خلال القرنين الثالث والرابع. وهو يعتبر أقدم مصدر وصلنا في هذا الموضوع بعد سيرتي الإمام الهادي إلى الحق يحيىٰ بن الحسين لمعاصره المؤرخ علي بن محمد بن عبيد الله العلوي «القرن الثالث» وسيرة الإمام الناصر لله أحمد بن الإمام الهادي للمؤرخ عبدالله بن عمر الهمداني «القرن الرابع» وقد فقد هذا الكتاب إلَّا أن المؤرخ اليمني الكبير مسلم اللحجي «القرن السادس» قد احتفظ لنا بنبذة كبيرة منه ضمنها كتابه التاريخ وقد نشر هذا القسم المستشرق ماديلونغ سنة ١٩٩٠م.

ثم يأتي كتابنا هذا في الدرجة الثالثة من مجموعة تلك السير التاريخية الهامة وهو لمؤرخ معاصر للإمام القاسم بن علي العياني ومن أنصاره الذين ساندوه في حروبه ووقعاته منذ وصوله إلى اليمن قادماً من الحجاز حتى وفاته. ومن هنا تأتي أهمية هذا المصدر وقيمته بالنسبة للتاريخ اليمني خاصة والتاريخ الإسلامي عامة.

على أن عمل هؤلاء المؤرخين اليمنيين الثلاثة بما حمله من بناء

متكامل في هذه الصنعة ومناهجها قد سنّ لأهل اليمن فَنّاً قائماً بذاته تميّز به تراث هذه البلاد وحده من دون سائر تراث أهل البلدان الإسلامية الأخرى.

ونحن إذا رجعنا إلى أقدم أثر عند أهل الأمصار من غير البلاد اليمنية في هذا الموضوع نجده قد تمثل في أعمال الرعيل الأول من المؤلفين القدامى أمثال الواقدي «المتوفى سنة ٢٠٧ هـ» له سيرة أبي بكر، والعياشي المتوفى سنة ٣٢٠ هـ له سيرة عمر وسيرة عثمان، والهيثم بن عدي المتوفى سنة ٢٠٦ هـ له أخبار الحسن بن علي وغيرهم. وهذه الكتب قديمة ومفقودة لا نستطيع تبيّن معالمها التاريخية، على أن هذا الفن كاد أن ينقرض بعد تكون الحكومات والدُّويلات في العراق ومصر والشام وما بقي من هذا الموضوع نجده في أعمال قليلة نادرة لا تتناسب مع ضخامة الحدث من حيث الرقعة الجغرافية والازدهار العلمي الذي شهدته الحضارة الإسلامية في تلك الأصقاع. وبنظرة فاحصة في كتاب الإمام السخاوي القيم «الإعلان بالتوبيخ» حول موضوع السير تلك يتبين لنا أن ما أنتجه المؤرخون في هذا الموضوع قليل جداً كما أشرنا فيما سبق، فهو يذكر من ذلك مثلاً كتاب سيرة ابن طولون لابن زولاق «المتوفى سنة ٣٨٧ هـ» وسيرة الإخشيد ليوسف بن أيوب وسيرة الظاهر بيبرس لابن شداد وابن عبد الظاهر وسيرة الظاهر برقوق لابن دقماق المتوفى سنة ٨٠٩ هـ وسيرة المؤيد للعيني «المتوفى سنة ٨٥٥ هـ» وسيرة عماد الدين زنكي لابن قاضي شهبة «المتوفى سنة ٨٥١ هـ» وهذا شيء يسير بالنسبة لما كتبه أهل اليمن في هذا المجال وقد استقصيناه في كتابنا مصادر الفكر الإسلامي إلى ما يزيد على نحو خمسين سيرة.

ففي القرن الخامس بعد ظهور كتابنا هذا «سيرة الإمام المنصور» جاء المؤرخ مفرج بن أحمد الربعي ليكتب سيرة شاملة لحفيدي الإمام القاسم بن علي العياني محمد والقاسم ابني جعفر بن الإمام القاسم بن علي العياني. وهذه السيرة قام بتحقيقها ونشرها الأستاذ الدكتور رضوان السيد.

وفي القرن السادس: سيرة المتوكل على الله أحمد بن سليمان

المتوفى سنة ٥٦٦ هـ للمؤرخ سليمان بن يحيىٰ الثقفي. وهذه السيرة عثرنا على قطعة كبيرة منها ونقوم الآن بنشرها.

وفي القرن السابع، جنَّد الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة المتوفى سنة ٦١٤هـ جماعة كبيرة من المؤرخين لكتابة سيرته منهم علي بن نشوان الحميري وأبو فراس فاضل بن عباس بن دغثم ومحمد بن أحمد الأنف المتوفى سنة ٦٢٣ هـ وغيرهم. وفي هذا القرن ظهر الإمام المهدي أحمد بن الحسين بن القاسم المتوفى سنة ٦٥٦ هـ فكتب سيرته يحيىٰ بن أبي القاسم الحمزي في مجلد ضخم منه عدة نسخ مخطوطة ويقوم أحد الطلبة في فرنسا بإعداد دراسة حولها.

القرن الثامن: سيرة المهدي علي بن محمد المتوفى سنة ٧٧٣ هـ للعلّامة الحسن بن عبد الله الدواري المتوفى سنة ٨٠٠ هـ وسيرة الإمام المهدي محمد بن المطهر للناصر بن أحمد بن المطهر المتوفى سنة ٨٠٢ هـ.

القرن التاسع: ظهر فيه جماعة من المؤرخين والعلماء كتبوا العديد من المؤلفات في سير الأئمة في عصورهم منهم العلّامة الفقيه السيد الهادي بن إبراهيم الوزير المتوفى سنة ٨٢٢ هـ ألّف كتابين في سيرة الإمام الناصر صلاح الدين بن محمد المتوفى سنة ٧٩٣ هـ أحدهما يسمى كريمة العناصر في الذب عن سيرة الإمام الناصر والثاني كاشفة الغمة. وهما يتميزان بطابع سياسي فقهي. وقد وقفت على نسخة من الأول بخط مصنفه. والثاني منه عدة نسخ خطية. وسيرة الإمام الناصر أيضاً لعلي بن سليمان بن الزفوف «مفقودة». وسيرة المنصور بالله علي بن محمد بن صلاح الدين المتوفى سنة ٨٤٠ هـ للعلّامة يحيىٰ بن القاسم العلوي. وقفت على بضع أوراق منها بخطّ المؤلف. وسيرة الإمام المهدي أحمد بن يحيىٰ المرتضى لابنه الحسن بن أحمد تقع في مجلد بعنوان كنز الحكماء. منه عدة مخطوطات. وهناك سيرة للإمام المتوكل على الله المطهر بن سليمان المتوفى سنة ٨٧٩ هـ لمؤلف مجهول منها مخطوطة بمكتبة إيطاليا، وكان

آخر الأئمة في هذا القرن هو الإمام الهادي لدين الله عزّ الدين بن الحسن المتوفى نحو سنة ٩٠٠ هـ له سيرة عنوانها «الدر المنثور في سيرة الملك العادل المشهور» لمحمد بن صلاح الخشني منها نسخة بجامع صنعاء.

القرن العاشر: شهد ظهور الإمام يحيىٰ شرف الدين المتوفى سنة ٩٦٥ هـ فكانت أخباره شغل مؤرخي القرن العاشر وقد أفرده بالتأليف جماعة منهم: الحسن بن محمد الزريقي له سيرة «مفقودة»، وصلاح بن داود بن داعر المرهبي، والحسين العلفي وهؤلاء جميعهم لا نعرف شيئاً عن كتبهم وقد لخَّصها وجمعها في القرن الحادي عشر حفيد الإمام شرف الدين العلاّمة محمد بن إبراهيم بن المفضل المتوفى سنة ١٠٨٥ هـ في «السلوك الذهبية في خلاصة السيرة المتوكلية» منها عدة نسخ خطية. وقام بعد الإمام شرف الدين الإمام الناصر لدين الله الحسن بن علي بن داؤد المتوفى بعد سنة ٩٩٣ هـ له سيرة لمعاصره أحمد بن شائع اللوزي الدعامي منها مخطوطة بإيطاليا وأخرى بجامع صنعاء.

ثم جاء القرن الحادي عشر، وظهر فيه الأئمة من آل القاسم فكان الحديث عن سيرهم وأخبارهم تاريخ هذا القرن وما بعده حتى أصبحت كتابة السير للأئمة الذين يظهرون منهم من مستلزمات الدعوة والمناصرة لأولئك الأئمة. فمنذ ظهور مؤسس هذه الدولة الإمام القاسم بن محمد المتوفى سنة ١٠٢٩ هـ كتب المؤرخ اليمني الكبير المطهر بن محمد الجرموزي المتوفى سنة ١٠٧٧ هـ سيره الثلاث ذات المجلدات الضخمة له ولولديه المؤيد محمد والمتوكل إسماعيل. فسيرة الإمام القاسم تسمى «الدرة المضية في السيرة القاسمية» في مجلد ضخم بجامع صنعاء. وسيرة المؤيد «الجوهرة المنيرة في جمل من عيون السيرة» منها نسخة في مجلد بخط المؤلف بجامع صنعاء. والسيرة الثالثة للإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم بعنوان «تحفة الأسماع والأبصار» منها مخطوطة بقلم المؤلف أيضاً بجامع صنعاء وهذه السير بمجلداتها الثلاثة تشكل سجلاً سياسيّاً تاريخياً عاماً لأحداث اليمن في القرن الحادي عشر حتى سنة ١٠٧٧هـ، وللإمام القاسم بن محمد

سيرة أخرى للعلاّمة علي بن محمد بن سلامة الذماري المتوفى سنة ١٠٩٠ هـ لا نعرف عنها شيئاً.

القرن الثاني عشر: قلائد الجواهر في سيرة الإمام الناصر لأحمد بن محمد الضبوي في سيرة الإمام المهدي صاحب المواهب المتوفى سنة ١١٣٠ هـ منه مخطوطة ببغداد ولهذا الإمام المذكور سيرة أخرى بعنوان الروض الزاهر لزيد بن صالح بن أبي الرجال المتوفى سنة ١١١٧ هـ، ومن سير هذا القرن سيرة الإمام المنصور بالله الحسين بن القاسم لمعاصره شرف الدين الحسن بن الحسين الروسي الأهنومي وهي بعنوان «البراهين المضية في السيرة المنصورية» منها مخطوطة بقلم المؤلف بجامع صنعاء، ولهذا الإمام سيرة أخرى بعنوان حدائق الزهور في سيرة الإمام المنصور لمجهول منها مخطوطة عند بعض أهل مدينة صنعاء. ولمعارض الإمام المنصور المتوكل على الله القاسم بن الحسين المتوفى سنة ١١٣٩ هـ سيرة بعنوان بلوغ الأمنية في السيرة المتوكلية لشرف الدين الحسن بن الحسين الأهنومي السابق الذكر منها مخطوطة بمتحف بريطانيا، وللمتوكل المذكور سيرة أخرى بعنوان أقراط اللجين في سيرة المتوكل على الله القاسم بن الحسين للمؤرخ محسن بن الحسن بن القاسم أبي طالب المتوفى سنة ١١٧٠هـ منها نسخة بمتحف بريطانيا.

القرن الثالث عشر: عرف هذا القرن بالاضطراب السياسي وكثرة المدعين للإمامة فلم يكتب فيه سوى بضع سير سياسية لبعض الأئمة أغلبها مفقود ولعل أشهرها وأهمها كتاب: «درر نحور الحور العين بسيرة الإمام المنصور علي وأعلام دولته الميامين» للمؤرخ لطف الله بن أحمد جحاف المتوفى سنة ١٢٤٣ هـ وهو موسوعة ضخمة تتضمن جميع الجوانب التاريخية والسياسية والثقافية لهذا العصر. ومنه عدة مخطوطات وهناك سير أخرى صغيرة لبعض الأئمة في هذا القرن منهم الإمام الهادي محمد بن أحمد المتوفى سنة ١٢٥٩ هـ له الروض النادي في سيرة الإمام الهادي للمؤرخ الأديب محسن بن عبد الكريم إسحاق المتوفى سنة ١٢٦٦ هـ منه

مخطوطة بالمكتبة التيمورية. وليحيىٰ بن مطهر بن إسماعيل المتوفى سنة ١٢٦٨ هـ سيرة بعنوان «العنبر الهندي في سيرة الإمام المهدي» «عبد الله بن المتوكل أحمد المتوفى سنة ١٢٥١ هـ» لا نعرف عنها شيئاً. وللأديب العلّامة عبد الله بن أحمد العماري «من علماء القرن الثالث عشر» كتاب في سيرة الإمام المتوكل على الله محمد بن يحيىٰ المتوفى سنة ١٢٦٦ هـ بعنوان الدرة اللؤلؤية في السيرة المتوكلية «مفقود» وللفقيه أحمد بن إسماعيل العلفي المتوفى سنة ١٢٨٢ هـ سيرة للإمام الناصر عبدالله بن الحسن المتوفى سنة ١٢٥٦ هـ أسماها «سلافة المعاصر» مفقودة.

وشهد آخر القرن الثالث عشر إمامة الإمامين المتوكل على الله المحسن ابن أحمد المتوفى سنة ١٢٩٥هـ والإمام الهادي شرف الدين وقد كتب في سيرة الأخير الفقيه العلّامة عبدالله بن علي العنسي المتوفى سنة ١٣٠١هـ كتاباً بعنوان «تحفة الفكر ونزهة النظر في سيرة الإمام المجدد على رأس المائة الثالثة عشر» ذكره المؤرخ زباره في أئمة اليمن ٢: ١٦ وللإمام المتوكل سيرة ضخمة تقع في ثلاثة مجلدات للمؤرخ الكبير محمد بن إسماعيل الكبسي المتوفى سنة ١٣٠٩ هـ بعنوان «النفحات المسكية» منها مخطوطة بجامع صنعاء. وللكبسي المذكور أيضاً سيرة أخرى للإمام المنصور بالله محمد بن عبد الله الوزير المتوفى سنة ١٣٠٧ هـ بعنوان «جواهر الدر المكنون» طبعت أخيراً بتحقيق الأستاذ زيد بن علي الوزير.

أما القرن الرابع عشر، فقد شهد الإمام المنصور بالله محمد بن يحيىٰ المتوفى سنة ١٣٢٢ هـ وبنيه وقد ألفت في سيرة الإمام المنصور سيرتان إحداهما: الدر المنثور في سيرة مولانا أمير المؤمنين المنصور محمد بن يحيىٰ حميد الدين للفقيه الأديب علي بن عبد الله الأرياني المتوفى سنة ١٣٢٣ هـ منه مخطوطة بجامع صنعاء. والثانية: بعنوان بهجة السرور في سيرة الإمام المنصور للحسين بن أحمد العرشي المتوفى سنة ١٣١٢ هـ منها مخطوطة بخط المؤلف.

وللإمام المتوكل على الله يحيىٰ بن محمد حميد الدين ثلاث سير

جمعها بعض علماء عصره أولهم العلاّمة الكبير سعد بن محمد الشرقي المتوفى سنة ١٣٣٥ هـ بعنوان «قلائد النحور في سيرة إمامنا المتوكل على الله يحيىٰ بن الإمام المنصور» منها قطعة بعنوان تقييد الجهاد الثاني مخطوطة سنة ١٣٢٣ هـ بقلم المؤلف. والثاني العلاّمة المؤرخ أحمد بن عبد الله الجنداري المتوفى سنة ١٣٣٧ هـ له سيرة بعنوان «الدرة المنتقاة في سيرة المتوكل على الله» منها مخطوطة بقلم المؤلف بجامع صنعاء. والسيرة الثالثة للمؤرخ الأديب عبد الكريم بن أحمد بن مطهر المتوفى سنة ١٣٦٦ هـ بعنوان «كتيبة الحكمة في سيرة إمام الأئمة» منها مخطوطة بجامع صنعاء وشرع في طبعها بمدينة صنعاء ولكن لم يتم.

فهذه السير وغيرها تبرز دقائق تفاصيل التاريخ اليمني منذ القرن الثالث حتى آخر القرن الرابع عشر وهي في عمومها سجل سياسي عملي يكاد ينفرد به تراث اليمن عن سائر ما أنتجه العالم الإسلامي من تراث سياسي آخر وهي في حاجة إلى دراسة وعناية من قبل الباحثين المعاصرين والمحققين على كثرتهم.

سيرة المنصور بالله القاسم بن علي العياني

تتميز هذه السيرة بقدمها وأهميتها التاريخية بما تورده من أخبار تتعلق بهذا الإمام الذي قدم من الحجاز ودعا سنة ٣٨٨ هـ، والسيرة التي بين أيدينا تبتدىء بهذه السنة دون أن تحدثنا عن حياة الإمام المنصور الأولى قبل الدعوة، ويرى الدكتور الفاضل رضوان السيد في مقدمة تحقيقه لكتاب سيرة الأميرين في الحديث عن كتابنا هذا ـ أعني سيرة المنصور ـ «أن مسألة الشرعية تظل هماً رئيسياً بين هموم كتاب سير الأئمة من الزيدية بعد الهمداني مؤلف سيرة الإمام الناصر دون أن يقلل من طابعها السردي الحدثي فقد كانت مشكلة الحسين بن أحمد بن يعقوب مؤلف سيرتنا هذه أن الإمام المنصور بالله القاسم بن علي العياني «٣١٠ ـ ٣٩٣ هـ» لم يكن من سلالة الهادي بل من سلالة عمّه محمد بن القاسم بن إبراهيم ولذا فلقد لقي معارضة من بعض أعقاب الهادي. ومن هنا جاء تأكيد كاتب السيرة على أمرين اثنين لمواجهة تلك المعارضة: النظرية الزيدية في الإمامة التي

لا تعترف بالوراثة في السلطة، والكفايات البارزة للقاسم بن علي، وخاصة الاجتهاد والشجاعة. ثم إن السيرة تذكر بالتفصيل مصير اليمنيين إليه عاماً بعد عام بمقرّه بترج يدعونه للمجيء لبلادهم وقيادتهم، وعندما جاء للمرة الثانية عام ٣٨٨ هـ سارع يوسف الداعي أحد أعقاب الهادي والذي كان قد ثار ودعا لنفسه عام ٣٦٩هـ إلى مبايعته والانضواء تحت لوائه وإن خرج عليه فيما بعد، وتبرز من خلال «السيرة» رؤية المنصور العياني لنفسه وكفاياته، فقد قضى بترج ببلاد خثعم زهاء العشرين عاماً متفرغاً للعبادة والعلم قبل أن يقدم لليمن، ولذلك فإنه بخلاف أعقاب الهادي وابنه الناصر كان أعلم أهل زمانه، وأحقهم بالإمامة وقد ترك كتباً عديدة في الفقه والأصول وعلم الكلام ومع أن آراءه الفقهية والأصولية لا تخرج بشكل عام عمّا عرف من تراث الهادي وجده القاسم بن إبراهيم، فقد كان أكثر انفتاحاً على زيدية الشمال بجيلان والديلم وطبرستان فهو لا يرى أن الاختلاف في الفروع بين الأئمة مدعاة للنزاع بل لا يرى مانعاً من قيام إمامين اثنين شرعيين في وقت واحد هذا وإن لم يكن واضحاً متى ألّف كتاب «التفريع» الذي يعبر فيه عن هذا الرأي أقبل دعوته وإمامته أم بعدها. ثم إنه ليس واضحاً هل يرى إمكان تعدد الأئمة باختلاف البلدان أم في البلد الواحد وإن كان ذهابه إلى أن ذلك مشروط بألّا يحدث خلاف بين أتباعهما مشعر بإمكان ذلك في البلد الواحد».

وسيرة القاسم بن علي العياني تتميز بحصيلة وافرة من الوثائق الإدارية والسياسية التي قد لا نجدها في مصدر آخر، وهي تعطي صورة واضحة عن حياة النظام السياسي وكيف يتم تسييره خلال القرن الرابع، وقد تميز الإمام القاسم في تعبيره بأسلوب سهل يشف عن مضمون مقاصده بوضوح، وهذه الوثائق بحدّ ذاتها ذخيرة هامة للباحث في الأمور الإدارية في ذلك الوقت خلال القرن الرابع وفيها من المعاهدات والإرشادات العامة لعماله وكذا تصريف الأموال وقبض الجبايات ما يضيف جديداً على كتب الخراج المتقدمة على هذا العصر بقليل ككتابي الأموال لأبي يوسف المتوفى سنة ١٨٢ هـ، والخراج لابن آدم القرشي المتوفى سنة ٢٠٣ هـ وغيرهما. وهناك

ضمن تلك الوثائق نصائح سياسية في دقائق الحكم وإرشاد الحاكم مما يدل على عقل سياسي منظم لهذا الإمام فهو قد تولى مقاليد الحكم لا حباً في الحكم لذاته وإنما كان صاحب رسالة ومنهج سياسي ديني إصلاحي عبّر عنه في أعماله ورسائله إلى عماله وأولاده وبعض مشائخ البلاد وغيرهم.

على أنه في نهجه السياسي وسلوكه عامة كان صاحب نظرية سياسية سلمية لا يميل إلى الشدة ولا يحب أن يتورط في إزهاق الأرواح بقدر الإمكان وكان صاحب التزام دقيق بسنة السلف الصَّالح في تعيين الحكام وتوليتهم للبلاد مع طيبة وتسامح أدّى إليه ورعه الشديد. ولذا نجده قد أوقعه ذلك في بعض المنزلقات الخطيرة التي كدّرت عيشه وجعلته يعيش آخر حياته في قلق ولم يتمتع بإصلاحاته التي أرادها من تولي الحكم. كتلك الهفوة التي وقع فيها بتولي ابن عمّه القاسم بن الحسين الزيدي الذي جاء قادماً من الحجاز وغره في أول الأمر مظهره الخارجي دون أن يدرك حقيقة نواياه وكذا كان تشدّده في إقامة العدل وإبعاد الحكام المستبدين دون مراعاة لنفوذهم وما لهم من أسبقية يذكرنا بذلك المسلك الذي اتبعه جدّه الإمام علي كرّم الله وجهه. وقد أدّى ذلك إلى إثارة حفائظ أبناء عمّه من أولاد الإمام الهادي الذين كانوا أصحاب الحكم قبله.

وتبين الوثائق التي أوردها كاتب السيرة بأمانة تامة خفايا ما يدور بين الساسة في ذلك الوقت وخاصة بين الإمام وخصمه الداعي السابق له يوسف بن يحيىٰ بن أحمد بن الإمام الهادي يحيىٰ بن الحسين الذي كان متحاملاً على الإمام القاسم وموصماً له بعظائم الأمور التي لم يكن الإمام قد صنعها ولا له صلة بها. ومهما يكن فإن السيرة في مجموعها سجل عملي للحاكم المسلم يجب أن يحتذيه في أي عصر ومكان وفيه من التجارب والإرشادات ما يفوق بكثير أصحاب النظريات المبتسرة والأفكار الخيالية. وأهمية ذلك تكمن في قدم هذا الأثر، وهو يُعطينا دليلاً واضحاً على مدى تقدم الفكر السياسي في عصوره المبكرة من تاريخنا الحضاري الإسلامي.

وإذا خرجنا من الجانب النظري والفكري في هذه السيرة، نجد حوادث الإمام العملية في هذا الأثر قليلة ومعروفة لعدم حرص الإمام على ملاحقة خصومة السياسيين ومزاحمتهم في ولاياتهم المدنية، أضف إلى ذلك أن البلاد قد نعمت باستقرار ملحوظ بالنسبة لما شهدته في زمن الهادي وابنه الناصر بما صاحبه من إعصار مريع على إثر قيام علي بن فضل وأتباعه القرامطة، فهذا العصر الذي أدركه إمامنا القاسم كان فترة هدوء واستقرار وإن كنا رأينا هؤلاء القرامطة يعودون مرة أخرى في زمن الصليحي، إلَّا أن إمامنا القاسم لم يدركهم ولم يكتوِ بنارهم كذلك القدر الذي عانى منه أحفاده، ومع ذلك فإن الإمام القاسم لم تكن فترة حكمه خالية من المناهضين. ويرى أستاذنا الدكتور رضوان السيد ـ نقلاً عن المؤرخ يحيىٰ بن الحسين ـ أن «إرجاع النزاع بين الهادوية والأشراف العيانيين إلى أيام القاسم بن علي العياني إلى «القاضي عبد الملك بن غطريف الصائدي» ممن عاصر الإمام القاسم بن علي العياني وهو الذي كاشف الإمام بالنكر وتخلف عن إمامته هو ومن تبعه وذلك بسبب مخالفة القاسم في مسائل الفروع للهادي لأن الزيدية كانوا يعتقدون في ذلك الوقت أن المصيب في الاجتهاديات واحد والحق معه إلى زمن المتوكل على الله «أحمد بن سليمان» وقد يكون فيما ذكره يحيىٰ بن الحسين بعض الحق، لكن الواقع أن الزيدية مذهباً ودولة كانت قد تضاءلت وانكمشت منذ وفاة الناصر أحمد عام ٣٢٢ هـ ولم يخرج من أعقاب الناصر من استطاع إثبات وجوده حتى أواخر القرن الرابع، وعندما استدعت القبائل القاسم العياني ـ في عملية تشبه استدعاء الهادي من قبل ـ كانت اليمن تغص بثوار آل الهادي الذين لم يحظوا بأي نجاح، ورغم أن العياني ما استطاع فعل الكثير بسبب قصر مدته فلا شك أنه اعتبر ناجحاً تماماً مقارنة بالخارجين السابقين والمعاصرين. ونحسب أن هذا كان السبب الرئيسي لنزاعات القاسم العياني وأولاده وأحفاده مع آل الهادي وهادوية الزيدية، فقد أسّس العياني أسرة حاكمة استمرت حتى أواخر القرن الخامس تلعب دوراً ملحوظاً في السياسات بشمالي اليمن» سيرة الأميرين: ٤٦.

وكان الإمام القاسم في الأساس حريصاً على نشر العلم وتطبيق العدل الذي دعا إليه في فكره السياسي الملتزم بما جاء عن الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وصحابته المنتخبين وقد ناوى بقدر الإمكان الفكر الشيعي المغالي ليبيّن أن الزّيديين بعيدون عن مغالاة الروافض وتشديدهم في مسألة الصحابة وأمور الولاء والبراء ملتزماً بذلك نهج الإمام زيد وما جاء عنه في هذه المسألة، وهو في ذلك صاحب فكر ثاقب وإيمان راسخ لا يزحزحه الهوى ولا تأخذه المصلحة السياسية مهما كانت فائدتها بالنسبة لوضعه المعاصر. على أنه لم يترك في آخر عمره لشأنه من قبل المنتفعين في دولته، ولذا كان على رأس خصومه ابن عمّه الزيدي الذي أراد أن يخل بالتزامات الإمام ومواثيقه مع حُلفائه وأنصاره من شيوخ القبائل ورؤساء البلاد. وكان الإمام قد أعطاهم الولايات الكبيرة ينتفعون بخيراتها في مقابل ترسيخ العدل والأمان. وحدث ما حدث بين الزيدي والإمام حتى أدّى الأمر إلى سجن ولديه وخروج الإمام بشيبته ومهابته من صنعاء لاستعطاف الزيدي في ذلك، وكان قد ترك نجران وشأنها بمجرد أن أهلها أخلوا بما شرط عليهم.

وكذا كانت سيرة الإمام القاسم بن علي العياني رحمه الله نموذجاً فريداً للحاكم المسلم الصادق مع الله ونفسه، مع زهد يذكرنا بزهد الإمام علي كرّم الله وجهه، وورع شديد وتمسّك بالكتاب والسنّة بحيث لم يترك له صديق ولا موال إلَّا من وفَّقه الله من أصحابه المنتخبين ومنهم كاتب هذه السيرة رحمه الله.

وقد أجمل كاتب السيرة خصال هذا الإمام العظيمة في بكائية له بعد وفاته وغياب شخصه الكريم بقوله:

«فارق الحياة حميد الخلائق حسن الطرائق شريف المذاهب واسع الحلم، بازغ العلم كاملاً في الصفات جامعاً للخيرات، رؤوفاً بالمؤمنين، عفواً للمذنبين، مجتهداً في رضاء رب العالمين، زاجراً عن الغي والفساد، داعياً إلى الرشاد صابراً على البلوى، شاكراً للنعمى، علماً للقاصدين،

هادياً للمهتدين دامغاً بالحجج للمخالفين باذلاً نفسه للمعتفين، يهرب من الدنيا وأيامها ولا يرغب في شيء من حطامها، توفي فلم يورث ورثته ديناراً ولا درهماً ولا خلف إلاّ سلاحه ودوابه وثيابه، وتخلف عن دين عليه أكثر منها أضعافاً. ولقد أبلغ في هدايتنا ونصحنا وإكرامنا، وكنا في حقوقه مقصرين، وفيما يجب علينا من فروضه مفرطين، فنسأل الله أن يتجاوز عنا ما فرطنا فيه من حقّه ويهب لنا ما ضيعنا من لوازمه وفرضه».

مخطوطة الكتاب

كان عثورنا على مخطوطة وحيدة من هذا الكتاب زودني بها شيخنا الأستاذ الفاضل المجاهد زيد بن علي الوزير من مصورة معه أخذت من مكتبة المتحف البريطاني وهي نسخة وحيدة لا نعرف لها أخرى ولكننا لا نقطع الأمل بعدم وجود نسخة ثانية منها بدليل أن أستاذنا الفاضل رضوان السيد ظلّ دائباً في البحث عن نسخة أخرى يستعين بها في تحقيق مخطوطة سيرة الأميرين التي كانت معه من مكتبه الجامع بصنعاء حتى يئس من ذلك وفوّض أمره لله بنشرها عن مخطوطة وحيدة، وما كاد يظهر عمله هذا حتى وقفت ـ عن طريق الصدفة ـ على نسخة أخرى لم يرجع إليها أستاذنا. وربما كان عملنا هذا شبيهاً بما وقع لشيخنا الفاضل، ولكننا الآن نقدم على نشر سيرة الإمام من النسخة اليتيمة الوحيدة بمتحف بريطانيا آملين من العلي القدير أن لا تظهر مخطوطة أخرى تبين عوار ما بأيدينا وتكون مدعاة لثلبِ هذه الطبعة والنقص في حقنا.

والمخطوطة التي بأيدينا نسخت في القرن الحادي عشر سنة ١٠٨٠ هـ وهي من سنوات حكم الإمام المتوكل على الله إسماعيل «١٠٥٤ ـ ١٠٨٧ هـ» الذي عرف بشغفه بجمع الكتب حتى قال معاصره المؤرخ يحيىٰ بن الحسين إن مكتبته زادت على ثلاثة عشر ألف كتاب، ولا نستبعد أن يكون الإمام المتوكل على الله إسماعيل هو الذي سعى في نسخها من أصلها القديم. وكأنه قد قام بحملة في ذلك الوقت لجمع نصوص سير الأئمة المبقية إلى عصره، بدليل أننا وجدنا سيرة المتوكل

على الله أحمد بن سليمان قد كتبت بنفس الخط الذي كتب بـه خط سيرتنـا هذه ولا يبعد أن يكون الإمام قد قام بنسخ سير أخـرى لم تصل إلينـا. وقد كان في زمن المتوكل على الله إسماعيل كثر الطعن على المذكور في سيرته فأراد بعمله ذلك أن يثبت للملإ بعض أعمال الأئمة السابقين لـه والاحتجاج بما يوافق سلوكه في إمامته، والله أعلم.

وقـد التزمت في التحقيق بمـا ورد في النص من عبارات صعبـة غيـر معروفة لنا الآن ولم أشأ أن أحرفها إلى العبـارات البسيطة السهلة المعـروفة لنا الآن لسبب واحد، هو أني أتعامل مع نص قديم يعود إلى القـرن الرابـع الهجري وليس من النصوص المتأخرة التي اعتدنا تحقيقها وربما كانت تلك العبارات الغامضة هي ممّا كان يتكلم بها أهـل تلك العصور الغـابرة. ومـع ذلـك يبقى أمامي معضلة النص واستغلاقـه في أحيان كثيـرة وكـان يجب أن أقـوم بشيء حيـال ذلـك الأمـر: فكـان علي أن أجري جميـع احتمـالات التصحيف التي يمكن أن تطرأ على الكلمة، ولم ألتزم حرفيّاً برسم مـا ورد في الكتاب، وقد أفـادتني هذه الـطريقة استخـراج اللفظة التي قـد تكون أقـرب إلى المعنى. ومـع احتمال عـدم الصواب في ذلـك كان يجب التنبيـه إلى ذلـك بـالهامش، والغـالب على هذه المخـطوطة عـدم الإعجام ممّـا يدل على أن الناسخ نقـل كتابـه هذا من أصـل قديم لعله يعـود إلى زمن المؤلف، وكان المتقـدمون يتحـاشون النقط إلاَّ في حـالات نادرة. وربمـا وقف عنـد بعض الجمل المستغلقة فرسمها كما جاءت في المخطوطة ومن ثم نجده قد التـزم بقواعد الكتابة في ذلك الوقت ـ أعني زمن المؤلـف القـرن الرابـع الهجري ـ التي لم تقعد ولم تقنن إلاَّ في العصور المتأخرة.

ووقع للأستاذ القدير المحقق صلاح الـدين المنجد تـوفيق عظيم حين قرَّب الطريق لأكثر المحققين الكسالى أمثالي عندما اخترع لهم لفـظة «كذا» لكـل ما يشكـل في التحقيق من ألفاظ مبهمـة وعبارات صعبـة فجاءت هـذه اللفظة كالسيل المنهمر تحت، كل ما أرهق الباحث من كلمات غامضة مبهمة ومـع ذلـك فـإن بعضهـا كـان من الممكن حَلّه بـأقـرب جهـد ممكن، ولا

يستحسن استعمال هذه الضرورة إلاَّ في حالات قصوى ملحّة. ورأيتني أمام هذه الرخصة المتاحة استعمل هذه اللفظة للضرورة ويجدها القارىء قد تكررت كثيراً لأسباب وقعت فيها كما وقع غيري.

ويبقى في النص مهما استعملنا الرأي والحيلة في استنطاق الكلمة الغامضة، عبارات وتراكيب مضطربة قلقة لا نستطيع تبينها إلاَّ بنسخة أخرى، وهذا ما وقفت عنده حيلتنا. وإخراج هذا الكتاب بهذه الصورة محاولة خطيرة لا تخلو من مجازفة ولكنه يشفع لنا في ذلك أهمية هذا النّص وقدمه. ونرجو من الله التوفيق والسداد.

تقع المخطوطة في ٣٩٣ صفحة مسطرتها ٢١ سطراً وتنقصها فجوة نقدرها بصفحات قليلة سقطت أثناء التجليد، وقد فرغ الناسخ من كتابتها في العشر الأواخر من شهر ربيع الآخر سنة ١٠٨٠ هـ. ولم يذكر اسمه. ويغلب على خطه حسن الشكل والجمال في أحيان كثيرة وربما تفنن الناسخ بإضفاء بعض الزينة على بعض الحروف كالهاء التي يكتبها على شكل نجمة سداسية الأضلاع وغير ذلك مما يدل على تفننه وتروّيه، والله أعلم.

وفي الختام لا يسعني إلاَّ أن أشكر المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية الذي أمدني بمكافأة سخية في سبيل التفرغ للقيام بهذا العمل وإنجازه، وكذلك أتقدم بالشكر للسادة القائمين على مكتبة هولنده الوطنية الذين تفضلوا بالإجابة على رسالتي حول الاستفسار عن المخطوطة التي ذكرها أيمن السيد بأنها توجد في المكتبة المذكورة فذكروا لي أنه لا توجد عندهم مخطوطة من سيرة الإمام القاسم العياني، وقاموا مع ذلك بالسعي لاستنساخ مكتبة المتحف البريطاني وإرسالها إليَّ فلهم جزيل الشكر.

عبد الله محمد الحبشي

صنعاء

بسم الله الرحمن الرحيم

ابتدأ سيرة الإمام القائم المنصور بالله أمير المؤمنين القاسم بن علي وهو بترج[1] بأرض خَثْعم بعد معاودتِهِ من اليمن أول سفرٍ طلع اليمن.

قال الحسين بن أحمد بن يعقوب رحمة الله عليه: فلما بلغ الإمام عليلم[2] التياث الأحوال على ولاته باليمن وهو مقيم بترج بعث عمار بن أحمد الجعدي وأحمد بن خالد بن صبيح في شهر شوال من سنة ثمان وثمانين وثلاث مئة سنة، يؤدّيان إليه من أعشاره في اليمن طرفاً، ويستنهضان من الناس من يخرج إليه حتى ينهض فيهم اليمن، وكتب معهما كتاباً نسخته:

بسم الله الرحمن الرَّحيم عُلوانه[3]: إلى كافة ولد قحطان كَتَبْتُ كتابي يا إخواني الأَعزَّاءُ أسأل الله حفظكم ودَفْع السوء عنكم، هذا كتاب القاصر عن أداءِ حقكم مسلماً ومتعهداً، والحال بنا صالح ولِربّنا الحمد كثيراً، خلا أَن من نَصَبه المسلمون للقيام فيهم وقلَّدوه أمورهم وعليهم، يجب أن يكون حاله غير حالي، وقد أصبحت والله المستعان في حال من كبر آسمه وكثر

---

(١) واد يصب في وادي عريشة عند نخل الحيفة (رضوان السيد: سيرة الأميرين: ١١٦).

(٢) تتكرر هذه اللفظة وهي اختصار عليه السلام.

(٣) علوان الكتاب: عنوانه (معروف).

عدوُّه وقَلّ في الخير مساعده وإني لمَّا صرتُ إلى أرضكم لم أرَ منكم حالاً أكرهه، أوجبتم أنتم وسائر عشائِركم، وأنفذتم الأمر في أنفسكم ولم تفعلوا إلَّا جيداً ما أنتم أهله، وقد نَظَرت في أحوالكم وفكّرتُ في أموركم فإذا أنتم أهلُ محبةٍ ومساعفةٍ لصاحبكم ما كان مُقَامه في أوسط دارِكم وحيث يناله قويُّكم وضعيفكم، وإن جاوز بلدكم لم تلتزموا منه بلزمه بدفع سيئةٍ ولا جَلبِ حسنةٍ، وقد دخلت معكم وأنا أحسب أني سَوْف أنال بكم ما ينال وليّ حَقٍّ من ملك البلاد وطاعة العباد، فلما رأيتُ تقلبكم وتَعَسُّر فراق الأهل والأموال عليكم حال اليأس دون الرجاء، وكنت كما قال القائِل قد جعلت نقي[1] الشحح نقيع، والآن فإذا قد عسر عليكم إلَّا ما تصرفون فيه حيث أنتم فأنا أعذركم ولا أعذر نفسي في أن أسيرَ إليكم وآتي كُلَّ قومٍ عند منازِلِهم ولا أكلّفهم عَنَاء ولا نَفَقة مالٍ في سبيل الله إلَّا من أَحَبَّ ذلك فليس الله يُضِيعُ أجر من أحسن عملاً، ولقد أتحرج أن أحمل نفسي على الخطر كنت بالبعد منكم أو القربِ، واعلموا أنَّه إن فاتت إليَّ فائتة من بعض أعداءِ الله أن ذلك حال يؤثمني ويؤثمكُم ولا بدّ من إحدى ثنتين إما كنتم قوماً متعلّقين بي وطالبين أن أثوب إليكم وذلك حال لا يمكنني أن أباشره بنفسي وأسير في مخلاف صعدة بضعة عشر يوماً بالخفراء[2] وليس كل الناس أميناً فأُسلّم إليه نفسي يسير بي من بلدٍ إلى بلدٍ، وأنتم تعلمون أن كثيراً من الخلفاء قُتِلوا في محالهم وفي وسط عساكرهم، منهم علي بن أبي طالبٍ عليه السلام وعمرُ بنُ الخطاب، وسِوَاء هذين من السلاطين، فإن ترضوا لي هذه المنزلة الدنيئة فإني لا أرضاها لنفسي، وإلَّا ترضونها لي فذلك ظنّي بكم ولست بحاملٍ عليكم ما لا تطيقون، الذي أكلفه جميع أهل مخلافي كله ثلثمائة رجل يسيرون إليّ حتى أسير معهم ويكون رأيُهم معي، فمن كان منهم مستعيناً يريدُ وَجْهَ الله سبحانه فهو مأجورٌ، ومن لم يكن معه شيء نظرتم في ذلك بما يوفّقكم الله له وليس شيعتي هذا الزمان إلَّا من ليس له مال يعود إليه وليس بيدي مالٌ أنفقه، ولا سلطاني ظالمٌ

---

(١) كذا.

(٢) الخفراء: المحافظون والحرس من الجند.

فأقضي حاجتي وأقومُ بمؤنةِ عَسْكري من أموال النَّاس، وهذه الخطة من أقل ما يَطلب مثلي من مثلكم فإن أمكنت هذه الخطة قمتم فيها، وإن تعذّر هذا الوجه فإني أكونُ ممّن قد زال عنه فَرْضُ القيام، وقرأْتُ عليكم السلام كثيراً طيباً.

فلما وصل أحمد بن خالد بن صبيح الهمداني وعمَّار بن أحمد الجعدي بلاد هَمْدان وطَلَباهم ما طلبهم الإمام عليه السلام في كتابِهِ، حَشّد في ذلك رجال من المسلمين من البونين(١) والخَشب(٢) والمشرق والصيد(٣) وما خالطهم من بكيل، ولا من الظواهر إلاَّ شيخٌ يقال له أحمد بن هندي من خولان من المقيق(٤) وحمل أنفار من المهاجرين إلى الإمام عليه السلام من زكاة بعضِ أهل اليمن وإبراز منهم شكلاً من عشرة آلاف دِرْهم، معا(٥) كل إنسان منها شيء من بلدِهِ، وكان مخرجهم إليه واجتماعهم في البون من بلد هَمْدان لعشر باقيةٍ من شهر ذي الحجة سنة ثمانٍ وثمانين وثلاث مئة سنة، وساروا حتى وصلوا صعدة فنهضَ معهم من بني سَعْدٍ شكل من اثنا عشر رجلاً منهم خمسة فرسانٍ: باسان بن عمرو والمدلهم بن القحيس ويحيىٰ بن علي وعبدالله بن حميد وأبو العشيرة بن أيوب اليرسمي، ومضوا على حالهم مهاجرين إلى إمامهم عدد خيلهم ثلاث عشرة ورجلهم مائة وثلاثون رجلاً، فوصلوا إلى الإمام القاسم بن علي وهو بحصنٍ عمره بهرجاب(٦) في أسفل وادي بيشة، وقد لقيهم بنوه جعفر وعلي وسليمان بنو القاسم بن علي وسلاطين خثعم وعَربها، وكان الإمام عليه السلام ثقيلاً من شَكْوى اشتكاها قبلهم، فلم يبرح حتى قَدِموا إليه الحصن وسَلَّموا عليه، وقد جعل من خثعم عسكراً عظيماً عند قدوم المهاجرين فاستأذنه حسين بن

---

(١) البونين هما بون أعلا وأسفل وهو حقل واسع يضم عدة قرى يقع في بلاد همدان شمال صنعاء على مسافة يوم (الحجري ١: ١٣٠).

(٢) الخشب: من بلاد همدان على بعد مرحلة شمال صنعاء. (الحجري: ٣٠٨).

(٣) الصَّيد: بلد وقيل من بلد حاشد بالشرق من ريدة.

(٤) موضع في بني جماعة وبني حيف (انظر أرجوزة الرداعي ٧٣٧٠٠).

(٥) كذا في الأصل.

(٦) هرجاب (صفة جزيرة العرب: ٣٣٤).

أحمد بن يعقوب[1] يُسْمِعُهُ شعراً، فسلّم به عليه، يقول من بعد أن أذن له، وقال أنشد إن كان نشيدك محروساً من ذمِّ العرب فقال:

دعانا القاسم المنصورُ يبغي ... عنايتنا ويمنَعُنا الأثامَا
فلبينا لدعوتِهِ وقمنا ... عِجالاً في إجابتِهِ كراما
نُبادِرُ نفعه نبغي رضاه ... نجيب السيد العلمَ الإمامَا
أمير المؤمنين له مقام ... من الآباءِ حُبّب ذا مقاما
أجبناه بكلّ فتى عبوسٍ ... أخا صَبْرٍ إذا ما الموتُ حاما
بكل طَمِرَّةٍ[2] شقرا وكُمتٍ ... ليوم الحربِ قُدناها صِيَاما
جنبناهن نقرنهن شعثاً ... إلى حوض بسكتنا نزاما
مذكرة مصرّمة حملنا ... عليها ما يجنبنا كلاما
من المَادِي[3] كل حصين سردٍ ... مليح الصنع سرداً وانتظاما
وكل مثقّفٍ لدنٍ وبيضٍ ... صوارم تجتلي قِمَماً وهَامَا
وزور[4] عكف منها ذراها ... مفضّضةً تحيلها العظاما
على أكبادِها طُرْق المنايا ... إذا أَلقت قوانصُها السِّهامَا
جعلنا نَصْرَهُ حقاً علينا ... بأمرِ الله ما دُمنا ودامَا
خَرَجنا من عشائرِنَا إليه ... نَجُوبُ البعد ودّاً واهتماما
وخَلَّينا الدِّيَار وكلَّ خلٍ ... رَفَضْنا قربَهُ عاماً فعَامَا
نَعِزّ إمامنا ونذبُّ عنه ... ونَمْنَعه جهاراً أن يُضامَا
ونُسعده لطاعتنا فيأمر ... ويُقَدمُ حيث شاء وحيث راما
فيا نور الخلائِقِ هاكَ منا ... مودَّتنا وطاعَتُنا تماما
وقُم في الخلق فابعثهم بعدلٍ ... وجلِّ الجهلَ عنهم والظلامَا
وجَدِّد دينَ جَدِّكَ بَعْدَ درسٍ ... وأورد من ينازِعُكَ الحِمَامَا
فَهَمْدَانيك قومي قد أطاعوا ... وهم يَدُكَ التي تروي الحُسَامَا

---

(١) مؤلف الكتاب.

(٢) الطمرة الفرس الجواد المستعد للوثب.

(٣) المادي: الدرع اللينة السهلة.

(٤) زور: الفرس اعوج زوره أي صدره.

وخـولان الحمـاة لهم ظـهيـرٌ | لـدى الهيجا يُجلُّون الـظلامَـا
بهم فَـأَذِق عِدَاتـك ما استحقـوا | وَوَطِّىء ثغـرهم يـمنـاً وشـامَـا
وكـل الأرض مغـربهـا وشـرقـاً | بنصـر الله والـبيتَ الحـرامَـا
وبُعْـدٍ لـلمُكَـذِّب أي بُـعْـدٍ | سَيَلقـاه عـذابـاً وانـتِقـامَـا
وسحقـاً للمُخَـالِفِ مـا تـولى | وكـان جزاء فعلهمـا غـرامَـا
وكـنتُ فـداء سيـدنـا أقيـه | من الأسـواء جمعـاً والنـدامـى

فقال الإمام عليه السلام عند ذلك، أحسنت لا رض الله فاك أنت كما قلت أنت وقـومك، ولكني أحب أن لا يتكلّم شاعـرٌ إلَّا بمـا يجمـع فيـه العشـائـر فكلهم مقبل علي قـال الحسين بن أحمـد: ثم تقـدم مشـايخ المهاجرين فقالوا: يا ابن رسول الله قد دعوت وأجبنا مؤدين لفرض الله في إجابتك ومسارعين للزلفى عند الله في طاعتك، وهـا نحن مستمعون لأمـرك نأتمر بأمرك وننتهي بنهيك، فلما استمـع كلامهم قـال مجيباً لهم: قـد قمتم بما يجب عليكم وأجبتم ابن نبيكم وسارعتم إلى داعيكم فشكـر الله سَعْيَكم وأحسن ثـوابكم، وأمـرهم أن ينـزلـوا في فِنَـاهُ وهـو بـالحصن الـذي عمـره بهرجاب في أسفل بيشة، فلبثوا عنده أياماً ثم أمرهم بالرحيل ودعا مَن قَارَبَهُ من خَثْعـم وسـار بهم حتى وصـل أرض سلول من أرض خَثْعَم، فـبـات بـأصحابِـهِ وعَسْكَرِهِ هنـالك ليلةً، ثم نَهَضَ من الصّبح في تلك الليلة وسار حتى أتى تُبَالة قرية يقال لها بُرقة[1] فنزل بها تلك الليلة بجمـاعتِهِ وعَسْكَـرِهِ وأهلهـا بَنُو مَخْـزُوم وبَنُو سَهم من قـريش ثم نهض من مبيته[2] منحـدراً إلى العين التي أثـارهـا بيتـاً لـه، وأذن لسـائـر العسكـر في المـراح، ولـزم معـه المهاجرين وأقام لها أياماً، وكان في وطئِهِ لبلاد سلول وبلاد قريش يريـد أن يوطئهما ويُسْكِنَهما لأنهم كانـوا كالمكـذبين والمتجبِّذين[3] من الـطاعة، فلمـا وطئهما استقامت أمورُهمـا واتَّسق الأمر والنَّهيُ بِهِمَـا، ثم انتقل من تَبـالَه إلى هرجَان[4] ثمانية أيام.

(١) برقة حصن من المراغة من أرض خثعم (رضوان السيد: ١٢٥).
(٢) في الأصل ملته وأصلحها هكذا.
(٣) كذا في الأصل.
(٤) كذا في الأصل وفي الصفة (هرجاب) بالباء آخره (صفة عسكره ٣٣٤).

قال الحسين أحمد بن يعقوب: ثم عزم بالمسير إلى اليَمن وصادفت مسيره مُرُورَ المعشرة[1] من مكة فساروا في جُملتِهِ، وكان ذلك لست باقية من شهر المحرم سنة تسع وثمانين وثلاث مئة سنة حتى وصل أرض سنحان[2] وله بها مامور وهو موسىٰ بن جبير السنحاني، ومعه من أصحاب الإمام عليه السلام مامور وذلك رزيق بن أحمد بن يعقوب الهمداني، جعله الإمام عليه السلام في البلد يحكم بينهم وجعل على يديه قَبْض الخراجات، وأطلق له معاملة العشائر وافتتاح ما دنا إليه من أرض العرب، وكان قُدومُ الإمام إليه وقد افتتح أرض جَنْبٍ[3] كلها وبلد يَام[4]، فأمره الإمام أن يَقبض من خزائِنِهِ للعسكر العلوفة[5] والزاد، ثم نهض من هنالك إلى بلدِ وادعة الفرعين، وقد كانوا له طاعة وفيهم من قَدْ ولَّاه عليهم وسار على حالِهِ حتى وصل حقل صعدة فلقيه الأميرُ عبد الله بن محمد بن المختار في عسكر من بني سعد، فسَلَّموا عليهِ ودخلوا في عسكره، وقدِمَ حتى نزل بالمخزوقة بحذاء قريَة صعدة، وكرِهَ النزول بقرية صعدة لأنه قد كان جرى بينهم بعده خُلْفة، ولقيه يوسف بن يحيىٰ بأهل صعدة وغيرهم من الربيعة وبني حمزة والحناجر[6] في جيش كثير يريدون[7] بذلك النهيب على الإمام فركب الإمامُ لِلَقِيتِهِ ثم تبعه جميع العسكر وأقبل العسكرانِ، فخاف الإمامُ عليه السلام وقوعَ بعضِهم في بعض لقرب العَهْد بما كان بينهم من الفتنة والحنة[8] فردَّ عنانَ فرسِهِ حتى نزل قريباً من مضربِهِ، وقال: إن كان ابن عمي يريد السَّلام عليَّ فغَير هذا الرَّاي فهو يرى موضعي فيأتيني، وعاد العسكر كلٌّ إلى موضِعِهِ، ولم يَلْبثوا أَنِ آنفصَل يوسف بن

---

(١) بنو معشر بطنان من العدنانية ومن همدان «كحالة ٣: ١٢٢».

(٢) سنحان: من عسير (رضوان السيد: ١٢١).

(٣) جنب: من قبائل مذحج لهم معه في شمالي صعدة. (المقحفي: ١٣٠).

(٤) يام: أحد فروع همدان (معرفة).

(٥) علوفة الجند: رزقهم من كلام المولدين.

(٦) الحناجر بطن من همدان (الإكليل ١٠: ٩٩).

(٧) في نسخة (يريد) من هامش الأصل.

(٨) الحنة لغة ضعيفة في الأحن وهي الحقد والغضب.

يحيىٰ من عسكره في أشياخٍ شكلٌ من عشرةٍ، وأرسل إلى الإمامِ عليه السلام: أنه قد انفصل إليه للسَّلام عليه فإن لقيه فيكرمه ويشرفه، وإن كره وَصَلَه مكانه، فلما أن عزم على ذلك الحال الجميل ركب في لقائِهِ، ولم يكن من سيرتِهِ صلوات[1] الله عليه التَّكبّر على أحد من الناس سيَّما بنو أبي طالبٍ ولا الإغلاظ على معتذرٍ ولا مُعترفٍ، فلقيه فسلّم كلٌّ منهما على صاحبه وأمَرَه بالانصراف إلى مَنزلِهِ ويصرف عساكره ورجع عليه السلام إلى مضربه[2] وأقام ثلاثة أيام ثم أدخل قرية[3] صَعدة ولده جعفر بطرف من العَسْكر وأمره أن يخطب على المنبر لأبيه وجدّه بعد ذكر الأنبياء والأئمة الفضلاء، ويقطع ذكر يوسف بن يحيىٰ وعبد الله الأمير بن محمد، لأنهما كانا يذكران معه فَفَعل ذلك فعَزلهما مِن الخُطبة يريد اختبارهما، فسلَّما له ثم ألحق ذكرَهُما بعد ذكرِهِ فيما بقي بعد ذلك، ثم أرسل للشريف يوسف وابن أخيه الحسن وعبد الله الأمير وأخوتِهِ فسألهم أن يدخلوا في البيعة فبايعوا له، ثم دخل الإمام عليه السلام صعدة في عسكره كله فدخل المسجد وزار القبور، وخرج من المسجد فدخل دار يوسف بن يحيىٰ ومعه بنو المختار، ثم خرج من عند يوسف بن يحيىٰ فَدَخل دار عبد الله ابن محمد يريد بذلك انصافهما والألفة بينهم، ثم عاود منزله «المخزوقة» فأقام بها يومين ثم انتقل إلى صعدة، فنزل في دار بني الملاح أحمد ويحيىٰ ابني عبد الواحد، وكانا من أخصّ التجار في مودّته عليه السلام وموالاتِهِ، وكان قبل ذلك قد أرسل بخزّان لاقتضاء أعشارٍ بها فجاء بعض وتخلّف بعض، وخَلَّط في ذلك القُبَّاض والخزان وأهل الأموال، فأرسل خادمه سعيد بن سراج وأرسل إليهم معه منشوراً نسخته:

---

(١) جرت عادة بعض علماء الزيدية القدماء أن يطلقوا لفظ الصلاة على النبي وبعض أهل البيت، وقد كره العلماء ذلك لانحصار الصلاة في مثل هذه المواضع على النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم وحده إلَّا ما جاء تبعاً له كقولهم صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم والله أعلم.

(٢) مضربه (سبق) خيامه.

(٣) نسخة موضع صعدة (القرية) من هامش الأصل.


المجلس
الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب كتبه القاسم بن علي إلى كافة أهل نجران ومن بحالهم من الجيران: سلام عليكم، فإنا نَحْمِد الله إليكم من يلزمنا حمده ويجلّ عليه الثناء كما هو أهله، أما بعد: فإنه لا خطأ بعد تذكرة ولا ذمامة بعد معذرة وقد قبلت عُذر من اعتذر وتجاوزت عن خطيئة من قصَّر، فتعوضوا من سيئاتكم إحساناً ومن زللكم استمكاناً، واعلموا أن من رجع من سيِّئته كأن لم يُسيء، ومن عاود من غيّه بَخُس وغَوِي، وقد عرفتكم جميعاً أنه لا معذرة لمن عصى الله حتى يرجع عن معصيتِهِ ولا تَوْبة لتائب حتى يندم على خطيئته، وقد أظهرتم جميلاً شُكرتم عليه، فحوّطوا قولكم بالتّمام واحفظوا أموالكم وأنفُسَكم بالإسلام، واعلموا أن للإسلام حرمة تُرعى وللديانة أوامر لا تعصى، ومن قصّر عن بعض ما أمَره الله به كمن أضاع جميع أمره ونهيه، والله يقول وقوله الحق ﴿**الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانَهُمْ بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون**﴾[1] فاعملوا رحمكم الله عملاً صالحاً تنجُون به من خالقكم وتَزدادونَ به الآن في أرزاقكم، وردّوا عليكم فوت الأناةِ وغلول الزكاة بأَدَاءِ ما غللتم منها، فإن الله يقول وقوله الحقُّ ﴿**وما كان لنبي أن يَغُلَّ ومن يغلل يأت بما غلّ يوم القيامة ثم توفى كلّ نفسٍ ما**

(١) الآية: ٨٢، سورة الأنعام.

كسبت وهم لا يُظْلمون﴾[١] فرحم الله عَبْداً لم يُفَوِّت حَظّه من الآخرة، وأدّى ما أوجب الله عليه من قبل أن لا تكون رُجْعَة، ولا تُقال عثرة زكاته ولا يؤخذ من نفس فدية، ولا تُقبل منها معذرة ولا تنفعها شفاعة، ولو يَعْلم من غلّ زكاتَه أنه عند الله من الهالكين ومسمّى بفعله بأفعال المشركين، لعسر ذلك عليه ولسمج ما استحسن لديه، لكنه لم يعلم بقول الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿**وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون**﴾[٢] أجل لو علم بذلك من يؤمن بالله واليوم الآخر لَمَا تعرَّض لهذا الإثم الهالك عند الله وعند البرية من تسمّى به، وقد بعثت بكتابي هذا خادِمي سعيد بن سراج ليقرأه على من بَقِيَ عنده لنا بقيه تؤدّى لإنفَاذ الأمر في منشورنا هذا، فليقم معه جميع السعاة الذين كانوا لنا في خدمة ولهم بواجبنا معرفة، ومن أدَّى واجبه عرف وكتب اسمه، ومن لم يُؤَد شيئاً ممّا لنا عليه عرَّفَنا به، ولم يَلُمْ بَعْدَ ذلك إلاَّ نفسه، وقد أعذر من أنذر، فاقسم بالله صادقاً لئن فعل ذلك أحد من أهل طاعتي لأنفذن عليه حكم الله وحكم رسوله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلم، وحكمي، فرحم الله عبداً صان نفسه وصان قومَهُ ولم يُبْدِ لي وجهَهُ، والله يقول وقوله الحق: ﴿**أَلَا تقاتلون قوماً نكثوا أَيْمانهم وهمُّوا بإخراج الرسول وهم بدءُوكم أول مرَّة أتخشونَهُم فالله أحقّ أن تخشوه إن كنتم مؤمنين**﴾[٣]، ولنا سيرة قد أمرنا أن يُسار بها، تعلمون جميعاً أني قد أثبت كلا الواليين على ولايته، وهما إبراهيم بن محمد بن المختار، وعبد الله بن يحيىٰ فاستمعوا للشريفين، وأطيعوهما ما أطاعا الله والرّسول وأطاعاني، وولاية بني الحارث كافة ويام والأحلاف كافة وولاية عبد الله بن يحيىٰ على ساكن وادِعة وثقيف، والقاضي الذي وليته على سائر من في الولايتين جميعاً سليمان بن النساخ، وولايتي على قبض الخراج علي بن أحمد بن أبي حبيب، وسليمان بن الرَّبيع، وسليمان بن علي من قرقر[٤] يتصرَّف هؤلاء السّعاةُ الأُمَناء فيما أقمتهم فيه، فإذا قَبَضوا

---

(١) الآية: ١٦١، سورة آل عمران.

(٢) الآية: ٦، ٧، سورة فصلت. (٣) الآية: ١٣، سورة التوبة.

(٤) اللفظةِ بدون نقط وقرقر بلد من بني الحارث (صفة ٢٨٣).

من إنسان واجب ما عليه عرَّفوا الوالي بذلك وأخذوا منه براءة بخطِّه لمن قبضُوا منه واجبه، وتكون البراءة على هذه النسخة بعينها:

بسم الله الرحمن الرحيم، يقول فلان وفلان ما بأسمائهما[1] أننا قد قَبَضْنا من فلان ابن فلان واجبه، وهو كذا وكذا مكيالاً أو دِرْهماً أو ديناراً ثم يَمْضون بالبراءة إلى الوالي فيقرأوها وينسخوها في ديوان الخراج ويوقع فيها صَحَّ مع قبض السّعاة لما في هذا الكتاب وَأَبرأتهم من الدّرك في ذلك وممّن قَبَضوا واجبه، وكَتَب فلان ابن فلان بخطّه يوم كذا من شهر كذا في سنة كذا، ويكون عند السّعاة دفتر بمعرفة ما يقبضون، ويكون مثل ذلك عند الولاة، ويكون بالبراءة التي يكتُبُونها لصاحب الواجب في يده، فإذا طالبته بها وَجدتُها عنده وإن لم أجدها عنده أخذته بأداء الزكاة التي أجدها في الدواوين مثبتة عليه، فلينظر كل من عليه واجب لنَفْسه ولا يسلّم واجبه الذي عليه حتى يعطيه السّعاة خطوطهم، وتوقيع الوالي مع ما يَقْبض ممّا على المَخْرَج للواجب، فإذا سَلّموا خَطًّا بذلك سُلّم إليهم الخراج، فعلى هذا النَّعت فليسلم إليهم الواجب من وَجَب عليه أداؤه، ومن أقمته في قبض الواجبات مقامي وخزنه في مخزاني فلينفذ أمرُ الواليين فيما يوردان به خطي ويأخذون بذلك منهما خُطوطهما، وكذلك ما ورد من خطوطي بتسليم فليأخذوا تلك الخطوط وقَبْض من يَدْفعون إليه بها ويَسْتوثق كل إنسان من والٍ وموَلاً عليه لنفسه، ولا يَعُد من التَّفريط في مثل ما كان فيه من أمسه، ولم أجعل على أيدي هذين الواليَيْن رِزْقاً ولا رسماً، فلا يطالبهما أحد بطلابِهِ، لم يأت بها أمري، وليَعْلم جميعُ العشيرة أنني لا أعطي أحداً دِرهماً إلَّا من خدمني وبانت نصيحتُهُ لي واتصلت بخدمتِهِ بين يَدي، فإذا كان ذلك فعطية من ذكرتُ من تحت يَدِي لا من خراج بلدٍ بعَيْنِهِ ولا من واجبٍ يجب عليه فَلْيتقرَّر هذا القَول عند جميع من يطلب مني شيئاً بلا تَكَلُّفٍ أعرفه به، وممّا أمرت به الولاة أن يأمروا به السُّعاة أن يفصلوا بين

---

(١) في الأصل كتبها بأسمائهم ثم كتبها بأسمائهما.

الأسمـاء اسـم من عليـه الخراج[1] وبين أسمـاء من ليس عليه خـراج، فَـلاَ أجد في الدّيـوان الذي يقبض فيـه الخراج اسمين أحـدهما مُلتبس بـالآخر، ولكن يجعلِ لكل رجل مكتب باسمـه ثم يضاف إلى اسمـه واجبه من حيث كان مجتمعاً أو مفترقاً حتى يؤخذ ما عليه معاً مجتمعاً في مكتب واحد مُفرداً أو في دفترٍ مفصول، وإذا قُبِض خُزن خراجُ (بني الحـارث) كافـة في مدينـة الهجـر[2] وخُزِن خـراجُ (يام) كـافةً في حـصن الأحـلاف ، وخُـزِن خـراج أعلى الـوادي في مخـزان واحـد أو اثنين بحسب مـا يـراه الخـازن، ويـولِّي هؤلاء الأمنـاء في كل بشـر[3] من يثقـون بـه لقبض واجب أو إقـامـة حبسـه بمَعْروف، ومن تولّى مجلس الزكاة فلا يأخـذ الزكـاة من طعام قـد زُكي بعد البينة، ولا يأخذ زكاة بضاعة قد زكيت بعد البيِّنـة، ولا من بضاعَة لا تجب الزكاة في مثلهـا إذا لم تُضف إلى بضاعـة، ولا من بَدَوي ولا من حَضَـري اشترى ميرة ليأكلها، ولا يأخذ من المـاشية التي تـرد السوق كلهـا زكاة ممّن يـوردها من أهـل الطاعـة إلَّا ماشيةٌ تحتكـر في بَعْض البضـايـع المعـروفـة للتجارة، فيكون سبيل تلك الماشية سبيل التجارة، ومن ولي مجلس الزكـاة كتب دَخْلَ البلاد وخَرْجَه، ويعرف ذلك ويُثْبته من يكون معه دَفْترٌ أيضاً حتى يكون نسخاً لا واحدةً، وما طالب من ذلك الوالي سُلم إليهِ وأخذ خط منه، ويُوقفون المحتسب في كل يوم على مـا يَقبضون ومـا يفعلون ويستقصى في الواجبات كل الاستقصاء، ومن أخذ من أحدٍ ما لا يجب عليه، أو فـرّط في واجب فعليه لعنة الله ولعنة اللاعنين ولعنة النّاس أجمعين، ومن اطلعت منه على خيانة فيمـا يلي فقد أبـاح من نفسه مـا حرَّم الله منـه، فلينظر كـل من وَلَّيتُه أمراً لنفسـه، فالسَّعيـد من نظر لهـا وسعى في صيـانتهـا، وحَسْبنـا الله وكفى، وكتب بصعدة في شهر صفر من شهور سنةِ تسع وثمانين وثلاث مئـة سنة.

---

(١) لعله (خراج) من حاشية الأصل.

(٢) اسم لعدة قرى ولعل المقصود هنا قرية من عزلة وادي زبيد ناحية حيـدان التوزيـع السكاني «صعدة: ٥١». وانظر صفة جزيرة العرب: ٩٨.

(٣) كذا ولعله «في كل شيء».

(٤) كذا في الأصل.

وبعـد أن كتب الإمـام صلوات الله عليـه هـذا المنشـور كتب إلى العَبْدين[1] أميري عثر[2] بكتابٍ وتذكرةٍ فيها شروط، نسخة الكتاب:

بسم الله الـرحمن الرحيم الحمـد لله الذي حُمـد لنعمته واستنقـذ من خلق لهدايته وأوضح السَّبيل لبريته نحمده لما أولى من إحسـانه ونجـلّ عليه الثنـاء لامتنانـه ونعوذ بكلمـاته التـامة من عِصْيـانه، ونشهـد أن لا إله إلاَّ الله إقراراً بتوحيده واعترافاً بتمجيده وتعرّضاً لمزيده، الذي جَلَّ وعلا وتنزَّه ونأى عن تكليف مـا عنه نهى، وأشهـد أن محمداً عبـده ورسولـه وخيرتُـهُ وأمينُـهُ أرسَله بـالهدى ودين الحق ليـظهره على الـدّين كله ولو كـره المشـركـون أو أربـاب المبطلون[3] فبلَّغ رسـالات ربّه ونصـح لأمته وجَـاهد في سبيله حتى أتـاه اليقين، وكان بـالمؤمنين رؤوفاً رحيمـاً، فصلوات الله عليـه وعلى آلـهِ الطَّاهرين، الذين قَفَوا آثارَهُ وعَلَوا مِنْهَاجه واتَّبَعُوا أمره.

وبعد: فإن أولى النَّاس بالصَّلاة وأَحْراهم بالفلاح وأقربَهُم إلى النَّجاح من آنتفع بِعَقْلِهِ وأحسن النظر لنفسه وصانَ ما أمره الله بصونه ونَصـح لله في سرّه وعلانيتـه، ألا وقد أنف[4] نفسـه من آثر الآخـرة على الدنيـا، وقام في سبيل الله محتسباً وإلى طاعته راغبـاً وفي بلادِهِ وعبـادِهِ مُصْلحاً، والله يقـولُ وقـولـه الحق: ﴿ومن أحسن قـولاً ممّن دعـا إلى الله وعمـل صـالحـاً وقـال إنني من المسلمين﴾[5] وأنتما تولى الله توفيقكما ممّن لـه من المعرفـة حظ يوديـه إلى المصلحـة ولا ينـوء بـه عن اتبـاع النصيحـة، وقـد أدعـوكمـا تـولى الله رشدكما وأحسن فيما يرضيه توفيقكمـا ومن تليان من هـذه الأمة قبلكمـا إلى الصلاح[6] وأنتما فيه سواء والله يقول وقوله الحق: ﴿**قل يا أهل الكتاب تعالـوا إلى كلمـةٍ سواء بيننـا وبينكم ألا نعبد إلاَّ الله ولا نشـرك به شيئـاً ولا يتخـذ**

(١) يحقق اسما هذين العبدين فلعلهما من موالي بني زياد حكام بلد عثر في ذلك الوقت.

(٢) عثر: مدينة تهامية مندرسة على شط البحر الأحمر بين حرض وحلي «المقحفي: ٤٢٨».

(٣) كذا.

(٤) كتب في هامش الأصل لعله (أنصف).

(٥) الآية: ٣٣، سورة فصلت.

(٦) نسخة صلاح (من هامش الأصل).

بعضنا بعضاً أرْبَاباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مُسْلمون﴾[١] وقد دعوت البرية من دين الله إلى أمرٍ لستما عنه بخارجين ولا في دِين غيره بداخلين، لكني قد أدعوكما إلى جَمع الكَلِمَةِ وأُلفَةِ أهل الدّيانة، والله يقول وقوله الحق: ﴿**ولا تكونوا كالذين تفرّقوا واختلفوا من بعدما جاءهم البيّنات**﴾[٢] الآية، والله يُعيذنا وإياكم من خلفِهِ نكون فيها كمن ذكّر الله تعالىٰ بالخِلاف من غيرنا وقد أَعِدُكما من نفسي إن أَنتُما دَخلتما في طاعة الله وطاعة رسولِهِ وطاعتي مَوْعِداً أَفِي لَكما بِهِ وأجعل الله لكما عليَّ شهيداً بتمامِهِ، فأَنْصفا مِن أنفسِكما مَن قد وعدَكما بالنصفة مبتدئاً من نفسه ثم لكما علي إن سمعتما واعيتي[٣] وأقبلتما إلى طاعتي، ولم تخالفا شيئاً من سيرتي وآتبعتُما أَمر الله وأمرَ رسولِهِ فيَّ، وراعيتماني مراعاة من قد صفا لي وُدُّهُ واستحكم في طاعتي عِقْدُهُ، أن أُذركُما فيما قد تَلِيان، وأبعد مِنكما ما تكرهان وأن أظاهركما على من يبغي عليكما من قاصٍ ودانٍ، ولي منكما مِثْل ذلك فيمن بغى عليّ ودَعَوْتُهُ إلى طاعة الله فلم يُقبِل إليَّ، وقد أظن بكما أن لا تتركا حظاً يجمع لكما آخِرةً ودنيا، ويزيدكما رفعةً وعُلُوّاً، والله يوفقكما وإيانا جميعاً لما يُحبّ ويرضى، وقد ألقيت إلى موصِّل كتابي من الخُطب ما يُلْقيه إليكما إن رأى منكما قبولاً لذلك، والسَّلام عليكما ورحمة الله وبركاته.

ونُسخَة التذكرة:

بسم الله الرحمن الرحيم، وعرفهما أني أطلب منهما الطَّاعَة لي في خصال شتى: أولها أن لا[٤] يُبقِيا في البلد فساداً ظاهراً إلَّا أقيم فيه الحد على مُظْهره، الثانية أَلَّا يُحكم في البلد إلَّا بحكم الله وحكم رسوله وذلك حكمنا وما لم يزل بإثره آباؤنا عن سلفِنا، والثالثة أن يقيموا إليَّ الدّعوة

---

(١) الآية: ٦٤، سورة آل عمران.

(٢) الآية: ١٠٥، سورة آل عمران.

(٣) الواعية: الصراخ والجلبة الشديدة.

(٤) كتب في هامش الأصل نسخة «أنه لا يبقيا في البلاد».

ويثبتوا اسمي في السّكة وأن يقيموا الأذان، أذان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم، وأن يَصُونُوا من وَحَّدَ الله وعدَّ له من الأداء وأن لا يقدموا مُؤخَّراً ولا يؤخّروا مقدَّماً، وأن يرفعوا الجَوْر عن الرّعية ولا يأخذوا المكس من أحدٍ من البرية، ويكون أخذهم لما أوجب الله فيه من الزراعات وما يجب في الأموال من الزكوات، وإذا دَخل بلدهم مال قد قبضت من زكاته أو أحد من عمالي لم يأخذوا منه شيئاً، وكذلك ما قبضوا زكاته في عملهم لم نأخذ فيه زكاة في سائر عملنا، ونُوجب عليهم الصِّيانة لجميع من اتصل بنا بقرابة أو بديانةٍ أو بصفاية أو بخدمة، فقد أتاني خبر عن ابن كتيم الحسني[1] أن قبح في أمره وشقق[2] ظل محمله وحبس صاحبه إذ ذكر أنه متوجه نَحْوي، والسلام على من اتبع الهدى وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلَّم.

قال الحسين بن أحمد: ولبث بصعدة أياماً بعد إرسال هذه الكتب، ثم أمر بالرحيل من صعدة متوجهاً (عيانا)[3] يوم الاثنين أول يوم من شهر ربيع الأول من شهور سنة تسع وثمانين وثلاث مئة سنة، واستخلف في صعدة ولدَهُ جَعْفر وولاَّه أمرها، وجعله أميراً فيها، وجَعل خراجها وخراج ما حولها رسماً يجري على الشرفاء من ولد: الهادي إلى الحق عليه السلام نصف الأعشار بصعدة، وبعد إخراج المؤن، فنصف ذلك يَقْبضه يوسف بن يحيىٰ، والنّصف الثاني لبني المختار، وسائر الخراج يقبضه خَزَّانُ الأمير جعفر، وذكر في كتابٍ رسمه لهم نصف هذا الخراج أنه يجري عليهم حتى يَفتح الله عليه من أرض الخراج والأفيا[4] والأخماس[5] ما يغنيهم فيه عن ذلك ثم يَنْزعه ويضعه في مواضعه الذي جعله الله يُجري فيها، وإن سبب رَسمه لهم ذلك لضيق الوقت، وما دَفَعَتْهم إليه من الضّرورة، فنزل يَومَئذ

(١) نسخة المحبشي (من هامش الأصل).
(٢) كذا.
(٣) عيان: بلدة تقع شمال شرق خولان بالجوف (رضوان السيد: ٨).
(٤) الأفيا: جمع فيء وهو عند الفقهاء ما أخذ من أموال الكفار بغير حرب.
(٥) الأخماس جمع خمس: وهو حصة الدولة من الغنائم الحربية.

ذلك في منزلٍ في طرف سفيان[١] يسمَّى العقل[٢]، وأمر (قبضها)[٣] على عسكره مؤونتهم ومؤونة دوابهم، ثم ارتحل إلى (عيان) وأمسى هنالك عند بني سلمان[٤] وصَرَف الناس جميعهم، وبقي نفر من خاصته أمرهم بالثَّبات في حَضْرته يَخْدمونه، وأرسل بالكتب إلى جَمْع اليمن تعريفاً بقدومه إلى (عيان) فلبث بها أياماً ترد إليه عشائر همدان للسَّلام عليه وإلقاءِ الأَعِنَّة إليه فيَأخذ بيعتهم ويُوَلِّي الولاة عليهم إلى أن أتاه بَريدٌ من ابنه جَعْفَر من صَعدة بكتاب يَذْكُر فيه أن الربيعة من خولان نَكَثوا بَيْعته وقَتَلوا رِجَالاً من أهل طاعتِهِ في مكانٍ قريب من صَعدة يسمى الخَانق[٥]، ودخلوا السوق فأراد أن يبسط عليهم يده بالعُقُوبة، فحال دونهم بَعضُ من يَسكن صَعْدة من أهل صنعاء وحَمَلَة السِّلاح ولم يَرَ أن يحدث حالاً من دون رأي أبيه، فلما وَصَله الخبر غضب غضباً شديداً، وَفَرَّق الصريخ بالكتب في جميع اليمن، ووعدهم في كتبه الاجتماع إلى عيان ليوم الاثنين لثمان باقية من شهر ربيع الأول من شهور سنة تسع وثمانين وثلاث مئة سنة يدعوهم في كتبه إلى جهاد من نكث بيعته وارتد عن طاعته وغدر في ذمّته، وَوَعدهم في ذلك إن أصرّوا على الدّفع عن المخطئين وحالوا دونهم بغنيمة أموالهم وسفك دمائهم، فاجتمع إليه لموعدِهِ من قبائل قحطان كلها جيوش وعساكر، وكان أكثر من ورد إليه بالخيل والعُدد والجند ممّن كان يحل البونين وروّادهما، وكانوا في ذلك العصر أكثر هَمْدان عَدداً وأكملها عُدداً وأقواها جُنداً، فلما تكاملوا عنده نظر إلى كَثْرتهم، فخاف أن يُحدثوا على أحدٍ ممّن دعاهم إلى جهادِهِ حَدَثاً قبل أن يستفتح عليهم ويجب له العذر في قتالهم ويقيم الحجة عليهم.

---

(١) نسخة وطن (من هامش الأصل).

(٢) العقل إحدى قرى وادي خب بالجوف. وواد في الجوف.

(٣) لفظة مبهمة في الأصل لم تتضح لنا.

(٤) بنو سلمان: من همدان (الإكليل ١٠: ١٧٦).

(٥) موضع وواد من أودية ناحية سحار جنوب صعدة (صفة: ١٦٣ والحجري: ٣٠٣ والمقحفي: ٢١٦).

قال الحسين بن أحمد بن يعقوب: فكتب إذ ذلك كتاباً تَمْتَثِلُهُ هذه العساكر ويكون قد سبق إلى أذهانهم مراده بهم، فأمر رجلاً من أصحَابه أن يركب راحلة ويُسْمعه العَسْكر في أوساطِهِم، إذا كان لا يسمعونه ممّن كان بَيْنَهم لكثرتهم، وأمر منادياً في النَّاس أن يحضروا من مراكزهم ومحالّهم إلى عَرصة[1] تتّسع بهم وركب الإمام عليه السلام فرسه ووقف راكباً والناس يجتمعون حتى ضاقت العِراص فلما اجتمعوا قرا الكتاب وَنُسْخته:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله أحمده بجميل مواهبه وأتوكّل عليه وأومن به وأسأله أن يصلي على سيّدنا محمد وآله، أما بعد يا جماعة أوليائنا وإخواننا وشيعتنا، فإنا لو عَدَدنا، مناقبكم فينا، وكريم طاعتكم لأوَّلنا وآخرنا لكثر بذلك خطبنا ولما أحاط به عددنا ثم قَدْ جمعنا وإياكم ما قد جمع أولاً منَّا ومنكم، وقد سِرْنا فيكم بسيرة لم تَذمّوها، وأوليتمونا من طاعتكم أياديَ كريمة لا نزال نشكرها والله مجازيكم عَنْها، وقد نَال أخوكم بذلك ما مكّنه في أمره وحَظِيتم بفخره، ثم قد خرق فيما نال أخوكم بأيديكم خرقاً إن لم يَرفِهِ بكم اتسع فَتقُهُ وعمَّ أهل الأرض محقُّهُ، وقد أقبلتم لما آستُنجدتم له غَيرَ خاذلين ولا متواكلين ولا وانين ولا عاجزين، فأعظم الله على ذلك أجوركم وشكر سعيَكُم، وأعلا في الأرض ذكرَكم وقد خضع لذكر إقبالِكم المُسِيءُ وابتهج الولي فَلاَذَا جميعاً بوَلَدِ وليّكم وشاكِر أياديكُم فَعَطَفَه كَرَم الطّباع على المسيء وأوجب الحرمة على الولي فآنسهما منه بِذِمّةٍ لذمّة آبائه وأوليائه وتلك ذِمة تلزمنا جميعاً لقول رسول الله صلّى الله عليه وعلى آله وسلَّم[2]: «المؤمنون تتكافأ دِماؤهم ويسعى بذمّتهم أَدناهم[2] وهم يَدٌ على من سواهم» وأنتم أكرَمكم الله وصانكم فأولى من راعى ذِمَّة وليٍ وصان ما يصون، ولستم بجاهلين لسير الأئمة وإن جهل منكم ذلك أحد فلن يجهل الأكثرون ولن ينكره العالمون، وهذه العامَّة فهي لي رعيَّةٌ يَسْألني الله عن أدَبها ويَسألني عن الجورِ عليها، وقد كانت الخطبة

---

(١) العَرصة: البقعة الواسعة بين الدور التي ليس فيها بناء.

(٢) رواه النسائي ٨: ٢٤ والدارقطني ٣: ١٣١.

منهم في خاصّ دُون عام وذلك ممَّن تحت اليد تجري عليه أحكامُنا ويَقْهرُهُ سلطانُنَا، ومن كان كذلك لم يُرفع عن طبقته، ولم يُحكم عليه بغير استحقاقه، وقد بلغني أن القبائل ممَّن في عسكري يَذكر أني أبحثُ من خضعَ للطَّاعة ونزل تحت الذلّة وحاشا لله ومعاذ الله أن يكون ذلك من سيرتنا أو سيرة آبائنا بل سيرتنا أن نؤدب بالسيف من يضرب لحربنا ولم يحتج لكتاب ربّنا ولا لسنّة نبينا صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم وسيرتنا فيمن ضَمّته طاعتُنَا وقَهره سلطانُنَا وناله حكمُنا الحبس والقيد والسَّوط، فإن أسعدتمونا لوضع الأحكام في مواضعها ولم تعارضوا سِيرتنا فيها ألفيتمونا لذلك غيرَ جَاهلين وكنا لإنفَاذِهِ بِكم مستطيعين، وإن لم تكونوا كذلك وعائذٌ بالله لنا ولكم من ذلك هَدَّمتم بناءً مكَّنتموه، وأزلتم عِزّاً رَسَمْتموه، وكنت إذ ذلك كآبائي الذين سايروا أعوانهم في حال استقامتهم، ونزعوا أيديهم عنهم عند مخالفتهم فاتقوا الله ولا تُبطلوا أعمالكم ولا تخالفوا سيرة إمامِكم ولا تعصوا أمرَهُ، ولا تطلبوا منه طاعته واذكروا قول الله سبحانه لأصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم: ﴿**واعلموا أن فيكم رسول الله لو يُطيعُكم في كثيرٍ من الأمر لعنتم، ولكنَّ الله حبَّب إليكم الإيمان وزَيَّنه في قلوبكم**﴾[1] الآية، ونحن وإياكم متوجهون إلى بلدٍ أكثر أهلِهِ رعية ومَسْكنة ولن يتعرضوا في إضعافِ ذلك من المؤمنين والمؤمنات، والله يقول جلّ وعلا: ﴿**ولولا رجال مؤمنون ونساءٌ مؤمنات لم تَعْلموهم أن تطأوهم فَتُصيبَكُمْ منهم معرَّةٌ بغير علم ليُدخلَ الله في رحمته من يشاء لو تَزيَّلُوا لعَذَّبنا الذين كَفَروا منهم عذاباً أليماً**﴾[2] وقد نَعلَمُ أن أهل الوفاء منكم والرحْلة غير مخالفين، ولا لما هَمَمْنا به غير معطلين، ثم ليعلم من بلغه كلامي هذا أنه من تعدَّى ببسطِ يدٍ فيما لم أُبحه أني أجري عليه ما تعرض له، وأحِلّ به ما أحل بنفسه، فلا يغترن أحد من بعد كلامي هذا، فأقسم بالله لئن تعدَّى أحدُ أمري لأجرينّ عليه حكم الله بعُقوبتي، وقد أعذر من

---

(١) الآية: ٧، سورة الحجرات.

(٢) الآية: ٢٥، سورة الفتح.

أنذر، ومن غلبته نفسه على هواها فذلـك ما عـرضها لأذاهـا، والسلام على من اتبع الهدى وتَجَنَّب عواقب الردى.

فلمـا أن فرع القـاري من قراءة الكتـاب، تَكلّم العَسْكر كلُّهم بلسـانٍ واحدٍ، وقالوا: سمعاً وطاعة لإمامنا وآبنِ نبيّنا لا نتعدّى عَمَّا أمر ونَزْدجر عمَّا زجر فيأمرنا سيدنا فَيَجدُنا مؤتمرين، وإلى ما حَدَّ لنا غير متعدّين، فشكـرهم وأكثـر الثناء عليهم، وأمـرهم بالـرحيل من الغـد، وذلك يـوم الأربعاء لست باقيةٍ من شهر ربيع الأول سنة تسع وثمانين وثلاث مئة سنة.

وقد كان قبل إتيان العساكر إليه أتاه يـوسف بنُ يحيـىٰ في أشياخٍ من وادعة يطلب بهم الوسيلة في العفوِ والأمـانِ له لنفسِـهِ ومالِـهِ، وقد كـان رفع إلى الإمـام عليـه السـلام أنـه لم ينكـر على المحـدثين، وكـان مسـاعـداً للصنعانيين، فعطف الإمام عليه السلام الرَّحم والقرابة والاعتـراف بالتفـريط عند من الكائنة[1] والتبرّي من الخطيئة، وأعـطاه أمانـاً على نفسِهِ ومـالِهِ، وابنِ أخيه الحسن بن محمد، وانصرف بأمان ذلك إلى صَعْدة.

قـال الحسين بن أحمد: وسـار الإمام عليـه السلام بجيـوشه تلك إلى صعدة من (عيان) حتى نـزل منزلاً من بلدِ سفيـان يُقَال لـه الحِبْط[2] مع مـا يـراه الناس وتبيّن لهم من فضله وحُسْن سيـرته وفهمِـهِ وعَدْلِـهِ وبارِعِ عَلمـه ونُصْـرة الله له وتـوفيقِهِ في جميـع أموره، والبـركات التي هي معـه حتى أن عساكره ما يقطعون وادياً مُذ خرجوا من بلادِهِم ولا يطأون موطئاً إلَّا ومناهلُهُ وغُـدره من حَدَاثـة نزول المـطر أعداداً لاثمـاد فما عـدم عَسْكرُهُ مشـرباً ولا ازدحموا على مَنْهلٍ، فالحمد لله الـذي مَنَّ علينا ببعثتـه في عَصْرنـا وفَضَّلنا بالتّوفيق لطاعته على غَيْرنا، ورزقنـا السَّعي بين يديـه دون من شقي برَفْضِـهِ من أهل دَهْرِنا، فلما أمسى بعساكره في الحِبْط بَرَز فصلَّى بطائفة ممَّن قرب إليه مِن عَسْكره وأمسى هنالك وكـان في الليل وأمـر منادياً فنادى في جمـع

---

(١) تقرأ هذه اللفظة في الأصل هكذا (الكنانية).

(٢) هـو الحبط بكسر الحـاء المهملة وسكون اليـاء المعجمـة بنقـطة واحـدة من أسفـل والـطاء المعجمة ا.هـ. من هامش الأصل وانظر الحبط في صفة جزيرة العرب.: ١٦١.

العسكر وهو يَطُوف بهم محلة محلة، وهو يقول: إن الإمام القائم المنصور بالله أمر أن يَرْحل العسكر من هذا المنزل ثلاث كتائب فأوَّلاً مِنْهُنّ بكيل جميعاً مع أميرِهم وهو الشريف المطهر بن محمد بن المختار، وكان والياً ببلد بني دعام، وكان بنو الدعام رؤساء بكيل، والكتيبة التي ترحل بعدها وتتلوها وادعة ومن التفّ بها مع أميرها الشَّريف الحسين بن المختار، وتَرحل الكتيبة الثالثة بعدهم من أهل «البونين» و«الأخشاب» وتَكون «حمير» بين يدي الفرقة الثالثة، ونهض الإمام عليه السلام في خاصته في أعقاب الكتائب وأعطى كلَّ كتيبة لواءً، وكانت راياته التي مع أمرائه بيضاً، والرايات التي على رأسه بيضاً أيضاً، فلما أن صار بأَسَل[1] أمر من يوقف أوَّل الناس حتى تستوي تعابيهم ثم سار بالناس فلما أن كان بأعْلا الخانِق بوادي يُشرِف من بَرَزَ منه على قرية صَعدة، لقيه مُخبر فقال له: إني رأيت أول العساكر خِفافاً إلى مدينة صَعْدة فأمر الناس بالمسير على التّأييد وركض بجاوياً[2] كان تحته أشد الركض[3] حتى لحق أول العساكر فلقيه[4] عن القربة إلى مكان بيرسم[5] يسمى الجبجب فضرب مضاربه هنالك، ولقيه ابنه جعفر بعَسْكر قد كان جَمَعه من مِخلاف صَعْدة، وأتاه من نَجْران مع القائد سعيد ابن سراج فسلّموا على الإمام عليه السلام، ونزل بذلك المنزل، فلما كان من الغد أمر بدرب صعدة وهو حائط دون القرية فهُدِمَ، أَمَر بذلك أنفاراً قليلاً[6] ولم يطلق ذلك لكل العسكر خشية أن يطيش منهم طائشٌ فتخطى الخراب في البلد، فهدموا ذلك اليوم، ويوم الثاني وهو في ذلك يتوسَّل إلى الرَّبيعَة أن يَجْنَحوا لما يجب عليهم من الحكم على أخطائهم ويُكرّر إليهم ذلك إقامةً للحجة واستفتاحاً عليهم، وفي ذلك لا يكون مَرْجوعهم إلى أخبث مرجوع وإبانة للمعصية.

---

(١) أسل: واد من أعمال صعدة في بلاد دهمة (المقحفي: ٣٠).

(٢) جمل ينسب إلى بجاوة من أرض النوبة.

(٣) نسخة (ركض) من هامش الأصل.

(٤) أصلحه فوق الكلمة هكذا «مقلبة».

(٥) يرسم: أرض في الغرب الجنوبي من صعدة (المقحفي: ٧٠٩).

(٦) كذا في الأصل.

فلما كان يوم الثالث (رأى) من عَسْكره محبّة للنزول في القرية فخشي في ذلك مضرَّة الرَّعية فأقسم أن لا يُمسي آخر نهار إلَّا في بلاد الرّبيعة إن كانوا له طاعة وإلاَّ نزع يده من أيديهم فأسعدوه عند ذلك، وقال العسكر جميع: لا رأي لنا مع رأيك فاعزم على ما شئت نعزم بعزمك.

قَال الحسن بن أحمد بن يعقوب: فنهض يومَ الأحد من منزله ذلك حتى نزل بعساكره وَسط بلدِ الربيع في مكان يسمّى النقعة موضعاً متسعاً للمركز والخيول والجيوش، ونَهض لنهوضه جميع ولد الهادي بصعدة وكلُّ من كان هنالك من العساكر، وأَمر ولَدَهُ جعفر أن يقف بصَعْدة فلما نزل ونزل عَسْكرُهُ قام فبرز إلى بُقعة قريبة من مضربه للصلاة فأَذَّن مؤذنه وحضر معه من قاربه من عَسْكره، وصلَّى بصلاتِهِ يوسف بن يحيىٰ وجميع الشُّرفاء فانصرف من صلاتِهِ وقد تناصف الربيعة، ودَعَا للقتال مقاتليهم قريباً من عَسْكره، وهم في الجبل وعَسْكر الإمام عليه السلام في السَّهل، فلما رأى ذلك أمر الناس بقتالهم وحرّض عسكره على جهادهم، فأقبل طرف من العسكر بوجوههم لقتالهم وثبت في منزله وسائر عسكره ودعا الله بالنّصْر عليهم، فلما استوى القتال بينهم أتى الإمام عليه السلام محمد بن عثمان الحميري وعلي بن أبي ثعيل الهمداني في جماعتين جيدتين، فاستأذنا الإمام عليه السلام في القتال، وقالا: يا ابن رسول الله أقد حلَّ لنا سفك دمائهم، فقال لهم: أنا شريككم فيها فقاتلوا الفئة الباغية، وأمرهما أن يأخذا بأصحابهما شقاً عن المقاتل حتى يلووا على شنف[1] صَفّ القوم فَفَعَلوا ذلك فلم يكن بأوشك أن ولّى القوم، وأعطاه الله النّصر والظفر عسكر آبن نبيه عليهم فحملوا عليهم في ذلك، فكان ممّن حمل من الخيل عليهم في الجبل حتى طعنهم في أعلاه مالك بن عُراس من البون وفرسان معه فهزمُوهم وتابعوهم آخر عشيتهم، فقُتِل منهم نيف وسبعون قتيلاً، وحال الليل دونهم وذلك أن القتال وقع وقد حانت الشمس للغروب وخلّوا اتباعهم، وعادوا إلى إمامهم ومَرْكزهم، فلما كان الغد أتى إلى الإمام عليه

---

(١) كذا وسيأتي ذكر هذه اللفظة بشنف.

السلام أشياخٌ من عَسْكره منهم يوسف بن يحيىٰ فطلبوا إليه أن يعفوا عن بلدهم ولا يطأها بعَسْكره ولا يلحقهم بعد انهزامهم، فقال لهم عند ذلك: إما اتباعنا لمنهزمهم فإن سلاطين البغي بينهم ولِمَ عاد يذلوا فنترك إتباع مُنْهزمهم، وإما العفو عن تنكيلهم وإخرابِ بلدِهم ومنازلهم فاللَّهُ لا يرضى منا الرأفة بأعدائه ولا الشفقة عليهم وفيهم بَعْدُ قائم في مَمْلَكَتِهِ العَبْدانِ بعثر وسائر السَّلاطين من الظالمين، فَلَبِسَ لامتَهُ وركبَ، وأذن مؤذنه في العسكر بالمسير فساروا حتى وطىء بلدهم بعساكره وقد هَرَبوا عَنْها فَهَدَم حُصُونَهُم وغنم عَسْكره ما أجلوا عنه من أمتعَتِهِم، وأمر بخراب كثير من زروعهم وبِيَارِهِم وانقلب آخر نهارِهِ حتى نزل بالجبجب، وقال في غزوته هذه شعراً نسخته، صلوات الله عليه:

أقول لأصحابي ونحن بجانبٍ ... من الخَبْط تزهانا خيول العساكرِ
هل الجمع جمع المعشرين كجَمْعِنا ... ولا يزهدن فينا امرؤ غير خابرِ
فقالوا جميعاً ما رأيَنا كجمعنا ... ببطن منى محصي ولا بالمشاعرِ
فأكبرت حَمْدَ آللَّهِ ألفاً لحمده ... ولَسْت لما قد نِلتُهُ غير شاكرِ
سقى الله أقطارَ الحجازِ وأهلَهُ ... فلم يسعدوا مِنا بأيمن طائرِ
هُمُ زهدوا في كونِنا في بلادِهِم ... وكانوا ظهيراً بين بَاغٍ وخاسِرِ
فهل عوضوا منا المهنى ولم يكن ... بنا عوضاً عند الخطوب الجواهرِ
تمنيت أن الظَّاهري وحزبه ... لهم من جموع الحقل نظرة ناظِرِ
وحولي حماةٌ ليس خلق يروعهم ... لقد كرمت إحسان تلك العشائِرِ
أخايرُ من قحطان قاموا بنَصْرنا ... وحاموا علينا بين بَادٍ وحاضِرِ
وما خذلت أحيا نزارٍ وأنها ... لمن نُصرتي في وارد غير صادرِ
هلالٌ وأحيا خَثْعمٍ وقبائلٌ ... إذا انتسبت لم تنف عن نسل عامرِ
ولي مَعْشر نحو الحِجاز أعِزةٌ ... هم عزتي من قومنا وأخايري
متى رمتهم للغز أبدوا وجُوهَهُم ... وكافيتُ من يشناهم غير قاصِرِ
ومَلّكتُهُم شرق البلاد وغربَهَا ... وشاماتها بالله أكرم ناصِرِ
وإني لأَهْوَى أن يكونوا بأرضنا ... أُولي هجرةٍ محروسةٍ بالبصائِرِ
إذا ما غدونا للجهاد تبادرت ... عدانا ولم يحظوا بعلم النذائِرِ

وولّـوا هـزيمـاً في البـلاد وغـادروا دِيـارهمُـو مبـذولـةً للعسـاكِـرِ
كفعـل ازال والـربـيعـة غـرّهـم من البغي مـا أدنـاهُـمُ للمقـادِرِ
تكـالـوا بـأغـلافٍ وبـالثـور عـرّة لئن يُمنعـا من جيشنـا المتكـاثِـرِ
فمـا لبثـوا بعـد اللقـا أن تكشفـوا بسمـر القنـا والمـرْهفـات البـواتِـرِ
فلولا سـواد اللَّيـل أحجى هـزيمهم لبـاتـوا مـع الإخـوان لحمـاً لجـازِرِ
تقسمت العـرج الضبـاع لحـومهم وضلّت ذئـاب بعـد يـوم المسـامِـرِ
وبتنـا نِيَـامـاً ليس نخشى بيـاتهم وبـاتوا بخـوفٍ راتب في الضمـائـرِ
فلمـا بدا ضـوءٌ من الصبح أزمعـوا هـزيمـاً كـأرقـال النّعـام النـوافـرِ
فلم يلف منهم في الـدِّيـار مخبّـر سوى حضـرٍ قـد عـطلت وأبـائِـرِ
فصبحت خيلي حـرثهم وركـابنـا وغنمت جيشي ما خبوا في المحافِرِ
وأشعلت ناري في الحصون ونلتهـا بهَـدْمٍ فعـادت كـالتـلال الكنـادِرِ
كـأن لم يحـل الهـالكـونَ بجـوِّهـا ولم يهتنـوا منهـا بـطيب المعـامِـرِ
كـذا سيـرتي في النـاكثين وإنني لأعفـو ومنّي الصّفح عن كـل غادِرِ
ولـو لم تَخُن أجناد صعـدة لم أبح حِمَـاها وألقى خصبهـا في الجهاذِرِ
قـطعت أذاهم لا مبيـح لمحـرمٍ ولا مـال ميسـور[1] ولا مـال تاجـرِ
وصنت جميـع النـازلين بـأرضهـا فمـا نقصت أمـوال تلك المعـاشِـرِ
سوى رَوعة لـو كان لي في فكـاكها سبيـل لأُلْفـوني لهم غيـر ذَاعـرِ
رحلتُ على عـزٍ وقد نلت حـاجتي فَطَال بفعلي[2] أهل ودي ونـاصِري
وأصبحت في هَمْدان في رأس شامخ من الغـر إذ فـازوا بفخـر المُفـاخِـرِ
أولئـك أنصـاري فهـل من مفـاخِـر بمثلهم في النّـاس أو من مكـاثِـرِ
أتى الخبرُ المأثور عن سيد الـورى بِقـولٍ صحيحٍ في عتيق الـدّفـاتِرِ
بـأن لنـا في آخـر الـدهـر قـائمـاً تنـاصـره هَمْـدان أهـل النصـائِـرِ
تـدين لـه شـرق البـلادِ وغَـرْبُهـا وتهلك أعـداه بحتف المفـاخِـرِ
ترى بعض ما قـد قيل والكـل كائن بـرَغـمِ أعـادينَـا وفـوز المـؤازِرِ
فمن مبلغٌ همدان أن ليس ناصـري سـواهـا ولا عـاد لصـرم المكـاثِـرِ

(١) في هامش الأصل لعله (مسيور).
(٢) كذا تقرأ في الأصل هذه اللفظة.

إذا نهضت هَمْدان لم أُلفِ قاعداً وإن قعدت لم أُلفِ لي من مُنَاصِرِ
فَيَا حيَّ همدان الكرام تأهّبوا فلي همة تأبى على كل فاجِرِ
أرى كل عاصٍ يكره الحق مخلداً يناصر ما يهوى وليس بضائِرِ
سأترك أبناء المجوس أذلةً كما تركوا دينَ الهدى غير ظاهِرِ
وأُعلي جميع النّاصرين لديننا على من يُنَاويهم ورغم المماكِرِ
سَبَا مُلكَنَا أولادُ كُلِّ بَغِيَّةٍ وباغٍ فحازوا ملكنا حوز جائِرِ
وظاهرهم من كل حي شرارُهُم فما سَعدوا مع فُسقهم بالتظافِرِ
عسى الله أن يرتاح يوماً لدينه فيظهر مظلوم على كل غادِرِ
وينصر أشياع النّبي ورَهْطِهِ على كل باغٍ مُولَعٍ بالكبائِرِ
فينتشر الدّينُ الحنيفي في الورى ولا يُقتدَى إلاّ بأطهر طاهِرِ
وينفذ في كل البرية أمرنا وإن رغمت آناف قوم أباتِرِ
فيا ليت شعري هل أبيتن ليلةً بِطَيْبَةَ أو دور العقيقِ الأيَاسِرِ
بعزٍ يكونُ الذلّ عنه بمعزلٍ وشيعةِ صدق ذكرها في المآثِرِ
وهل أنزلن من بين أطيب منزل أدوّر في تلك الحتوف الدواثِرِ
ونَسْتأنس الصيد الذي قد عهدته بحوزة مخل بين لاءٍ ونافِرِ
وهل أنظرن القاع والفرش نظرة وقد عَهدا بعد الحيا المتظاهِرِ
وهل أتنشى وارس الرمث مصبحاً بحذرة ذا حفصٍ بها غير ساتِرِ
يثوب الينا المعتفون لنيلنا ويطرقنا ما بين ضيفٍ وزائِرِ
وهل يرجع الحي الذين عهدتهم لدى الفرع يسعى نحوهم بالبشائِرِ
منازل قد كنا قديماً نحلّها وآباؤنا من أولٍ قبل آخِرِ
سقى الله تلك الدار والسّلف الذي لدى أقبر فيها لخير الأخايِرِ

تمت قصيدة الإمام عليه السلام

وقال في هذه الغزاة أيضاً رجل من اليمن وهو إسماعيل بن علي :

ألا أقصرا عني لأمكما الهَبَل وكفّا عتابي في الملامة والعذل
ملامكما لي عنوةٌ فتجنَّبا ملام فتى عن ثوبه العار قد غُسِل
دعاني فقد أقصرت عن طرق الصبا وتبت عن الزلّات واللّهوِ والغَزَل

أراني مشغـوفـاً بحب فضيلةٍ وقد جاز عنها اليأس وانقطع الأمل
أعـاتب حادِيهـا وأنـدب دارهـا وهل يرعوي الحادي لئن حلَّ أورحل
ويوم افتراق الحاد يوم فـراقنا لأحبابنا لا عاش حادٍ ولا جمل
وقـائِلَةٍ لي كيف حالـك بعدنـا هلمَّ فجابرنا فقد طالت الطول
أقد هَدَم المنصور آطام صَعْدةٍ وأنكـر في نقض اللَّزامة أو قتل
فقلت لها سرباً عريضاً عرمرماً كعارض عاد ينسف السهل والجبل
عريضاً من البونين حوباً مجلجلاً يعزّ على من زار أوطانـه الحبل
بـوارقـه لمع الصَّوارم والقنا وراعده زجر الصَّواهل والزجل
ومَـدّ لـه من أرض أقيـان[١] سَيْله ومن أرض نشَّان[٢] تنصف واستقل[٣]
ومن ولد المظلوم جـرّ سحائبـاً وأسْبل في بلد ابن سفيان واستهل
فلما لبِسْنا السَّرْد والتفّ جيشنا وصِرْنا بجنح اللَّيل في الخِبْط والعَقل
وشنت سواريه بكيل وحَاشد بكل صبيح الخد ضِرغامة بطل
يقود بنا حامي الحقيقة ماجد حليف الندا المنصور والسَّيد الأجل
أبـوه رَسُول الله لولاه لم نَكن لِنَعْلم ما دفع الزكاة ولم نصل
فصلَّى عليه الله ما ذر شارق وصلَّى على أرواح آبائه الأول
وفينا رباط الخيل والرعف والقنا وفينا ذوو الرأي المراجيح والجهل
ولا نعد للهيجاء إلاَّ مجاهل فـرب حليم دَبّر الأمر فاعتزل
لنا عارض بالغيل أول خيله وآخر شعث الخيل تطلع من أسل
ذلفنا إلى أوطان صعدة جهرةً ورايـاتنا فوق العجاجات كالظّلل
وقد هربوا أرض (الربيعة) أهلها وقد سلّموا البيض الكواعب والثقل
فلم نتكشَّف خيفة العار محرَماً ولم يلهنا عن حرب أعدائنا الخَوَل
مَشَينا إلى أرض (الربيعة) غارةً شمارس شوساً ليس يفزعنا الوَهل
وقد هبطوا مثل الزَّنابير للّقا وهم بين ذي الترس المفلّس والمحل

---

(١) أقيان: مخلاف يعرف الآن بناحية شبام كوكبان وثلا وما إليها (المقحفي: ٤٣).

(٢) اسم موضع لم أجده في صفة جزيرة العرب. ونشان وردت في النصوص الحميرية لبلد السودا من وادي الجوف أنظر: نقوش خشبية: ٢٤.

(٣) كذا في الأصل.

بصعب المراقي يحسر الطرف دونه ... مـع النجم لو دبّ الـذباب بـه لزل
علينـا من المـاذي كـل حصينـةٍ ... فليس يـرى للدارعين سوى المُقَـل
فـمـا كـان إلاَّ أن دلفنـا إليـهـمُ ... وقد خضب السربان واختلف الأسل
وقـد قـطرت منهم صفـائحنا دمـاً ... وربـان سربـان الـربيعـة قـد هـطل
فلمـا رأيت الأمـر قـد جدَّ جـدّه ... ودارت كؤوس الموت واقترب الأجل
هتفت بهمـدان ابن زيد بن مـالـك ... بقومٍ يرون الموت أحلى من العَسل
وكـان اعتناقـاً بـالصّـوارم والقنا ... منـازلـة الأبـطال والمـوت قـد نـزل
فلمـا تـوجّهنـا تـولـوا جِبَـالَهم ... فلم ينجهم منـا قـرارٌ ولا جبـل
فصَـار لأطـراف الـرمـاح نحـورهم ... وللبيض هـامـات الـرّبيعـة والقُلل
وحـال سواد اللَّيـل من دون من بقا ... ولـولاه لم نسأم طـراداً ولم نمـل
وبتنـا نيـامـاً بيـن لحـم متـرب ... بوادي علاف[1] في الأراجيز والرَّمـل
وعـدنا صبـاحاً فـاستبحنا حصـونهم ... ورحنـا بحل طـال ما كـان لم يُحل

تمّت ولله الحمد كثيراً.

وقال أيضاً في ذلك الحسين بن أحمد بن يعقوب[2]:

ذكـراك أرّقـنـي وصـحـبـي نـوَّم ... وهـواك مني في الحشـا يتـضـرَّمُ
علّقت منـك محـاسنـاً صيـرنني ... لا أستفيـق مـن الـهـوى أتَـكَـلَّمُ
قـد شـاقني حبيـك ثم صـرفتـه ... إذ عـاقـنـي أمـرٌ لـدي مـقـدَّمُ
فَـرْض الجهـاد على العبـاد مؤكـدٌ ... أولـى من الأهـوَى ومـمّـا يـذمـمُ
ربط الـعبـاد الـهـاشمي ببيعـةٍ ... لـزمت جميـع الخلق فيمـا يلزَمُ
القـاسم المنصـور والنَّصـر الـذي ... فتق الـرتوقَ وكـل مـا يُستبهمُ[3]
فبغى رعـاع من عـشيـر غـرهـم ... عفـو الإمـام وفي الخَـطاء تقدمـوا
فـثنى عليـهم عـطفـه وجميـلَهُ ... ودَعـاهم أن ينصفـوا ويحكّمـوا
فتغلبـوا واعصَـوْصَبـوا وتكبّـروا ... عن أن يجيبـوا قـولـه واستعصمُـوا

---

(١) في الأصل غلاف بالعين المعجمة وأثبتناه من الصفة قال وادي علاف من أودية صعدة (صفة جزيرة العرب: ١٦٣).

(٢) مؤلف الكتاب وهذه القصيدة أوردها ابن أبي الرجال في مطلع البدور ١: ٧٧ (ترجمة المذكور).

(٣) الأصل «يستهم» وأصلحناه من مطلع البدور.

وتعاضدوا في الجحد عن مخطيهم   سَفهاً وقالوا ليس منا مجرمُ
فدعا بكهلانَ ونادى حميراً   فأجاب دعوته الكرام الغشمُ
من فوق جردٍ كالصقور وفتية   الموت عندهم تراه المغنمُ[(١)]
حتى إذا اجتمعت قبائل كلها   من حي همدانٍ وحمير يمَمُوا
حيث الخطية أحدقت من فوقهم   طير السَّماء لإلْف ما قد تعْلمُ
يغشون متّضع البلاد وحزنها   كالموج يَعْتسف الأكامَ ويلهمُ
من فوقهم تركية[(٢)] ومغافرٌ   والسّمر تلمع والحديد المبهمُ
فبدَا بحصن لم يزينوا أهله   نِعمَ الإله فدكدكوه وهَدَّمُوا
وثَنوا أعنتها علافاً ممسياً   والجمع منتظر لهم مستلئمُ
من حي نجر والربيعة كلها   وبني أزالٍ كلهم متقدّمُ
للضّرب فاختلفوا وقالوا دوننا   هِندية فيها الحمام وأسْهمُ
والثّور عندهم حصين مانعٌ   لهم وأن حماه مِمَّا يَسْلمُ
فتذامرت قومي السّراة فلم يكن   إلَّا قليلًا واستبيح المحرَمُ
أمسوا بها صرعَى تنوش لحومَهم   عرج الضباع فهم لديها مَغْنمُ
لولا ظلام اللّيل أسْدل دونهم   لم يَبْق منهم مخبرٌ يتكلَّمُ
خابت ظنونُهم وأصْبح ثورهم   باحاً يحرق بالنيار ويهدمُ
جاسوا دِيارهم وخَلوا حصنهم   دكاً يباباً والمعاطس رُغّمُ
وتقسموا أموالَهم وظنينهم   ومغانِماً ما كن قدماً تُغْنمُ
ثم انثنوا والخط فوق رقابهم   وسيوفهم من هامهم فيها الدمُ
ونساؤهم سفع الخدود حواسر   شعث[(٣)] الغدائر للمحاسن تلطمُ
يبكين كل فتى أبيح حريمه   وتناولته البيض فهو مخدّمُ
هذا جزاء الناكثين لبيعةٍ   لم يؤذِهم منها سبيل يعلمُ

تمّت وللّه الحمد كثيراً.

---

(١) الأصل «فذا هو مغنم». وأثبتناه من مطلع البدور.
(٢) كذا تقرأ هذه اللفظة في الأصل.
(٣) في متن الكتاب نفث وأصلحها بالهامش هكذا.

ثم نهض الإمام عليه السلام من الجَبْجَب بعسكره حتى نـزل بِصَعْدة فنزل بها وصَرَف من قربَ من عَسْكره بَلده فأقام بها بمن تـأخر من عَسْكـره كل ذلك أهـل البلد معهم في أمان واطمئنـان لا يروع منهم صغيـر ولا كَبير ولا يظلم تاجر ولا بائع، والعَسْكر تجري عليهم المؤنة على خيلهم ورِجْلهم من بيت مـال المسلمين، ثم رحل بعـد مقامـه بها أيـاماً اليمن، وفضّ على عَسْكره من الخيل والرِّجل بِرّاً لهم وزاداً من بيت مال المسلمين، كـلاً على قدر ما رأى الإمام عليه السلام.

وكـان نهـوضـه من صَعْـدة يـوم الاثنين لخمس خَلَون من شهـر ربيـع الآخر فأمسى آخـر يومـه الحبط ونَزَل بـه وأمسى رحلته[1] من الحبط بعيـان وصَرف عساكـره بلدانهم، وأهل اليمن يـواترون كتبهم في المَسْـألة أن يـطأ بلداً لهم ويُثبت الـولاة عليهم في صَنْعـاء ومخـاليفهـا، وسـألـه إذ[2] ذلــك المعـاملة أبو جعفـر بن قيس بن الضحاك[3] وكـان رئيس همدان في ذلـك العَصْر فأسعد الجميع منهم وراسم ابن قيس بِرَسْمٍ من جبا مخـلاف صنعاء يجـري له من الجبـا وذلـك ربـع الخـراج، فلمـا تمّ ذلـك بينـه وبينـه ردّوا جوابات كتب هَمْدان بإسعاف مَسْألتهم، وكتب مَنشوراً إليهم فيه شرط ولايته عليهم وخِدْمتهم له أرسـل به إليهم ابن عمّـه الحسن بن عيسىٰ بن عبد الله الرسي، وحسين وأحمد بن يعقوب الهمداني فوصلا به إلى البون، والبـون إذ ذلك[4] معكد[5] الجند وكثرة هَمْدان، نسخة المنشور:

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد للّهِ أولى من حمد وأطيع وعُبد وقدّس ومجّد نحمده لِعظم جلالِهِ ونحلِ عليه الثناء لعميم إفضـاله ونتـوكل عليـه[6] تعرضاً لِنَواله ونشهد أن لا إله إلاَّ الله وَحْـده لا شريـك له ونشهـد أن محمداً

---

(١) في الأصل: كتبها «رحلة» ثم أصلحها هكذا.

(٢) كذا في الأصل ولعل إذ زائدة.

(٣) من زعماء همدان انظر أخباره في تاريخ صنعاء لابن جرير بتحقيقنا.

(٤) كذا كسابقه صوابه إذ ذاك.

(٥) معكد الجند ملجأهم. المعكد: الملجأ.

(٦) نسخة «نتوصل إليه» من هامش الأصل.

عبده ورَسُوله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم تسليماً مباركاً طيباً.

وبعد يا أهل نحلتنا وأخصّ البرية بولايتنا وأولاها بمودّتنا فإنه لا قوام لعزِّنا ولا ملتزم لملكنا ولا عزّ لسلطانِنا إلاَّ بالله بُدئاً ثم بكم إذ أنتم القائمون بذلك والحاملون له والمعينون له من دون كافة العشائر خاصَّها وعامها، وقد أراد أخوكم مساعدتكم فيما قد سألتموه من الاتّصال بكم والسيرة في بلادكم، والنظر في أحوالكم والتسديد لأمورِكم وأراد من قبل ذلك أن يعرفكم بما قد نوى من رأيه ليطلع ذلك إليكم ويستظهر من رأيكم لما هو خفي عنه منكم فإن يقابل الرّأي بما فيه الاتفاق والمساعدة، أخذ في العزيمة، وكان من أمر الله على بصيرة، وإن لم تَجرِ الأحوال وعائذاً بالله من ذلك باتفاق لم نبدِ وجهَهُ لحال يدخل عليه فيما يلي مِصْره ويدخل عليكم في أنفسكم معتبةً ويدخل على أعداء الحق مسرَّة ومن يريد الفرقة فلذلك ومن أجله أردت مخاطبتكم ومشاورتكم في جميع ما يخطر ببالي وفيما نذكر عنكم واطلاع ما عِندكم، وأول ما أعرفكم وأتحدث معكم فيه ما قد يبلغني أنكم عليه قد يُقال إن اتصالكم بالسُّلطان ما اتصلت عطيته لكم فإذا أخلّ به حال أولاً وعليه عطاء فارقتموه، وهذا حال إن كان منكم إليَّ وعائذ بالله لي ولكم من ذلك لم يتعلق بي من بعده أحد ولم أتعلّق به، وكان سبباً لفساد ما قد صلح من العباد والبلاد، وهذا حال لا نكرة عليكم فيه إذا لم يكن من السلطان بما يجب لكم استقامة ولم يكن له فيما دافعكم من دونه معذرة، فأما الذي أعرفكم من رأيي وسيرتي فيكم إذا كنت سُلطانكم والوالي عليكم فإني أطلب منكما ثلاثاً ولكم مني ثلاث، فاللّواتي منكم حُسنُ طاعتكم وأن لا تَغُلُّوا عليّ شيئاً من زكواتكم وأن لا تتأخّروا عن دعوتي، ولكم عليَّ أن لا أسألكم طاعتي في شيء من معاصي الله ولا في شيء يخالِف عن أمر الله وأن أصرف زكواتِكم اللاّتي آخذ منكم في فقرائكم وما يعود في صلاح حكم أرسم ذلك الرسم منها برسْمِهِ ولا أعري من لا رسم له من حظّه ولمن خدمني منكم العوض عمّا يعزم على نفسه وفرسه بالمعروف ولمدة مقامه في الخدمة قلَّ ذلك أو كثر، وقد ذكر لي منكم أنكم على صوافٍ وبأيديكم مخاليف لكم جباها وتطلبون تحطيط ما

يجب عليكم فيما سواها، فأما الصوافي فلي فيها سيرة لا أنزعها ممّن هي في يده ما اسْتقام وكان منه على إصْلاح الإسْلام مساعدةً وتماماً، وأما جبايات المخاليف وحطيط الواجبات ففي ذلك عطلة السّلطان وخلوُّ يده ممّا يطلب منه من الأرْزاق والنَّفقات فهذا الحال إن كان له تَحْويل دَخَلْتُ مع أهله وسِرْتُ فيهم بما ذكرتُ، وإن لم يكن له تَحويل لم يكن لي على مثلِ ما هنا مَدْخل يحسن بي الدّخول فيه وعذرني كافة الناس في أن لا أدخل معكم على حال يخالف حكمَ الله وسنّة رسوله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم، ووجه آخر يذكر عنكم وذلك أن الذي يحصل من الواجبات يَجْري مجرى النَّهب فلا لِلْوَالي ولا لكم، وهذا حال فإذا كان كذلك فليس الأمر إلَّا من قلة الحزم في الرأي من اتهام الوالي بحوز ذلك لنفسه، فإذا كان أي دين جرت الأحوال على ما قد يذكر من ذلك، وأنا أسأل الجماعة رعاهم الله إذا وقع الاتفاق بأن أكون واليَهم حالاً بقطع ما في ذلك من الفعل القبيح وأوجب لهم من نفسي حالاً تطمئن إليه أنفسهم ولا يكون منهم من بعده عجلة في أمورهم، الذي أسألهم أن لا يسألوني شيئاً عمّا يجب لهم وما لا يجب حتى يتوافى خَراجهم وتتصَرّم واجباتهم وتحيط بتحصيلها وما يأتي فيها من الثمرة الخزائن، وأما ما أوجب لكم فإني أنظر ما يحصل من خَراجكم فإن وافق الجبا ما عليه من الخَراج، قصصت ذلك على الرسم المرسوم وإن قصر على الرّسم حَططنا كلًّا بقدر ما يلحق من النقصيّة في ذلك من بعد أَجر مُسْتخرجيه ومؤن السّعاة عليه ولا أسألكم أن يصير إلي من ذلك إلَّا ما يبقى عن الرُّسوم وذلك مَصْروف في وجوهه ونتبع من ذلك ما قال الله لنبيه صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم: ﴿قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجري إلَّا على الله﴾[1] ويُذكر أيضاً أن بينكم تنافُساً في الأعطِيَة حتى كل رجل يريد أن يكون أولى بالأثرة. فإن لم يفعل له ذلك تسبب للفساد وتعرّض للعناد، وإن كان ذلك فهذا حال لا يحاط به ولا يصحّ فعله لفاعله والذي قد أحيط به واطلع بفعله أن أحْمل ذا الرّسم على

---

(١) الآية: ٤٧، سورة سبأ.

رسمه بلا زيادة ولا نقصان وأن أتسبّب في نفع من لا يرسم له فيما بقي[1] عن المرسوم وفيما يكون بيدي إذا رغبت في استخدامه ورغب في خِدْمتي ولم يكن له معارضة في أحذاري بفضيلة وآثرته من دونه، وقد يقال أيضاً إن ممّن قبلكم رجالاً متّصلين بسلاطين إذا أرادوا الفساد لكم والتفريق لجمعكم قاموا لهم بذلك وهذا فمن أكبر الفساد وأشدّه مضرةً على العباد وهل في المضار أكبر عند الله من تفريق المؤمنين وقضاءِ حوائج الظالمين وما ندرك على من أحفل[2] صيانته، ولم يرعَ أمانتَهُ إلى أن يجعل الله بيننا وبينه، ونأخذ عهدَه بأن لا يذغلنا بذغل **﴿فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيُؤتيه أجراً عظيماً﴾** ومن دون هذه الأحوال أحوالٌ تذكر فليس نحتاج إلى ذكرها، وإن كانت كما يقال فضررها غير داخل بفسادٍ على دولتنا، وجملة ما قد أريد أن أفعل معكم وتفعلون معي ما قد ذكرت لكم، فإن صلح لكم ذلك دخلتم معي مَدْخلاً صحيحاً وإن لم يصلح لكم ما ذكرت كنت على استقامة من رأيي، وكنت على بصيرة من أموركم غير ملومين في ولاية من تولُّون عليكم ولا فيما تفعلون في أنفسكم وأموالكم، وكان ذلك حال لا يُفرق بيننا وبينكم بل نكونُ إخواناً كما قد نحن نَتنافع ونتعاشرُ ولا يذكرُ بعضُنا من بعض حالاً يغم، ولا تخبث له أنفس الجميع منا والله يُوَفّقنا جميعاً لما فيه الخيرة ويصلحنا ويصلح بنا الفاسد من عباده إنه على ما يشاء قدير، حسْبي الله وكفى ونعم الوكيل، والسَّلام عليكم ورحمة الله وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وسلَّم.

قال الحسين بن أحمد: فلما اسْتَمَعُوه قام أشياخهم فاَشتَوَرُوا ثم عاودوا وأقبلوا بالجواب على رسول الإمام عليه السلام فقالوا جميعاً: نُسعد إمامَنا ونتبع رأي ابن نبينا ولا نخالفه إلى غير ما يطلب منّا وتَعودُ به المصلحة علينا، وتكلّم شيخان من مشايخهم يقال لهما عراس ابن وسحي وزنيخ بن حماد، فقالاَ: قد نراكم أذعَنْتم بأجمعكم وعاد من الرأي أن

(١) في نسخة فيما يبقى (من هامش الأصل).
(٢) كذا في الأصل. وتقرأ أيضاً «أحف لصيانته».
(٣) الآية: ١٠، سورة الفتح.

نشاور السلطان أحمد بن قيس بن الضحاك ويكون عقدنا لرسل الإمام عن رأيه فقال الجماعة مجيبين لهما: نحن على رأينا وأمرنا في أيدينا وليس عادَنا نُملِك أحداً أنفسنا غير ابن نبينا، فتكلّم الشريف الحسن بن عيسىٰ فقال: أيها الجماعة لا تختلفوا في القول فلو علم الإمام صلوات الله عليه أن أمركم إلى غيركم لخاطبه دُونكم، ولكنه علم أن رأيكم إليكم فجعل الخطاب لكم، والسُّلطان أبو جعفر أحمد بن قيس أيّده الله فبمعاملته بدأ الإمام عليه السلام، وقد صلح الحال فيما بينهما، فأجمع الجميع منهم على السّمع والطاعة للإمام وألقوا ذلك من ألسنتهم إلى رسوليه ورَدّوا معهما جواباً بالسّمع والطاعة والقبول لكل ما عرض عليهم والدخول بكل ما شرط لهم.

فلما وقف الإمام عليه السلام على ذلك منهم أجمع رأيه على المصير إلى بلدهم، ووقف أياماً يثبت ولاة بلدة بكيل ويصلح أحوالهم، وقد كان أمر الحسين بن أحمد بن يعقوب بالحكم، فحضرته بين المسلمين وكتب عهداً في ذلك نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم، تمثل يا أخي يا أبا عبدالله الحسين بن أحمد بن يعقوب في القضاء بين الناس والنظر بين الخصوم أن تَجْعَل تقوى الله نَصب عينيك فإن تقوى الله من جعلها له جنة ورعاها حق رعايتها[1] دعاه ذلك إلى التيقظ من الغفلة والاحتراس من الذلّة، ولم يأمر عبدٌ نفسه عن التّقوى والورع في الدنيا فزلّت به قدم إلّا ثبّته الله بقدم، والنّاس يحبُّون من اتبع أهواءهم ويثقل عليهم من حَمَلَهُم على الحق وإن ساءهم، فإياك أن تتبع في حكمك الهَوَى أو تضاهي من أمورهم الدنيا ما لا يبقى فإن الله أدّب نبيَّه داؤد صلّى الله عليه فقال عزّ وجلّ: ﴿**فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله**﴾[2] وإذا وقع بين يديك الحُكُومة

---

(١) نسخة (الرعاية) من هامش الأصل.

(٢) الآية: ٢٦، سورة ص.

واستمعتَ الخصوم لم تعجل بالحكم حتى يحل ذلك في فكرك ويستنصح نظرك والله يوفقك ويرشدك، وكل حكم يتنازع فيه الخصوم فجملته الدعوى والشهادة والهبات والإصلاح وكل مدعٍ فعليه البَيِّنة وعلى الجاحد اليمين ولا يطالب حائز المتاع ببينةٍ، وإن كانت معه لم يُحكم له بها والحوز أولَى من البينة إلَّا حوز الوارث والشَّريك أو ما ينشى الخصمان فيه من الحوز، فإن هؤلاء الثلاثة يطالبون بالبينة كلهم الحائز والمحوز عليه والشّهادات، فلا يصحّ منها إلَّا من قال له المشهود عليه أشهد علي بذا وداخلاً شهادة من شهد بما يوجب حداً أو أدباً فإن الشهادة تثبت على المشهود عليه بلا أن يشهد على نفسه، والصلح فلا يصلح في حال يعرف فيه الغبنيّة على أحد المصطلحين لأن ذلك يحلّ ما حرّم الله، وصحة الصّلح ولا يكون إلَّا فيما لم يبق لأيَّ الخصمين فيه حق، فإذا التبست الشّبهة ولم يعرف الحق لمن هو حسن الصلح والهبات كلها مردودة إلَّا هبةً كوفي عنها أو هبةً جعلت للَّه مثل سقي ماءٍ أو إطعام طعام أو غيره غير معين عليه.

قال الحسين بن أحمد: هذه النسخة نسختها من خط الإمام صلوات الله عليه، ثم وصل الإمام (عليه السلام) أشياخ من بني الدّعام من أهل الجوف فسألوه أن يطأ بلدهم ويعهد عليهم ويشدّد على ولاتهم من قبل نهوضه اليمن، وأرادوا أن يتباركوا بوطئه بلدهم فأجابهم إلى ذلك، وكان نهوضه إليهم لأربع خلون من شهر جمادى الأولى من سنة تسع وثمانين وثلاث مئة سنة في عَسْكر من بكيل وجماعة من المهاجرين، أمسى آخر يومه في بلدٍ تسمى المراشي[1] ما بين غُرَّق[2] وعيان نزل بها عند شيخ من سفيان يقال له مُشَرق، ونهض من الغد فتلقاه بنو الدعام في جمع كثيرٍ من أهل بلدهم وجميع عشائرهم وكان واليهم في بلدهم الشَّريف المطهَّر بن محمد بن المختار، فجعل الإمام (عليه السلام) نزوله في الجوف في دار

---

(١) المراشي: بلدة تقع في الشمال الشرقي لحرف سفيان.
(٢) غرق: واد وقرية بالجوف الأعلى وقرية غرق هي ما تسمي الآن سوق دعام «رضوان السيد: ١٤٤». وانظر منتخبات شمس العلوم: ٢٠ قال: ووادي غرق هو الجوف.

الشريف لأن يَرْضى بنو الدعام ولا يغضب منهم من نزل على غيره[1] فأقام بها أياماً يقوم أمورهم ويَصْرف أحوالهم في ذلك، تفد إليه في ذلك قبائل للطاعة فيَقْبلهم ويأخذ البيعةَ عليهم، فلما أن تمّت له طاعتهم ولّى عليهم رجلاً حسنياً يسمّى سليمان بن صالح وجعل مثبت ولايته بنشان، وكان الإمام (عليه السلام) يوم قدوم بني الدعام لقيوه في عرب كثير وجماعة وافرة من خواليهم ولقيوه وهم عطاش إلى رؤيته والسَّلام عليه، وكانوا عرباً جاهلين بالأدب والوقار، فانهد جميعهم للسلام عليه، وسلاحهم مشهور فازدحموا على الإمام عليه السلام وهو على بجاويّه[2] فدافعهم عن أذى الإمام من كان تحت ركابه من بني سلمان والمهاجرين حتى التبس الناس وتهاووا، ووقع بينهم الضَّرب في الجحف، فلما رأى الإمام (عليه السلام) ذلك زجر البجاوي يشق جماعة والناس تحته وأناف بكمّهِ فانهد النَّاس للمَسْرى وسكتوا عن القتال. فلما هوّن في مسيره عادوا لِمِثْل ذلك فزجر بجَاويَّه[3] ذلك حتى سكن الناس واطمأنوا، وصاروا يسلّمون عليه مُتفاوتين ويتمسّحون بثيابه حتى وصل القرية ونهض من غرق معاوداً (عيان) بعد مقام ثمانية أيام فأمسى بِعُدوة[4] وادٍ لقطع الطَّريق من شرقيه، فلما أمسوا بمكانهم ذلك أخالوا خطر المساقي الوادي فأمر الإمام النَّاس أن ينتقلوا عُدوة الوادي القُصْوى خوفاً أن يقطع بهم السَّهل، فلما وصل (عيان) تواترت إليه كُتب أهل (البون) وأهل اليمن جميعاً يستعجلوه لملك بلدهم، ويثبت الولاة عليهم.

قال الحسين بن أحمد: فلما عزم بالمسير اليمن أرسل لمن بعد من بكيل للمسير معه ولأنفار منهم فارتحل اليمن في شكل من خمس مئة رجل، وكان نهوضه يوم السَّبت لخمس باقية من شهر جمادى الأولى بَعْد

---

(١) كذا ولعل في الجملة سقطا.

(٢) بجاويه: جمل معروف (سبق ذكره).

(٣) في الأصل بخاويه بالخاء المعجمة فيفهم.

(٤) عدوة الوادي: شاطىء الوادي وجانبه.

زوال الشَّمس، ووفد إليه في يومه هذا عند نهوضه الشَّريف القاسم[1] بن الحسين الزَّيدي الحسيني وكان محلّه الطّائف[2] في خيل وركائب من صحابته وغيرهم من بلد (خثعم) فأمر الإمام عليه السَّلام بقرائهم ساعة وصولهم، وأمرهم بالنّهوض معه، واعتذر إليهم فقال: من الجفا أن ننهض عند مأْتاكم ووصولكم، إلَّا أني قد وَعَدْت بنهوضي - يعني هذا - وعزمت عليه فلا تظنوا بنا إلَّا ذلك، فأكثروا شكره وجلوا عذره، وبرز آخر عشيته إلى مكان يسمى الجدنية[3] ، وباتَ بها، وكان من الغد ونهض فتلقاه أهل خيوان وسألوه أن يأذن لهم في كرامَة أصحابه وبالنّزول عليهم فأجابهم إلى ذلك، وأمر بأن يَنْزلوا أضيافه وعسكره فإذا تكاملوا نزل، وجَعَل منزله بعد فراغ نُزُول أصحابه واطمئنانه في دار المسلم بن زيد، وذلك لأنه تقدم إليه قبل أهل خيوان، فأوجب له في النزول عليه، ونهض من خَيْوان فنزل بالمَصْرع للقاء بني ربيعة فأتوه فسلَّموا عليه، وعاودوا قُرَاهم فأتوه بِقِرائه في موضعه له ولعسكره تلك اللَّيلة، ونهض من الغد إلى وسط بلدهم وسُوقٍ كان يجمعهم يسمَّى الحَضَن[4] فأصلح بينهم في ضغائن ودماءٍ كانت متقدمة قبله بينهم وأطفى إحناً كانت في قلوبهم من بعضهم على بعض، وافترقوا عَسْكره في بلدانهم فأكرموهم، وكان منزل الإمام (عليه السلام) عند الشريف الحسين بن المختار بالحَضَن، وكان من الغد واجتمع إليه عَسْكره وبنو ربيعة، ونهض إلى أثَافت[5]، فوجد بني صريم قد أجفلوا في لقائه لكرامته والسلام عليه، ومسيره هذا أول مسير سار هنالك، وكان بين بني

---

(١) هو من أشهر رجال ذلك الوقت وصاحب مشاركة كبيرة في أحداث عصره انظر ما أورده صاحب تاريخ صنعاء (بتحقيقنا).

(٢) في معجم المقحفي: الطائف قرية في المدان من أعمال شهارة فلعلها المذكورة هنا انظر (معجم البلدان والقبائل اليمنية) وضع إبراهيم أحمد المقحفي: ٤٠١.

(٣) لم أجد هذه الموضع في كتب المعاجم اليمنية.

(٤) الحضن: اسم لعدة مواضع ولعل المقصود هنا هو حَضَن وادعة قضاء خمر انظر (رضوان السيد: ٢٥٧٠).

(٥) في الأصل (أثاقب) ثم أصلحها أثافت وأثافت بالثاء المثلثة والفاء الموحدة والتاء المثناة من فوق آخره بلد بالقرب من دماج شرقي خمر «رضوان السيد: ٧٩».

صريم وبني ربيعة فِتن متقدمة ودماء كثيرة، فلما اقترب الجيشان وَصَل الإمام فسلّم على بني صُريم وجماعة من أهل بيتِهِ وهو على فرسه ثم أناف بالجميع بكمّه فخَلَطهم، وهَدَم الفتن التي كانت من قبله بَيْنَهم، ثم أذَّن داعيه في بني ربيعة بعد أن اختلطوا وساروا معاً مليّاً: أن احضروا إلى الإمام، فحضروا فشكرهم وأثنى عليهم وأذن لهم بالانصراف إلى بلدهم إلاّ من أشياخ يحتاج إلى صحابتهم ورأيهم فانصرفوا، وقدم وأمسى بأثافت وأنزل به عسكره، ونزل في منزل صاحب له يقال له محمد بن الدقيق، ثم نهض منها من الغد يُريد (البون) فلما أن صار بحذَا قرى بني صريم أقبلوا إلى الأمام (عليه السلام) من بين يديه فقالوا: يا ابن رسول الله مررتَ بلاد عشائرنا وشَرَّفتهم بمحلك عليهم، ونحن نَسْألك أن توجب لنا في هذه الليلة في كرامة عَسْكرك وأن نتبارك بمنزلك علينا، فأوجب لهم في ذلك وجعل منزله في دار معمر بني غنيمة، وكان في ذلك العصر رئيسهم، فبات عندهم ثم سرى آخر اللَّيل حتى أصبح بأعلا نقيل[١] عجيب لأربع خالية من جمادى الآخرة فلما أسْهل من النَّقيل وضَرَب مضاربه بأعلا غُولة عجيب حتى أضاء النهار وتتالى إليه قبائل هَمْدان والبونين والأخشاب ثم نهض (عليه السلام) في لقائهم، فلما أن قرب منهم وقد صفوا صفاً سدّ ما بين الجبلين خيله يطلع ألف فارس ورجله ما لا يحصى له عدد في السِّلاح النقيَّة والعدد السنية، وقد كنف أيضاً العَسْكر الذي معه بمن قد صار فيه من قبائل وادعة مع بكيل وغيرهم من العرب.

قال الحسين بن أحمد: فلقد كان في ذلك النَّهار منظرٌ عظيم من كثرة الجيوش والعساكر حتى لقد غُصَّ عجيب بالنّاس وصار من يدخل قلبه الرّعب من هول ما يرى يأوي الجبلين حتى صارت الجبال حول عجيب شبيهاً بقرون[٢] عرفة من كثرة الناس فيها.

---

(١) نقيل عجيب: بين البون وظاهر حاشد أسفله غولة عجيب من قرى عيال سريح (المقحفي: ٤٣١).

(٢) كذا في الأصل ولعله يوم عرفة.

ثم فصل الإمام (عليه السلام) فرسه في جماعة من الشرفاء وأصحابه فسلّم على صفهم حتى أتى على آخره تحيةً بلا مصافحة، ثم سار وسار الجميع كلُّه وخَفَقت الرَّايات وهي بيض كلها، وكان بين بكيل وَوَادعة وأهل البون من الفتن ما لا يظن أحد منهم يطأ بلد أحد فلو رأيت ذلك النَّهار واختلاطهم بَعْد الضغائن والمباعدة مثل الأخوة على الجميع السَّكينة، كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿**لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم، ولكن الله ألف بينهم**﴾[1] حتى نزل قريباً من قرية ريدة بين البركة وبين القَصر ضَرب مضاربه هنالك، ونزل النَّاس بنزوله، وأقام هنالك خمسة أيام تأتيه هَمْدان وهو يَأخذ بَيعها ويثبت الولاة في بلدانها، ثم سألت هَمْدان أن يُبْدي بالنَّظر والوالي في صنعاء، إذ كانت أجل بلدانهم، ومدينة اليمن، وكان قد افترق حملة السلاح بها نصفين أهل (القطيع) وأهل (السّرار)[2] ووقع بينهم الدّماء حتى كان ذلك قد أضر بتجارها وسبلها وبالضعفاء بها، فندب لولايتها القاسم بن الحسين الزَّيدي، فتكَرّه من ذلك، وسأل الإمام (عليه السلام) أن يُعفيه من الولاية وأنه أتى مهاجراً إليه ليجاهد بين يديه ويخدم بنفسه، وقال له: الولاية تبعدني عن حضرتك فقال له الإمام (عليه السلام): هذا أكبر الجهاد الذي أمرتك فيه وقد ظَنَنت أنك أحدَّ فيه من غيرك فسارع لأمر الإمام (عليه السلام) ومضى صنعاء في نفر من الجُنْد وكتب له عَهْداً وأمر أن يمتثله وأنفذ سائر الولاة إلى المخاليف، وكتب لولاته عَهْداً وأمر كتّابه بأن يعطوا كل وال منهم نسخة، نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم، وهذا كتاب عهدٍ من القاسم بن علي لجميع من وَلّاه من العلويين في جميع مخاليفه عهداً إليهم جميعاً أن يؤثروا تقوى الله سبحانه في السّر والعلانية، وأن يقوموا فيما ولّوا بالعدل بين من تولّوا عليه من الرَّعية وأن ينهوا عن المنكر من تمت به إليه بَعْدما ينهون من ذلك أنفسهم وأن يقدّموا في الإعذار والإنذار لمن تولّوا أمره ونهْيَه وليعجلوا

---

(١) الآية: ٦٣، سورة الأنفال.

(٢) القطيع والسرار من أحياء صنعاء.

التقدمة بالشد في ذلك كل الشد من قبل كون ما لا يحمد فإذا أتى إنسانٌ من الرّعية شيئاً يجب فيه حَدٌّ من حدود الله أحدٌ بعْد ثبات البينات واختبار الشّهود بما يوجب صحة الشهادات، وكذلك سائر ما يُوجب الأدب، والغرامات فلا يؤخذ في شيء من ذلك إلاَّ بصحة الخبر وإعمال النَّظر، ومن شجر بينه شاجر من الرَّعايا حمل على الحكم، فمن أوجب له الحكم حقاً فبلغوه حَقّه وتولّوا إنصافه بحبس من وجب عليه ذلك، وأما من سعى بالفساد ويقترح مظالم العِبَاد فليؤخذ أقارب أولئك بإحضارهم للنّصفة فيما جنوا فمن أحضر أحداً ممّن ذكرنا ليحكم عليه حبس بما جنى وحيل بينه وبين مالِهِ حتى يتأدّى من جنايته ويتخلص من جريمته، ومن صار إلى أقاربه ثم خلّوا سبيله من بعد كَوْنه في أيديهم أحرب ما له في محله إلاَّ ما شاركه فيه غيره ممّن سبيله سبيله وأُلزم من خلاه ما جنى، وكانوا بذلك أولى، وأما من جنى جناية لم يرد بعدها إلى أقاربه ومضى من فوره فلا يتعلق على قريب بجنايته ولا يُطلب بفعله إلاَّ هو بنفسه وإن كان له مال أوقف لرأينا ومن تأدّى بمعصيةٍ لأمرنا أو عارض أحداً من ولاتنا فلا نعجل عليه بمناكرة ولينه أمره إلى أخاير قومِهِ، فإن كفوا في ذلك اكتفى بهم، وإن أشاروا بالعفو كانت بأيديهم فإن لم يتفقوا على ذلك ولم يكن منهم ما ذكرت فليورد إليَّ علم ذلك حتى أنّني[1] الرأي فيه من وجهه، وأكثر ما نوصي به ولاتنا ترك العجلة والتوقف خوف الزلّة فالله الله في ترك العجلة في كل أمرٍ يحتاج إلى التوقّف فيه، وإياكم وقبول سعاية من سعى بفسادٍ، وخذوا جميعاً في أموركم بالتثبت والأناة، ومن أورد عليكم سعايته فآطلبوا حجتها[2] وأعمِلُوا النظر في تحصيل من يُوردها، فإن أكثر النّاس للنّاس أضْداداً كل يسعى بصاحبه ويريد الدّوائر به، ولنا في البلاد سعاة وخرّاص وأمَناء أمور الخراج مَصْروف إليهم فشُدّوا كل من ضعف منهم وخُذوا على أيديهم حتى لا يخالِفَ أحدٌ عليهم وفي جميع ما أُوصِيتم به ما كفى إذا لم تَعدّوه إلى غيره، والله يوفقكم للصّلاح بمنّه وكرمه.

---

(١) كذا تقرأ هذه اللفظة.

(٢) نسخة صحتها (من هامش الأصل).

وعهد للعمال عَهْداً يسيرون به في عملهم، وأمر كُتَّابه أن يعطوا كل عاملٍ منفرداً بالعمالة أو اثنين أو جماعة يعملون عملاً واحداً، نسخة، نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم إلى جميع العمّال سلام عليكم، فإنّا نحمد الله إليكم حَمداً كثيراً كما هو أهله ووليّه ونسْأله أن يصلي على محمد النبي وآله وسلَّم تسليماً. وبعد[1] فإنا نوصيكم بما أوصاكم الله به، قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿**إن الله يأمركم أن تُؤَدّوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعمّا يعظكم به**﴾ الآية[2] وقد وليناكم من زكواتِ المسلمين حملاً ثقيلاً على المؤمنين ويخف على العصاة المفرطين، وقل من تورّع عن الدنيا فزلّت به قدمٌ إلاَّ ثبته الله بقدم، ومن عُرِف بالأمانة كثر جميعاً عند جميع النَّاس، واتصل به من منافعهم ما يكسب الغنا ومن ثنائهم ما يعلي في الدنيا، وأعظم من ذلك ثوابُ الله والله لا يضيّع أجر من أحسن عملاً والحليم معتبر بغيره، وقد رأينا أمةً من الناس لزموا الخيانة فلزمهم الفقر والعار والخِسَّة عند جميع النَّاس، فرحم الله عبداً نزّه نفسه عن المنزلة الدنيَّة في الدنيا والآخرة، وقد بعثناكم لاستخراج ما أوجب ٱللَّهُ على عباده وفرض في ذلك فرضاً على لسان رسوله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم، فجعل في كل ما يُكال من البر والشَّعير والتّمر والذرة والزبيب الزكاة إذا بلغ كيل كل شيء من ذلك خمسة أوسق، ذلك بمُدّ هذه البلد في هذا العصر خمسون مداً بمدّ الظاهر وريدة وقاعة وشبام وما أشبه ذلك العِيار، ومن كان من سائر المخلاف رجع بالعيار إلى هذه الأمداد بعد أن يُعبر جميعاً حتى يكون على عيار واحد خلا مكيال صَعدة ونواحيها، فقد صحَّ أن العيار به في هذا العصر ستة وخمسين مداً ونصف مدّ، وأما سوى هذه الأصناف فقد ورد[3] الخبر فيها بوجهين وجه القيمة بالنقود مائتي درهم

---

(١) نسخة أما بعد (من هامش الأصل).

(٢) الآية: ٥٨، سورة النساء.

(٣) في نسخة (أتى) من هامش الأصل.

قفلة، ووجهُ آخر من القليل والكثير حتى من حـزمة البقـل، وأما مـا اختلف فيه القول فللأئمة فيه الرَّأي وقد أرى الأخذ فيما قلّ منه أو كثـر من بعد مـا ذكـرنا، وذلـك لحاجـة الإسلام وضعف أهله، ومـا أتى دون مـا سمّينـا من المكيل الذي لا اختلاف فيه فما ذكرنا لم يكن فيه شيء أصْلاً وإن بلغ هذا المِقْدار أو زاد عليه لزمته الزكاة ويحسب ذلك فليعمل السعاة.

وأما سائر الحُبوبـات والفواكـه والخضراوات، فيؤخـذ العشر أو نصف العشر على قدر شرب أرضه ممّا قَلَّ منه أو كثر، فذلك جائز بأحد الخبـرين عن النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم، وفي ذلك ما جَبَـر الإسْلام وعـاد عليه، ولنا فيـه رأي بعد صـلاح الإسلام نـردّه إلى الزكـاة فيما بلغت قيمتـه المئتي الـدِّرهم قفلة أو كيلة الخمسة الأوسق، ومن كـان بيده مـا يـزكى من الأمتعة أخذنـا ممّا بلغ عشـرين مِثقالاً وذلـك من الدنـانير الهـادية[1] ثمـانية وعشرون ديناراً وثلث دِينار، ومن الدَّراهم مائتي درهم قَفْلة وهي ألف درهم ومئتي دوانيق أسداساً، وإن قَصُر أحد الجنسين من النَّقد أضيف منه أحدهما إلى الآخر وأخذ منهما فيما يكمِّل أحدهما.

وأما الماشيـة فيجتزي بـذلك مـا في البلد مِنْها عن ذكـر كلها إذ ليس بـالبلد إلاَّ الغنم وليس فيما دون الأربعين شـاة زكاة، وتعـدّ الكبار والصغـار حتى ما يولد في ليلة العدد فإذا بلغت أربعين شاة ففيها شاة متـوسّطة، فـإذا بلغت مائة وإحـدى وعشرين شـاة ففيها شـاتان، ثم لا شيء فيهـا حتى تبلغ مائتي شاة فإذا زادت شاة واحدة ففيها ثلاث شياه، فـإذا كثرت ففي كـل مئة شاة، وما زاد على المائة فلا زكاة فيه.

والأمتعـة التي للتجارة ومـا زكّي من الـزّرع وجعـل للتجـارة ففي كـل جميع ذلك الزكاة خـلا الزَّرع الـذي لم يُرد بـه صاحبـه التجارة وكـان يُنْفقه فيما يحتاج إليه.

والحلي سبيلها سبيل سائر النُّقـود، فما بلغ مَبلغ مـا يجب فيه الـزكاة

---

(١) لعلها المنسوبة إلى الإمام الهادي يحيىٰ بن الحسين.

من النقود زكّي، وما قصر عن ذلك فلا زكاة فيه.

والزرع وما تلاحق في سنته فبعضه يوفي عن بعض وفيه وَجْه آخر إذا استغنى الإسلام صرفناه إليه ويؤخذ الزكاة من الشريك شريك المزارع، ولا يؤخذ من شريك الملاك حتى يتم لكل واحد ما يجب فيه الزكاة، ويؤخذ من مال الرَّجل وأولاده ولو ادّعى أن لكلٍ واحد منه طرفاً ما دام يتصرف فيه تصرف المالك، فإذا عزلهم أو واحداً منهم فلم يعد له إلى نصيب ذلك سبيل ولا فيه تصرف أحد من كل في ملكه على قَدْر ما يجب فيه، وما ورد الأسواق من الأمتعة والدَّواب المتخذة للتجارة قُوِّمت وأخذ منها ما يجب فيه الأثمان والزكاة والنقود ربع عشر الجملة، وكذلك جميع الوقوف والحبوس والوصايا تقبض الزكاة منها وتقبض غلّاتها فتجعل على أيدي من يعدل بها حتى يكون الأمر فيها مصروفاً إلينا، وكذلك أمور الخراص والحماة مَصْروفاً إلى الثقات والأمناء من العمال، حتى يكون الكل منهم ناظراً في ذلك بقدر ما يرى وإن وقع حالٌ يوجب المشورة رفع الخبر فيه إلينا والسلام.

قال الحسين بن أحمد: والإمام (عليه السلام) يصرف الأمور كذلك إذ وَرَدَت إليه حمير من يكون منها بمخلاف بيت أقيان نواحي شبام فبايعوا له وسألوه وطيء بلدهم، فأوجب لهم في ذلك بعد أن تلقّوه بكافة عشائرهم ويكون من جميعهم إجماعٌ على طاعته ودخول في بيعته فنهضوا منه بميعاد فأعلموا عشائرهم فأجمعوا على طاعته، وَوَصَلت كتبهم بأن يضرب الموعد لهم أينما أحب، فأرسل إليهم أن يجفلوا في لقائه إلى أعلا وادي البون مكان يسمى اللحبة[1] يوم الأحد لخمس عشرة خلون من جمادى الآخرة من شهور سنة تسع وثمانين وثلاث مئة سنة، ونهض الإمام (عليه السلام) في لقائهم من ريدة وأخذ من قرب منه من هَمْدان من بالبونين بالمسير معه فتكامل في لقائه جمع كثير من خيل ورجل وهَبَطت حمير من جبالها وأمر بمضاربه فضُربت في موضع قريب من موضع اللقاء يسمّى ظبر

---

(١) يحقق هذا الموضع إذا كان بالحاء المهملة هكذا كما هو في الأصل أو بالجيم المعجمة، واللحب بالحاء المهملة من بلاد الشرف.

الأخطوب[1]، ثم لقيهم بمن معه، فلما اصطف النَّاس سَلَّم على صفِّهم تحيَّةً لا مصافحةً وأمرهم أن يختلطوا بعَسْكر هَمْدان فكرهوا ذلك، وذلك أنه كانت بينهم فتنةٌ وبَيْن هَمْدان بحدثان[2] ما أطاعوا، قد وقع بينهم فيها دماء كثيرة وتلفت أموال فقال لهم الإمام (عليه السلام): إن إخوتكم همدان قد أطاعوني وقد وثقت بطاعتهم وليس يُبدُون[3] لكم بَعْد طاعتي سوءًا، فإن كنتم قد أطعتموني كإخوتكم فلَسْت أثق بكم، ولا أقبل طاعتكم دون اختلاطكم بهم، فأطاعوا أمره واختلط الجمعان وأمسوا في مركزه جميعاً معاً إخوةً، فأخذ بيعتهم وسَألوه أن يطأ بلدهم فأوجب لهم في ذلك في دخول قرية من قرى بلدهم في طرف منها يقال لها (حلملم)[4] ونزل وأقام بها أياماً وولى على الحميريين الشريف أبا البركات إسماعيل بن أحمد بن القاسم بن إبراهيم (عليه السلام) وأعْطاه نسخة هذا العهد الذي تقدمت نُسختُهُ للولاة ووصَّاه بحُسْن السياسة لهم والعدل عليهم والنّصفة بجميعهم فمضى الشريف معهم، وأقام الإمام بحلَملم وقبائل المغرب تفد إليه وتطيع له: بنو[5] شاور وبنو عشب[6] والمعيل[7] ومَيْتك[8] وقُدَم[9] وكان قريباً منه في المغرب من السَّلاطين: المنتاب[10] بن إبراهيم على جبل مِسور ولائذ[11].

---

(١) موضع في أعلى وادي البون (السيرة المنصورية: ٤٣٨) وفيه الأحطوب بالحاء المهملة لعله خطا من محققه.

(٢) اللفظة خالية من الشكل وتقرأ من عدة وجوه.

(٣) نسخة يريدون (من هامش الأصل).

(٤) حلملم: قريتان من عزلة الأشمور وأعمال عمران، وهما في محاذاة جبل المصانع من الشمال (المقحفي: ١٨٨).

(٥) بنو شاور: بطن من حاشد مسكنهم كحلان تاج الدين شرقي حجة.

(٦) قبيل ناحية من كحلان تاج الدين السابق ذكرها.

(٧) جبل عال في بيت قدم شرقي حجة.

(٨) ميتك هو ما يسمى اليوم ببلاد عفار من جهة حجة.

(٩) قدم: بضم القاف وفتح الدال بطن من همدان، وقدم المذكورة بلدة جنوبي حجة.

(١٠) أحد السلاطين في ذلك وإليه ينسب مسور فيقال مسور المنتاب.

(١١) الاسم مجرد من الإعجام وقد أثبتناه من عندنا سوى الحرف الأخير فهو هكذا في الأصل.

العُريجي على لاعة[1] وعبد الحميد على جبل تيس[2] فأرسل المنتاب ولده الحسين إلى الإمام (عليه السلام) بجماعة من عسكره للسّلام عليه واعتذر من الوصول بنفسه، وأرسل بيعته ودخل في الطاعة ووصل لائذ العريجي بنفسه ودخل في الطاعة، وأرسل عبد الحميد من خواصه من وصل ببيعته وطاعته وأعانه كلٌّ منهم بمال فقَبله، ثم نهض من هنالك بَعْد مقامه ثمانية أيام حتى نزل بقرية من قرى الظاهر تسمَّى آل عامر[3] ووفد إليه أبو الليل الحراني الحسني، وكان قدومه إليه هنالك من الحجاز ومعه صحابة له من أهل بيته ومن يخدمه يسلّم على الإمام (عليه السلام) وقال له: أتيتك زائراً يا ابن والدي مؤدياً لحقك لما أحلك الله فيه من المحل الجليل من شريف المنصب في أهل بيتك والبراعة في العلم والفضل المشهور في جميع الأمور، ولما اختصك الله[4] فيه من المقام المحمود، فرَدّ الإمام عليه جوابه بالشكر والتَّرحيب بقدومه، وأنزله أكرم منزلة وقرَّبه أفضل قربةٍ، وكان أبو الليل هذا من علماء آل محمد صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم وفضلائهم فسلّم للإمام عليه وشهد له بالفضل والإمامة، وراح إلى عيسىٰ بن جعفر[5] وجماعة من بني حسن[6] بالحجاز فنهاهم عن رَفْضه وأوجب عليهم طاعتَهُ وحجتَهُ وأنها لازمةٌ لهم، ونَهَض من أهل عامر وأرسل إلى وادعة أن يجفلوا ويجتمع جمعهم في لقائه إلى مكان يسمى الخربة السَّوداء، يريد لذلك أن يرى بعض من كان في صحابة أبي الليل من أهل الحجاز جُمُوع أهل طاعته لأنهم كانوا ينهون ذلك إلى سُلْطان[7]

---

(١) لاعة: بلد من أعمال حجة في جهة الجنوب منها.

(٢) جبل تيس: جبل في قضاء كوكبان يعرف اليوم بجبل بني حبش.

(٣) آل عامر: من قبائل حجور (الحجري: ٢٤١).

(٤) نسخة به (من هامش الأصل).

(٥) هو عيسىٰ بن جعفر بن محمد بن الحسن بن محمد بن موسىٰ الحسن أمير مكة توفي سنة ٣٨٤ «العقد الثمين ٦: ٤٥٨».

(٦) هم أشراف مكة وأمراؤها.

(٧) كان سلطان مصر في ذلك الوقت هو العزيز الفاطمي.

مصر، وكان لقاؤهم له يوم الاثنين، واجتمع من قبائلهم جيش[1] كثير، فسلّم الإمام عليهم وصَرَفهم إلى بلدانهم ووصّاهم بالاستقامة والطاعة لولاتهم والرَّغبة فيما عند الله وقِلّة الثقة بالدنيا، وذكَّرهم زوالها والانتقال منها إلى دار البقاء، وفيها جعل الله لعباده الجزاء، ووصى بذلك من حضر مجلسَهُ من بعدهم، وأمرهم أن يذكّر كلٌّ منهم إخوانه.

قال الحسين بن أحمد: ثم راح في لقائهم ذلك إلى قريته في أهل طاعته قريباً منه يسمّى قلحاً[2]، فبات بها هو وأصحابُهُ ونزل فيها منزل رجل من عماله وأصحابه من بني يعقوب، وفرّق الكتب إلى جميع أهل (البون) و (الخشب) و (حمير) وجميع ولاته أن يلقوه بأهل الطاعة إلى غولة عجيب، وأن يجفل كل بأهل ولايته من خيلهم ورجلهم ويحضهم في السلاح والعدد وآلة الحرب، ونهض من قلح فنزل عجيباً ضاحي النهار والناس يتكاملون للاجتماع في لقائه، حتى كان نِصْف النَّهار ثم صُفّوا للقائه في أسْفل عجيب صفوفاً مع كل والٍ صفٌ لكثرتهم لم يستطيعوا أن يكونوا صفاً ولا صفّين، كان اجتماعهم وكثرتهم أعظم من اجتماعهم للقائه المرة الأولى، وكان عُراضتهم ولقاؤهم في هذا اليوم الآخر يوم الثّلاثاء لأربع خلون من شهر رجب من شهور سنة تسع وثمانين وثلثمائة فسلّم عليهم على بجاويّه تحيةً لا مصافحة، ومعه أهل بيتِهِ، والشريف أبو الليل الحراني ثم ثناهم للمسير إلى (ريدة) فنزل فيها في دار شماس بن الحسن الصائغ، وأقام بها آخر شهر رجب وشهر شعبان في ذلك يُقوم أمور البلد، ويعامل الجنود على رسومهم، ويثبت دواوينهم إذ أتاه يوم في وال له ولّاه في بعض المغارب شكيّة كنّيا عن اسمه: أن جار عليهم وسألهم فوق العشر وارتشى في الحكم بين من يقع بينهم شجرة، فكتب إليه كتاباً نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم، كتبتُ إليك يا أخي أيها الشَّريف أطال الله بقاءك وأثبت رُشْدك وهَدَاك كتابي هذا بَعْد ما تناهى إليَّ من الرّعية الذي

---

(١) نسخة بشر (من هامش الأصل).

(٢) موضع ذكره الهمداني (٢٩٨) ويحقق إذا كان قلحاح: جبل من بلاد الشرفين بحجة.

تحت يدك بما ساءني فيك من الشكيّة بقبح السيرة وظلم العشيرة وقد جعلت معك عهداً تمتثل ما فيه في ولايتك، فجعلتَ ذلك بظهرك واستبددت برأيك، ودعاك الميل إلى الدنيا ومحبة ما يفنى إلى خِلافِ إمامك وسخطِ ربك، والله سبحانه وتعالىٰ لم يأمرنا أن نسيء إنما أمرنا أن نحسن ولم يأمرنا أن نجور إنما أمرنا أن نَعْدل ولم نلي على هذه الرّعية بمالٍ أنلناهم إياه ولا بغشم لم يجدوا عنه مخرجاً لسواه، إنما دعوناهم إلى ما دعاهم الله ورسوله وشرطنا لهم العدل عليهم وحسن السيرة فيهم، والحكم بكتاب ربهم وسنّة نبيّهم صلّى الله عليه وعلى آله وسلَّم فسارعوا إلينا للطّاعة على ذلك، وجَعَلنا لهم علينا الوفاء بذلك فإذا وصلك كتابي هذا وصلت[1] إليَّ ساعة فراغك من قراءة كتابك هذا، والسلام على من اتبع الهدى وتجنب عواقب الردى.

قال الحسن بن أحمد: فلما وصل بحثه عن ذلك فاعتذر بالجحد أنه لم يكن ممّا شكوا فيه قليل ولا كثير فبحث الإمام (عليه السلام) بعض من كان يطلع منه على ذلك، فشهد عليه بِبَعْض ما شكا فطرح الشريف الشاهد عليه فزجره الإمام عليه السلام في طرحه، وقال: قد آشتبه عليَّ أمرك وقد رأيت أن أوَلّي البلد والياً فأرسل الإمام (عليه السلام) والياً غيرَهُ من العلويين وأوقفه، وقبض في شهر شعبان خَراج المخلاف وأمر يفرقه على الجنود في رسومهم ثلاثة أرباع، والربع الباقي أمر يفرقه في أمكنة عمّاله على الفقراء والمساكين، فلما انقضى شهر شعبان وَصَّى ولاته بالمخلاف وأكَّد عليهم في سيرة العدل والأخذ على النَّاس بالفَضْل، ونهض مُسْتهل شهر رمضان متوجِّهاً صعدة فبات آخر يومه في الظَّاهر في مكان يسمى ذيفين[2] ونهض من الغد فأمسى بخيوان ونهض من الغد فأمسى بِعيان، وكان له فيها منزل وأهل فلبث بها أياماً، ونهض فأمسى بِوَادي مدان وقد أمر بني سَلْمان ومن قرب إليه من أهل الطّاعة أن تخرج معه منهم طائفة فخرج في جماعة منهم

---

(١) نسخة نهضت (من هامش الأصل).

(٢) كذا ولعلها ذيفان بلد من ناحية ريدة.

ولقيه إلى مذاب[1] المليح إبراهيم بن المختار، وذلك أنه كان سافر تهامة إلى العبدين، وخشي أن يكون قد بلغ الإمام عليه السلام من فعله ما يُسْخطه فأراد أن يلقاه ويُرْضيه، ونهض الإمام عليه السلام من مذاب فأمسى صعدة في حصن النَّاصر، وقد كان أمر بعمارته، فعمر منه طرف وكان قد خرب وأذهل وذلك لضغائن وقعت بين ذرية الناصر لدين الله فأخربوه بينهم فأبصر ما قد عمر فيه خَدَمه، ووصَّاهم بالجد في العمارة، وراح ممسياً القرية صَعْدة، فنزل في منزلةٍ في دار ابنِ الملاح، وكان له بها أهل، فأقام صعدة شهر رمضان يُدير أحوالها، وقد كان في مقامه بريدة وصل للعبدين قائد لهما من تهامة، معه مال يريد أن يُفسد به أهل طاعة الإمام فنزل في بلاد الربيعة، والذي قاد هذا القائد رجلان من تجار أهل صنعاء ممّن كان هَرَبَ من الإمام عليه السلام لا خوفاً له، لكن بُغْضاً وكراهية لولايته، يقال لهما القاسم بن أبي الدّوس، وكثير بن أبي الصّغير، ومعهما من التجار أنفار، وحملة السّلاح سبيلهم سبيلهما، فلما أن وصلوا بلد الربيعة وثبتوا بها خرج الأمير ولد الإمام عليه السلام جعفر فركز في وجوههم في الجبجب، موضع يرسم، ودعا في مخلاف صَعْدة من أهل الطاعة، وأرسل إلى أبيه، فبعث أبوه الدعاة للنَّاس النفير إلى بلد الربيعة، فلما بلغ ذلك الربيعة ولم يقدروا أن يَمنعوا هؤلاء الرسل للعَبْدين في بلدهم صرفوا ذلك القائد من بلدهم وأصحابه، وعاد معاوداً تهامة، ووصل من الربيعة أشياخ إلى الإمام عليه السلام يعتذرون له في ذلك، فقبل الإمام عليه السلام عُذْرَهم وأمر أهل الطاعة بالسكون في بلدهم والتوقّف على النقير[2] إلى الربيعة.

قال الحسين بن أحمد: فأقام الإمام عليه السلام آخر شهر رمضان بصعدة، وكان يوسف بن يحيى بن الناصر عليه السلام قد نهض من صَعْدة، فلما صار في بلد وادعة غاضباً ثم أن ابن الحسن بن محمد سأل

---

(١) مذاب: من الأودية المشهورة شرقي همدان بن زيد في محافظة صعدة.

(٢) كذا في الأصل بالقاف ولعلها النفير بالفاء الموحدة «معروف».

الإمام عليه السلام أن يأذن له في مكاتبة عمّه في الرجوع إلى منزله ويعده بالنصفة من الإمام عليه السلام، فأوجب له ذلك الإمام عليه السلام وكتب له كتاباً فوصله مع كتبه إلى عمّه فيها من الإمام بَسْط وَوَعد له بما يسرُّهُ، فردّ يوسف بن يحيىٰ جواب كتاب الإمام عليه السلام نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم، وصل كتاب سَيّدي الإمام البرّ الفاضل أوصله الله إلى أفضل المنازل، وبلغه في طاعته إلى كل ما يُحاول، وجعلني فداءه في كل مَخوف وهائل وسرني بسلامتِهِ أتمها الله، وفهمت ما ذكره، ووصل كتاب ابن أخي يذكر ما ذكر له مولاي أيّده الله ويَحُضُّه على وصول منزلي ولا بدّ أن أتكلم بما يقدم الإمام أيّده الله فيه عذري بفضله البلد أطال الله بقاء سيدي الإمام كنا[1] بجمعنا لنا ولبني عمّنا ساداتنا أعزّهم الله فأخرجناه من أيدينا بفرقتنا وليس لنا فيهم كلام، ولا فينا، فإن طلبوا بعض ما يجب لهم فأعطاهم فهم يستأهلون العطاء لا يحسدهم حقهم ولا يستكثره لهم، ولنا أيضاً مثل ما لهم، من حق ومقدار وجاه، ولم يصل إلي شيء من ذلك، وقد مال الإمام أيّده الله تعالىٰ علينا وقصدنا بالجفاء ونحن له على الوفاء من يوم وصل ما خالفناه ولا كسرنا عليه كسراً ولا ركبنا فيها يسوؤه أمراً ولا أقبحنا أثراً، فأول ما كان منه ما شرط لنا وعاملنا عليه بعيان، فلم يتم لنا منه شيء، ثم حَطّ أسماءنا وأسماء آبائنا وأجدادنا من مَنْبرهم فاحتملناه، ثم سامنا البيعة فبايعناه، ثم عدا على أصحابي الربيعة فوطىء بلدهم، وقتلهم في حدث أحدثه حظي منهم محاباة منه لبني سعد لما بينهم من الفتنة، ثم أمرني تصغيراً لمنزلتي أن أخرج في حربهم، فساعدته في ذلك، ثم أمر بهَدْم دربي بني عمي، فضل أخدامهم يرتجزون عند داري، ثم رقى عليّ إليه أشياء كثيرة، والله الذي لا إله إلّا هو ما كانت مني، ولا هممت بها، ثم أنا أشكو إليه أيّده الله أحوالاً وهو يعدني ولم يكن يغب عني شيئاً مّما عمله أيّده الله إلّا أني علمت أنه غير عارف بأحوال البلد وأهله، ولم أحب أن آخذه بالكظم

---

(١) نسخة «كان».

فاحتملت كلاًّ، وأنا به عارف ليتدبر أيّده الله في أمري حال تحسر به العاقبة، فلم يكن، ونزع من كنا ولينا على السُّوق وولا غيره، فضرب أخدامنا وهجم دارنا، وعمل معنا كل قبيح، وعاقب من جلس عند دارنا، وأمر أيّده الله بإخراج الصنعانيين وهم لي أصحاب، وهم فإن كانوا له خداماً ورعية، فهم لي حرب كما غيرهم لبني عمّنا حرب، فاعتمدت أنا بكل حال دون حال غيري والإمامة لا تحتمل الحيف ولا الهوى، والله يقول لنبيه داؤد عليه السلام: ﴿**يا داود إنا جعلناك خليفةً في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى**﴾[1] ولقيته أيّده الله بخَيْوان، فقال له بعتب وتغير وتنكر، وتكلم بجميل فلم يتم منه شيء، ووعدني بتأليف الصنعانيين وردّهم فلما وصل أمر بضربهم[2] وتفريقهم، وتمزيقهم في كل بلد، فلا كلام يتم ولا يمين ولا ذمام فيما نَعْتقد منه، وليس لنا ذنب أعزّه الله إلَّا الوفاء والتمام والاستقامة والالتزام، فلا يحتقرنا لإمساكنا، ولا يستقلنا.

فالنار في أعوادها مخبوّةٌ لا تصطلي إن لم يريها الأزند

والمُتَعارَف من الأئمة والملوك أن من استقام معهم ورعاهم، قرب من قلوبهم، وكان فعلهم فيه غير هذا الفعل، قال الصيني صاحب ابن وَرْدان:

إذا كان باب الذلّ من جانب الغنى سَمَوت إلى العلياء من جانبِ الفقرِ

والذي أشار عليه أيّده الله بإخراجي من جملته وأن يجفوني قد عزّه ولست أعجز عمّا فعله غيري، ومن ألجيء إلى سيّيء فعله والغضب يدخل النار ويوقع في الكفر، هذا جبلة بن الأيهم[3] الغساني ضربه عمر بن الخطاب بالدرّة فتنصر هو وولده في أرض الرُّوم يدعون بني الأصفر، وقد أوجبت زهادة الإمام عليه السلام فينا واطراحه لنا أن نَنْظر لأنفسنا، فليس

---

(١) الآية: ٢٦، سورة (ص).

(٢) في الأصل حضرتهم ثم أصلحه بالهامش هكذا.

(٣) خبر جبلة بن الأيهم وتنصره في فتوح البلدان للبلاذري: ١٤١ وابن خلدون ٢: ٢٨١ وغيرهما.

عادنا نلوم أنفسنا على شيء بعد الصبر الطويل والاحتمال وشماتة العدو، ولا نَرضى في أنفسنا إلَّا الرضا، فلنا في جميع اليمن من العشر والأصحاب والصنائع، ولنا بحمد الله مثل ما لغيرنا وليس ننظر عند كل بعين سوء نحن معروفون، هذه بنو جماعة قتلت رجلاً من بني عمرو وقُتِل رجل بترج، ثم لم يقتل به الإمام، وقتلت بنو ثور رجلاً غريباً كان معه حُصر من الإمام، والكشيحان[1] والمهاذر بينهم قيل[2] وبنو ربيعة باليمن قتل ابن عقدان المالكي، وقُتِل في حفرة الدنير من بني شرحبيل، فلم يحل النّكال من بين الناس إلَّا بالربيعة، الحديث قبيح والناس العالم ما يخفى عليهم شيء، وسيرة الأئمة تكتب وتروى والإنسان يحتاج إلى أن يكون من خير أحاديث الدنيا، وقد طولت وأكثرت ولم أجد من ذلك بداً فينظر فيَّ[3] الإمام أيّده الله بتقديم عذره منعماً إن شاء الله تعالىٰ.

قال الحسين بن أحمد: فقرأه الإمام عليه السلام، فلما فرغ دَعا بقرطاسٍ ودواة، وردّ إليه الجواب، نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم، وكان في حضرته قاعداً في مجلسه للشريف إبراهيم بن محمد الرعيني وباسان والمدلهم السعديان، والحسين ابن أحمد بن يعقوب، وقد كان بلغه كتاب كان في يده قبل وصول كتاب يوسف بن يحيىٰ إلَّا أنه دونه، فاشتد غضب الإمام عليه السلام من لومهم له جميعاً بعضهم في بعض، فقال: هؤلاء الحضور للإمام عليه السلام: يا ابن رسول الله أهل بيتكم أولى من عطفت ببرك عليهم ما يجري من أحوالهم، ولست تعلَّم بالفضل، فقال: عليهم ومن يلومني في أهل بيتي هؤلاء المُدْبرين، جئت وهم خائفون فأَمنتهم، وشتات فجمعتهم، متعادون فأَصْلحت بينهم، ثم سلمت إليهم بلدهم بعد مصيرها في حوزتي فساروا

---

(١) كذا في الأصل ولم أقف عليه ولعلهما اسما رجلين في ذلك الوقت.

(٢) تقرأ أيضاً «قتل».

(٣) نسخة فتنظر لي.

فيها بالجور والعدوان والفساد، ولم يأمروا فيها بمعروف ولم ينهوا عن منكر، فتعلّقت بي الرعية ونفرت إليّ منهم البريّة، فرجعت فوجدت ابن عمي هذا - يعني يوسف بن يحيىٰ - يريد لي العطاء[1]، فلم يوفقه الله لمراده، ولم يَسْتطع ما نواه فأقمت في البلد العدل والأحكام، وعزلتهم ممّا كانوا فيه من معاصي الله، ورزقتهم على ذلك، وآثرتهم على نفسي ثم يرون أفعالهم، فأنا أرد جواب هذا النسخ، نسخة جوابه:

بسم الله الرحمن الرحيم، وصل كتاب سيدي الإمام أطال الله بقاءه وحاطه من الأسواء وتولاه لغير ما جرت به عوائده فغمّني ذلك، وإن كنت لم يَسقط عني أنه غير راض بموقعي من هذا الأمر إلّا أن الله يفعل ما يشاء، وقد عتب في كتابه عَتْباً كثيراً لو كان في موضعه لما عنى، وذكر مني إخلافاً لما وعدته وادعى في ذلك ما لم يكن، وهذا حال يقبح من مثله ويؤثمه[2] عند ربه، ولا بدّ أن أعرفه بما لا يجهل، هو يعلم أدام الله توفيقه أني كتبت إليه مع أحمد بن خالد من الحجاز فأسمعه وردّ كتابه لم يَضَع عليه يده، فلم يعطفني ذلك عنه دون أن ثنيت إليه بكتاب فردَّه، ثم بعثت ابن الدقيق بكتاب ثالث فردّه ووجهت بدَعْوة فأمر بموصلها أيّده الله وهو ابن شبيرة فحبس حتى حصله[3] ترابي الشوك ثم أجارته قوم يريدون وجه الله، فهمّ بالعدوة عليهم، حتى لزمه عن ذلك من لزمه، ثم وصلت من الحجاز فكتبت إليه بأجمل خطب، ودعوته إلى ما دعاه الله إليه من صلاح ذات البين، فدافع عن ذلك وراصد بجواري عليه القبيح، فعذلني عن طريقي، ومضيت وخلّيته ولم أدَعْ ملاطفته ومكاتبته بألْيَنِ القول وأحْسَنِهِ وأجملِهِ وما يزيده ذلك إلّا بُعْداً من الصلاح، حتى وصلت بعَسْكري فأقمت في ذلك أردّد إليه وألطف به ولا يزداد إلّا قسواً في البعد عليّ والكراهة لما عرضت عليه من حكم ربي، حتى كان آخر أمره أن قال: يأكلني الأسد خير من أن

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) كذا ولعله وبوء بإثمه.

(٣) كذا وكتب الناسخ لعله «خلصه».

يأكلني الثَّعْلب، وأرسل وجوه أصحابه إلى ابن عمّه، وإلى رجال بني سَعْد سألهم اللَّمَّة عليَّ، وعلى رجال همدان تمنعا[1] طريحه ما يطلب من التبل[2] المتقدم عندهم، فلم تساعده بنو سعد لحماها وبعد مداها إلى ما طلب، والتزمت بَيْعتها، وتَمَّ ما كنّا نَأمل بحمد الله، ولم يتم له مراد لسيىء نيته، وعزَّ علي أن يكون كذلك، ثم وصل إلي فاسْتَعْفى على هدم الدرب بغير يدٍ قدمها فأوجبت المسألة وصنت منه ما يصون المرء من قريبِهِ فلم ألبث حتى إذا هو يعامل إبراهيم بن محمد المليح في أن يقوم على بني سَعْد ويقوم عليّ هو بالرّبيعة فمسحت بذلك جنبي، واتْبَعْتُ آخر فعلي أوله، فسلمت للجميع البلد فعملوا الكتاب الذي عملوا وخرجت فصرت في بلاد خثعم، فلم يدع البغي أحداً يتم بما فعل فلما رأت العرب الفتنة قصدوني بحيث اعتزلت فتعلقوا بي، فوصلت البلد، فخرج الشريف أيّده الله تعالىٰ في الجيش للمكاسرة ولقاني المكروه، فأعرضت عن ذلك وتلطفت حتى جرت الأمور على أحسنها، وكان هو وأهل طاعته في العمل في أمري لا ينؤون عن ذلك ليلاً ولا نهاراً حتى أذن الله في الخروج فستر وكفى، فلما فاتهم المراد وانقطع الطرق والفساد، فكان ما كان فرددت الرسل وطمعْت بالعافية فساعدوا الباغي، ودافعوا عنه بالباطل حتى استدعاني ذلك إلى ما فعلت بهم، وكل ذلك بأسبابك يا سيدي، ثم أنت في ذلك ما نقضت عن صوت واحد، فالله على ذلك المستعان، وأما القتلى وما ذكرت أنا تركنا منها ولم نطلب به، فذكرت قتل ترج وَوَلَدِي سليمان قتل القاتل وعُلّق رأسه في نخله، إلاَّ أن الذي أخبرك لم يصدقك، والقاتل بجبل شاكر قُتِل وصلب، والقاتل ببلد بني ربيعة فقتلوا بقتيل[3] فهم في حَبْسِي والغريب الذي تذكر قتل بأماني فلا أعرفه بل الذي قتل بأماني أمرت أنت بِقَتْله أعلى الله أمرَك في طاعته، فلم أستطع تعيين[4] ما هدمت فإلى

---

(١) كذا.

(٢) كذا في الأصل.

(٣) اللفظة بدون إعجام وتقرأ أيضاً بقتل.

(٤) كذا تقرأ هذه اللفظة في الأصل ولعله «تغيير».

الله المشتكى يا ابن عمي، ما هـذه القطيعة[1] التي لم أحبها منكم، أتيتُ وأنتم في الـدنيا بُـددٌ، فَجَمَعْت ووليت وخَدَّمت، وأردت الصَّـلاح فأبيتم إلاَّ الفسـاد فـلا حيلةَ لي في القلوب الفاسـدة، ثم لم أتعزَّ ممّـا نـالني منكم أجمعين إلى الله المشتكى لا إلى أحدٍ سواه إن كـانت الدنيـا لا تهنيكم إلاَّ بأذائي فـ ﴿ـاقضوا إليَّ ولا تنـظرون﴾[2] ﴿إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلاَّ هـو آخذ بنـاصيتها إن ربي على صـراط مستقيم﴾[3] وأما مـا ذكر سَيّدي أطال الله عمره في طاعته من قطع أسماء سلفـه، فسلفه سلفي، ولم يكن بيني وبينهم حـال يوجب ذلـك، إنما قـطعت مـا يُعـاب من إكثـار الأسماء، وأجملت ذلك، والله يقول عزّ وجلّ: ﴿رحمة الله وبـركاتـه عليكم أهـل البيت﴾[4] ولا عتب أن نجمل مـا أجمل الله ذكـره، فيجعل الشـريف أيّده الله تعالىٰ التجني بغير هذا الوجه، ولا يجعله بدعوى لم تكن.

وأمَّا ما ذكرت من ضرب من ضرب من أصحابه فلا أعلم أن بـالسوق أصحـابـاً لأهـل البيت، السـوقـة لمن يملكهـا إذا أتـانـا منهـا الخـطأ أدّبت وأهينت، وإذا اختـاروا أن يكونـوا إلى رعايـة الشريف فيتجهم[5] مـا يوجب فإنه يعذر في ذلك والسلام.

وأجاب عبد الله بن محمد بجواب مضى رسوله بـه قبل أن ننسخـه، فيه من الاحتجاج والإبلاغ شكل من هذا الجواب.

وأقام الإمام عليه السلام بعد ذلك أياماً إلى آخر الشهر، أتاه أيضاً في تلك الأيام رجال من مغارب بلاد خولان بينهم وبين عشائر لهم فِتنٌ عظيمة، فشكوا إليه مضـرة ما ألـح بهم من الفتنة وأجحف بهم من مغـارمها، ومعهم زكاة أتوا بها يريدون تَسْليمها إليـه من مواشيهم فلم يَقْبلهـا منهم ورَدّها لهم،

---

(١) في الأصل القطيعة.
(٢) الآية ٧١، سورة يونس.
(٣) الآية ٥٦، سورة هود.
(٤) الآية: ٧٣، سورة هود.
(٥) كذا في الأصل ولم تتضح لنا هذه اللفظة ولعلها: قبيحهم.

وقال: إن مكّننا الله قبضنا زكاتكم وحكمنا بحكم الله فيكم، فرجعوا أولئك العرب يَسُوقونْ مالهم، فسألناه قلنا له: يا ابن رسول الله لم رَدَدْت هؤلاء العرب بهذه الزكاة التي أتوا بها إليك، وقد ذكرت لنا واحتج محمد المرتضى صلوات الله عليه أن للإمام أن يقبل زكاة ما لم يحمَ من الأرض، فأجابنا: بأنَّ ذلك حسن نظر مني لهؤلاء العرب لما شكوا من غشم حربهم، وكثرة مَغْرَمهم في فتنهم خاصّة دون غيرهم.

قال الحسين بن أحمد: فرحل الإمام عليه السلام من صعدة متوجهاً اليمن لثلاثة أيام باقية من شهر رمضان من شهور سنة تسع وثمانين وثلاث مئة سنة، فأمسى آخر يومه بمذاب ونهض من الغد فأمسى عيان وأقام بها أياماً ثم أنه سد له[1] عمارة أرض شراها بمذاب، فنهض لذلك يوم الاثنين لخمس خلون من شهر شوال من هذا التاريخ، وأمر بني سلمان أن ينهضوا معه فخرج معه منهم خمسة عشر فارساً فنزل وادي مذاب، وكانت هذه الضيعة التي شراها أرضاً ميتة منذ أعوامٍ فأثار لها عَيْناً بَدَعها لسقيها ورتب العمال في المحارث في أرضها، فأقام في عمارتها في هذا الوادي آخر شهر شوال ونيفاً وعشرين يوماً من شهر القعدة.

وفي ذلك ترد إليه كتبُ ولاتِهِ وعمالِهِ يستأمرونه فيأمرهم وينهاهم، ثم بلغه من المغيرة بن زيد[2] الخَثْعَمي إخلاف في ولايته وأحوال لا يرضاها على رَعيته أن أرسَل في جميع طاعته، أن يحضروا إليه منهم من يصلح للديوان ويرغب فيه عدد مئتي فارس وخمسمائة راجل، ويكون في حضرته يجري لهم من بيت مال المسلمين كفايتهم، فإذا نجم ناجمٌ في المخلاف بَذَلهم لإصلاحه بوالٍ يُرسِلُهُم معه أو يقوم فيهم بنفسه، وكتب بذلك كتاباً إلى جميع المخلاف فرقَهُ نُسخاً نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم، كتبت يا أهل طاعتنا تولّ الله رشدَكُم هذا

---

(١) كذا ولعله شرى له.

(٢) نسخة ابن بدر «من الأصل».

الكتاب مسلماً عليكم ومتعهداً لأحوالكم وعاتباً عليكم في عَتْبكم في غير موضع عتب استوجبه منكم، والخطب فيما تذكرون يزيد وينقص، والآن فهلموا ﴿**إلى كلمةٍ سواء بيننا وبينكم ألاَّ نعبُدَ إلاَّ الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله**﴾[1] واجعلوا أن هذا الخطب أوّل خطبٍ أجريه بيني وبينكم، ولي حق يلزمكم، ولكم حق يلزمني، أما حقي عليكم فالطاعة التي لا تعارضها معصية والتصرّف بين الأمر والنهي بترك كل لذةٍ، وأمَّا الذي يلزمني لكم فالحكم فيكم بكتاب الله وسنّة رسوله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم، ووضع معاونكم وزكواتكم في مواضعها ولا موضع لها في أحدٍ منكم إلاَّ من أعان عليها ولا يشتغل عن خدمتها بشيء يصُدُّه عنها، وقد جرت منكم أحوال بمثلها يَسقط عني ما أنا فيه، ويعذرني الله بذلك منكم، وأنتم ترون في ذلك أني مسيء بكم وغير قائم بما يجب لكم وأنتم تعلمون جميعاً إذا رجعتم إلى أنفسكم أنكم غير قائمين لي بواجب يلزمكم في أموالكم وأنفسكم، أهل الديانات منكم منكرون لمقامي، وأهل الدنيا ممّن تعلق بي بثقل عن التصرف فيما يقوم أوَدَ الإسْلام يرون أنهم إذا أخرجوا القليل ممّا أوجب الله عليهم أنهم قد قاموا بما يلزمهم، وليسوا مع ذلك بمخرجيه إلاَّ وهم طالبوه، فهم كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿**ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يُعطوا منها إذا هم يَسخطون**﴾[2] فهل هذا عندكم ممّا أوجب لله وسَنَّ رسولُهُ فمن أين تصح السلطنة لمن هو فيكم سلطان، وأنتم به كذلك ملتّمون وعلى معاشكم مقبلون، وعن دعوة من دعاكم لما يحييكم متثاقلون، أبينوا لنا وجه العذر فيما أنتم فاعلون، ولن تجدوا إلى ذلك سبيلاً، والحمد لله رب العالمين، ولا يزال يبلغني ممّن يظن بنفسه الظّن السّيىء أنه يقول لم يعطنا هذا الرجل ما يجب لنا، وهو له مخزون في خزائنه أجل ما بقي عمّا أخذتم إلاَّ القليل الخبيث فيما هو بين أظهركم لمهمة إن أهمتنا وأهمتكم، أجل لو كان مرادنا

---

(١) الآية: ٦٤، سورة آل عمران.

(٢) الآية: ٥٨، سورة التوبة.

كالذي تظنون بنا لكنّا قد نلنا ذلك من غير الوجه الخسيس الذي أسندتم إلينا، وكفى بالله بيننا وبينكم حكماً، وعلى الجميع منّا مُطّلعاً، والآن فإن كنتم أهل استقامةٍ فأوفوني حقَّ السلطنة وأوفِكُم حق الخدمة وأسير بكم في أرض الله، واعلموا أنه لا يصلح لنا استقامة الأمر بالمعروف إلاَّ بتجرّد للكون معي منكم يا كافة أهل طاعتي مئتي فارس معدّة من أفاضل كل قوم، وأخايرهم، وأهل البيوتات المقدمة فيكم تُقيم بمقامي حيث أقِر وتسير بمسيري حيث أسير، ومعها خمس مئة راجل ممّن له عزمٌ وهمةٌ أجعل جراية كل من صار إليّ من ناحية من النواحي من بلده الذي يخرج إليَّ منه، وإذا أراد إنسانٌ ممّن ذكرت الانصراف عن حضرتي لبعض ما يَعْنيه وَجْه لبعض من يليه، فأقامه مقامه، وكانت جرايته للذي يخلفه التي كانت تُجرى له، وتكون هذه الرَّابطة معي كافية مع من يحل[1] بأرضه، فإذا ألمت مُلِمّة في بعض المخاليف سدرت بمن يكون معي واستعنّا بمن ننزل عليه من أهل الطاعة على من يكون منه الخلاف، ورجوت إذا كان الأمر كذلك أن تسقيم الأمور ولا يجري فيما نلي محذور، وهذا فالوجه الذي لا يستقيم الأمر إلاَّ به، فإن كان ذلك فها أنا حَاضِرٌ بين أظهرِكم قريباً غير بعيدٍ منكم إن أسعدتموني فيما قد رأيتُ فيه الصَّلاح، وإن لم تسعدوني فيما ذكرت وكانت بينكم كالذي واجهت ونظرت فأنتم المقصّرون لا أنا واللائمة عليكم من كافة الأمة لا عليَّ، فانظروا في أموركم ثم أورِدُوا عليّ ما يكون من عذركم، فإنكم إن أقمتم في سبيل الله ونصبتم لأعداءِ الله كنتم بذلك أحظى، وكنا في ثوابِ الله وعزّ الدنيا معاً، وإن زهدتم في ذلك وملتم إلى الخفض والرّاحة وإصلاح أموالكم فإنّا بذلك أدنى منكم، فنحن بحمد الله مفضَّلون بمعرفة خير الدنيا والآخرة منكم وأخصّ في جميع الأمور بالهداية، وقد نعلم أن الأمة لا تجتمع على ضلالة لا بدّ أن يكون من الناس من يَسْتلزم بعَهْدي، فمن كان بالعهد ملتزماً فليبد وجهه، ولا يبقى لغيره، فإن الله يقول وقوله الحق المبين: ﴿**ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه**

---

(١) نسخة «علا».

حتى يميز الخبيث من الطيب﴾[1] ومن الآن حَضَر الامتياز فاعلموا ذلك، فقد ألقيت إلى حامل كتابي هذا ما لا يحتمله الكتاب، والسلام عليكم أجمعين.

فأرسل بكتابه عبدالله بن سهيم، وأمر باقتضاء ما يكون من أهل الطاعة في ذلك، وأرسل إلى محمد بن عبدالله بن الدَّقيق بترتيب المؤنة لمن يصل من أهل الطَّاعة لَمّا سأل الإمام عليه السلام، وذلك أن محمد بن الدقيق كان على خزائن الإمام في المخلاف.

قال الحسين بن أحمد: ثم كان في هذه الأيام ممر الحاج وجَعلوا طريقهم على الإمام عليه السلام، وهو في عمارة ضَيْعته وسألوه أن يَصْحَبهم في طريقهم لمن يدافع عنهم من احتاجوا إلى دفاعه، فأرسل معهم سعيد ابن سراج القائد، وسألوه أن يأمر بضيافتهم في صعدة وأعلموه أن قد دفعوا تجارهم في مخلافه ما يلزمهم من الزكاة، فقال لهم: أما النصف فَشَرَطْتُهُ لبني عمي واشترطوا علي أن لا أحط نصيبهم في بلدهم، وأما النّصف فلي وقد حططته عن كل من يجب عليه منكم، فبلغه عند وصول الحاج بِصَعْدة عن رجل استخدم على قبض الواجب من أهل مكة بصعدة أنه استقصى على الحاج وخرق في قبضه بكثرة الجفا والأذى، ووصل بذلك شكايا الحاج إلى الإمام عليه السلام، فأمر الإمام عليه السلام بنَزْعه وعزله عن الخدمة، وإثبات غيره، وبلغه أنه أمَرَه بذلك بَعْض بني عمّه العلويين بصَعْدة، فكتب كتاباً إلى كافة العلويين باليمن ممّن ولّاه يريد بذلك تَنْبيههم ومعاتبتهم في المكوس أو عزلهم عن الولايات بأسباب ذلك، نسخة الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد للَّهِ كما انتسب ويجل عليه الثنا كما وهب، وصلّى الله على سيدنا محمد المنتخب، من خير بيوتات العرب، أما بعد يا أهلَ بيتِ النبوة وأولى الناس بنبي الرحمة فإن لكم منصباً ينوبكم

---

(١) الآية ١٧٩، سورة آل عمران.

بمن سواكم عن مبلغه ويعجز من رام مرتقى سلمكم عن مَطْلعه، فهل أنتم به لما أولاكم الله شاكرون، ولما وهب لكم من التفضيل على جميع البريّة ذاكرون، أجل إني وإياكم لغير مؤدّين شكر ما وهب لنا، ولا بمجاوزين ذروة مجدنا بحمايةٍ نبدأ فيها بصلاح أنفسنا، وقد أصبحت أعينُ البريةِ إلينا ناظرة وآذانهم لما يُذكر عنا سامعة، فأولِيَاؤنا بما نحن عليه مغمومون ينظرون خَلَلاً بادياً ويسمعون لنا ذماً مؤذِياً يمنعهم ما يبدو منا عن نصرتنا ويكذبهم ما هو ظاهر منا أن يكذبوا بما يذكر عنا، فإلى الله شكوانا لأنفُسِنا وإليه نجأرُ من سيّىء فعلِنا وإياه نستغفر من موبق ذُنوبنا، وقد علمنا جميعاً أيُها الذرية ذرية رسول الله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم عَدَاوة أكثر الأمة لنا، وَطَعْنهم على أوّلنا وآخِرِنا، وللأعداء متعلق على من تُعَادون وافتراء عليهم فيما لا يفعلون، فكيف بهم وقد جَعلنا لهم إلى أنفسنا سبيلاً لا يستقيم سالكه إلى محبوبه، وفعالاً لا يكذب من يحدث به، فهذه هي المصيبة لا مصيبة غيرها، ونقول من أجلها ما أمر الله بقوله عند أسهل منها وأقل عيباً ومأثماً ﴿**إنا لله وإنا إليه راجعون**﴾ على صرعة لا يرتفع منها، وقُبح قالة لا نعذر فيها، وإني اليوم لا كأحد ممّن طعن عليه الأضداد من أئمتنا عليهم السلام إذ يقول قائل أولئك أبياتاً كذبوا فيها عليهم، ولم يكذبوا فيها على فعل من شاركني في هذا الأمر من أهل بَيْتي ففي ذلك يقول:

إذا أتيت باكياً للطالبين فقل
يا زائدين في الندا حي على خير العمل
وضاربين أُمهم بالسَّيف في يوم الجمل
ما كان منكم قائم حين تولّى فعدل
إمامكم ليس يرى وشركم يأتي جمل

يا أهل بيتي قيل ذلك في قوم لم يكن عندهم مقال، وإنما المقال اليوم فيمن هو منا وَالٍ على هذه الأمة، من الآن أمكن المقال، وصدقه منا سيِّيء الفعال.

وقد دخلتُ اليمن إذ ساقتني إليه ضرورةُ المدخل بعد طول الأناة عمّا

دخلت فيـه، وعلمي أن المتعلق بالنـاس غير نـاج من فتنتهم، ولا سالم من معائبهم، فألفيتُ من به من القرابة في أوسط نجح الفتنة، والعرب في طـرف من ذلك، فتسبّبت[١] في صلاحٍ تولّى الله تمامه، وأثبت نظامه، ولم أجد بُدّاً من تقليد مقدمي أهل البيت أمور العرب، فتمّ بذلك مرادي، ولم أجـد بُدّاً أن أجريت لكل والٍ من الـزكاة مـا يقوم أوده ويلزمـه على من قلّده أمـره، فأنكر ذلك علينا الأولياء دون الأعداء، وقالوا: أطعم هـذا الرجـل أهل بيتـه زكاة العامـة وهي محرمـة عليهم، فلم أجبهم[٢] في هذا المقـال لعلمي منه بمثـل ما عملوا[٣]، وعـذرت نفسي في ذلك لحـاجتهم وخدمتهم فـأجـريت المحتاج مجرى من عـدم الميتة، وأجـريت الخادم مجـرى من يجب له في كلفته الإجارة، ورجَـوْت أن يقبل زمـانهم ببعض ما نـأمل ويـأملون، فيكون لهم من المأكل المذموم عوض ممّا يفيدُ الله من أرزاقه وأرفـاقه، ثم التـزمنا من هذه الزكاة بملتزم يحل من هو عليه بتسليمه فـالتمسْنا استخـراجه فعسـر علينا إلّا بالكشف عمّـا خفي، والأخذ ممّـا ظهر في أيـدي هذه العـامة التي قَلَّت[٤] بصفتها لنا ولأنفسها، فآل بنا الحال إلى مثل ما آل بالظلمـة إليه من قبح القالة، فأخذنا القليل ممّن يجب عليه الكثير، فلم يقض ذلك لـلإسلام حاجة، ولم ننج منه من معتبـة، وقصدنـا صاحب المـال لواجبنـا عليه، فلم نُصِبه، وأصبنا من الأواجب[٥] لنـا عليه من ضعفـة المسلمين ومن لم يجعل الله عليه واجباً نطلبه منه ولا غَيْرنا من العالمين، ثم اعلموا يا أهل بيتي أني لا أجد منكم بداً وأعلم أنكم كذلك، وكـذلك[٦] أمـة جَدِّنـا صلّى الله عليه وعلى آلـه وسلَّم، فلن يجدوا منـا بُـدّاً ولن نجـد منهم، ولـو لم يكن ذلـك لكنت من بين الأمـةِ كلهـا في مـوضـع يتـرك من كـان بمثله إذ كـان ذلـك

---

(١) تقرأ في الأصل هكذا «فتسللت».

(٢) نسخة (ألمهم) من هامش الأصل.

(٣) لعله علموا «من هامش الأصل».

(٤) كذا في الأصل وتقرأ أيضاً «قبلت».

(٥) كذا.

(٦) بياض في الأصل.

الموضع رأس جبل لا يحسد عليه من كان به، ولا يَخْشى من أذية من كان فيه، فلم تذرني الأقارب والأباعد حتى أخرجوني منه فخرجت من الكفاف والعفاف إلى الجفوة والخلاف فعاد، فكان ما حمد مني ذماً وما رُجي من عدلي جوراً، فكنت بالأمس المفضَّل عليكم جميع يا أهل بيتي بالثناء الجميل، وأنا اليوم المفضَّل عليكم بالذمّ وقبح القال والقيل، فأيكم اليوم الذي يرضى أن أخلع عليه ثوب الذمامة، وأقلده معاتب الخاصة والعامة، وأيكم الذي يُسْعدني في إماطة ما به شهدت ممّا لم أكن به عرفت، فمثلكم أسْعد علي ما يوجب حُسْن القالة ويبعد عن العَنْت والضلالة، فأما أنا فرجل شد من عزمي أحد رأيين لا معدل بي ولا بكم عن أحدهما: إما رجل[1] تركت هذا الأمر، ونزعت نَفْسي منه واستغفرت الله فيما فرطت فيه من مَدْخلي فيما دخلت فيه بلا جزم وعزم أضع له الأشياء في مواضعها، وأجريها على سننها وأنفرد برأيها، وهو يعلم منّي عزّ وجلّ أني لم آت ذلك اختياراً، وإن لم يتركني العرب، والتزمت مني لصلاح ذات بينها كنتم عمّا أنتم عليه اليوم بمعزل تكون أيدينا فيه واحدة في الشَّرِّ إنْ أَلَمَّ بِنَا وفي الخير إن ساقه الله إلينا، ونكونُ فيما يبقى عن جنودنا من سُحْت هذه الزكوات المحرمة علينا بالسويَّة من دفعته الحاجة إلى ذلك منا، اللهم إلاَّ أن يرغبوا في خدمة الإسلام والقيام مع من يقوم فيه من الأنام، فأجرى لكل رجل كانت في يده ولاية بلد وأطعمه في بلد ما يكفيه وعولته، وينزعون أيديهم من المخاصمة والمقاسمة والولاية إلاَّ من الأمر احتجت إلى ذلك منه، فتكون خدمته في ذلك بتولّي صلاح ما يكلفُ يأخذ ما يرسم له ولا يدخل في شيء ممّا لم يؤمر به ولا يعتد رجل منكم فيما يعود بأكثر من أهله وولده وخادم منزله، ومن يخدمه في نفسه ممّن لا غنى له عنه، وهذه المخاليف فقد تكفينا فيها من كل بلد صاحب شُرطة يتولى آداب من تعدّى، ونحن وأشياعنا من العرب فروراً[2] أولئك نكفيهم ما عجزوا عن كفايته، ونتولّى

---

(١) تقرأ هذه اللفظة هكذا «زحل» وفي العبارة غموض.

(٢) كذا في الأصل وهي بدون إعجام فيفهم.

آداب من ضعفوا عن أدبه، وإن لم يرغبوا في شيء ممّا ذكرت، فاعلموا أني وإياكم نفترق ولا نجتمع، إمَّا باعتزال مني وتركِكم تدبرون من أمركم ما صلح لكم ولا أسألكم في ذلك عطاء ولا تكليفاً، وإما باعتزالي ومعونتي على ذلك لكم، فمن أوجب لي منكم ما شرطت وسألت، ووافقه المدخل معي من قريبٍ أو بعيدٍ، فليكتب بخطه على ظهر كتابي اسمه وليبين لي نفسَهُ، ومن لم يحب المدخل معي ويقنع بما قد ذكرت في كتابي، فليضم يده عني ولا يُوقّع له اسماً في كتابي، والله يختار ما كان لنا فيه الخيرة، ويمدُّ لنا بالمعونة ويجمع كلمتنا على ما يحب ويرضى، وقرأت عليكم السلام كثيراً طيباً.

ووجه نسخة كتابه هذا نسخاً إلى جميع العلويين، وأمر رسله فتقاضى ما عليه من النية[1] يعزمون، فرجعت إليه جوابات بعضهم بالقبول، وطرف منهم تعذر، شكا أنه لذلك كاره، وطرف أغفل الجواب، وطرف أبدى أنه لا يزول عمَّا شورط عليه في أول الولاية، وقبض جواباتهم وعزم[2] الإيفاد لما قد شاوروا عليه الجميع، فأقام بعد ذلك أياماً إلى أن مرَّ عليه حاج اليمن الآخر وسألوه ما يفعل فيهم في طريقهم، فقال قد أصحبكم بمن يدفع السوء عنكم ونكون في الخير والشَّر أسوة أنفسكم، قالوا: فما يُفعل بنا في صعدة من الخراج، فقد أخرجناه في صَنعاء، فقال لهم: قد اشتبه الأمرُ عليّ فيكم، وفي قبَّاضِنَا[3] منكم أنتم تكثرون شكيّتهم بأنهم يجورون في القبض عليكم، وهم يكثرون شكيّتكم بأنكم لا تُنصفون فيما يجب عليكم، وقد رأيت أن أرفع عنكم هذه المجالس للقبض منكم في كل نهج من مخلافي وأطلبكم ما أوجبه الله عليكم في منازلكم أشد الطلبة، والفحص فمن غَبَى عني أو خانني في زكاته أحللت به ما أحلّ بنفسه، فقالوا: رضينا

(١) في الأصل بدون إعجام وأعجمناها اجتهاداً.

(٢) في الأصل هكذا «وعرة» وكتبناها هكذا.

(٣) القباض بضم القاف وتشديد الباء جمع قباض بفتح القاف وهو الذي يتولى قبض الجباية (معروف).

بحكمك يا ابن رسول الله، فكتب لهم إلى صعدة إلى جميع من بها من ولاته ألَّا يعترضوا الحاج ولا يسألوهم شيئاً من الواجب، ولا ممّا يسومونه من الزكاة ويخلوا سبيلهم، فلما بلغ ولاته بصَعْدة، وكان ابنه جعفر الأمير بالبلد والحسن بن ميمون العامل على الخراج، وكان عبدالله بن محمد الأمير يقتسم شقصاً[1] من الخراج رسمه له الإمام عليه السلام، فاشتد ذلك عليه، فأرسل عَمّه الحسين بن المختار بكتاب إلى الإمام فيه: أن ابن أخي عبدالله بن محمد قد خالف عليه ما أمرت به، فاجعل ذلك في المرجلة[2] دون التجار وأصحاب الأجمال وامر قُبّاضك يقبضون من أصحاب التجارات فرَدّ[3] إليه واليهم كتاباً نسختُهُ:

بسم الله الرحمن الرحيم، قرأته يا سيدي جعلني الله فداك، وأنت تعلم أن انتقاصي حقي ممّا يقبض أخْيَر من انتقاصي عرضي، وإذا تدنس عرضي أخرج ذلك مني الدنيا والآخرة، فأما بنو عمي فوَدَدْت أن لهم خير الدنيا مقروناً بنعيم الآخرة، وهؤلاء الحاج الأولون قبل هؤلاء قد ثوروا بما يسوّد وجهي وردّوا بذلك كتبهم إلى المخاليف جميعاً، وكتاب الزيدي قد جعلته طي كتابي لتقف منه على المعنى، وتوقف عليه بني عمي، وتلزم الكتاب بيدك، وهذا الكتاب الذي وجهت به إلى الجماعة بعد كتاب الزيدي بما أنت تقف عليه إن كان أهل بيتي أهل مناصرة في طاعة الله وآسيتهم بنفسي وآسيت أهلهم بأهلي وأولادهم بأولادي، ولم يكن عليَّ لهم غير ذلك، وإن كانوا يريدون ما وهن سلطاني بقضاء حوائجهم لم أفعل ذلك الأمر بعد ألَّا يعود لي في البلد أمر ولا نهي، فإذا كان ذلك قامت معذرتي عند الله وعند الناس، أن الواجب علينا لو كنا أهل إيمان إقامة عزنا ببذل أنفسنا وأموالنا، والله يختار ما فيه الخيرة لنا بمنّه وطوله، وقد كتبت مع ابن أبي رمادة بإطلاق الناس فيطلقون إلَّا أن يكون أمري غير نافذ فتعرفني

---

(١) في الأصل شقصاً بالسين المهملة والشقص السهم والنصيب والقطعة من الشيء.

(٢) كذا في الأصل ولعله لغة في الرجال (في ذلك الوقت).

(٣) في الأصل فارد ثم أصلحه فوق السطر هكذا.

بذلك يا سيّدي، وهذا الحاج فلا يجبي منه درهماً واحداً فما فوقه، ولو كان ما يحملنَّ الدرّ والياقوت وفي الله الخَلف من الدنيا بأسْرها، فما بال ما لا مقدار له منها، والسَّلام.

ووجَّه بالكتاب إلى الشريف الحسين بن المختار، وكتب إلى ولده رقعة يأمره في ذلك برفع الجبا من الحاج جملة، فنفذ الأمر من جميعهم في ذلك وسخط لذلك الأمير عبد الله بن محمد المختار حيث أمر الإمام برفع المكوس، ولم يجعل لهم من ذلك ما يهوَوْن، فسأل بني سعد أن يفسحوا له في المنزل عندهم في بلدهم، فكتب عَمّه إلى الإمام عليه السلام أن يكتب إليه كتاباً يَسْتَعْطفه ويجمل له الأمر، فلما قرأ الإمام كتابه في ذلك رد إليه جوابه، يقول في بعض خطابه إليه فيه: لا والله يا سَيّدي لا أرضيت ظالماً ولا استعطفت ساخطاً في رفع المكوس من المسلمين والرعية المزكيين ما استطعت ذلك.

قال الحسين بن أحمد: وأمرني الإمام عليه السلام بتأليف صدر كتاب إلى الطبريين[١] أرسل نسخته مع الحاج كالموعظة والافتقاد، وكان في أشغال شغلته عن ذلك يكتب إلى الحجاز، وضاق الوقت فألّفت ذلك نسختُهُ:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله نحمده على جسيم امتنانه، وتظاهر إحسانه وعلُوّ سلطانِهِ، أولى المعبودين، وأفضل المحمودين، وأجل الممجدين كما هو أهله ومستحقه ونستعين به على تَصرُّف الأزمان ووارد الحدثان، ونعوذ به من مصائب الأيام، ودواعي الآثام ومتابعة الأوهام إنه ولي الإنعام وذو الجلال والإكرام، ونَسْأله أن يصلّي على من انتخب وطهَّرَ نبيّه السّراج الأنور محمدٍ خير البشر، وعلى من طاب وزكى من آله الطاهرين وذريته المصطفين وعترته الصادقين، أمَّا بعد يا شيعتَنا وأولى

(١) الطبريون: هم الأقوام الذين قدموا من طبرستان لنصرة الإمام الهادي في حربه مع قبائل اليمن، انظر في ذلك سيرة الهادي يحيىٰ بن الحسين: ١١٦ والطبريون هنا: هم أهل طبرستان البلد المعروف.

الناس بمودَّتِنَا والمتمسّكين بِحَبْلنا، والمتقرّبين إلى الله بطاعتنا، فإن الله جلّ ذكره وتقدّس أمره وصّانا بهدايتكم وقلّدنا أموركم وأمرنا بِتَذْكِرتكم، فقال عزّ وجلّ: ﴿**وذكّر فإن الذكرى تنفع المؤمنين**﴾(١) وفيما بصَّر الله خَلقه وَوَعظهم أحسن التبصرة، وفيما ذكرهم أبلغ التذكرة قال الله عزّ وجلّ: ﴿**هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإمَّا كفوراً**﴾(٢) ثم ذكر بعد ذلك عزّ وجلّ المآب والثواب والعقاب فوعظ عزّ وجلّ عَبْده بأن ذكره بأنَّه خلقه من نطفة ثم نقله من ذلك إلى القوة والاستطاعة والسَّمع والبصر والهداية، وأعلمه أنه للبلوى خلقه بما عليه فطره من الأشياء التي ملكه تَصْريفها، وجعل مدى أيامه في دنيا ذواتِ زوال وإدبار وإقبال مشغلة للقلوب، ومكسبة للذنوب، من ركن إليها صرعته، ومن وثق بها خدعته، ومن جعلها هَمّه أهلكته، المؤمن فيها محزون والبقاء فيها غير مأمون، وَلَسْت أنهاكم إلاَّ عمَّا أنهى منه نفسي ولا أدعوكم إلاّ إلى ما أفعله في يومي وأمسي، فعليكم بالنَّظر الرَّشيد والفكر السديد، فيما يكثّر لكم الزَّاد وينجيكم يوم المعاد، فإما لفوز يوم لا تغني نفس عن نفس شيئاً لمن جعل اشتغاله في الدنيا من العمل بما يعقبه الراحة يوم الدين وحضور العالمين وشهادة المستشهدين، ونطق الناطقين وفوز الفائزين وندمِ النادمين، قال الله في ذلك اليوم: ﴿**فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلاّ متاع الغرور**﴾(٣) ولستم للخير بجاهلين ولا عن الإسلام بخارجين، ولا للحق بكارهين، ولا عن ابن نبيكم بمعرضين أنتم ممّن شكرنا فعله وحَمِدْنا قوله، ولم تلحقه الذمامة ولم تتبعه الملامة، فَلعلمي بخاصيتكم ومعرفتي بمودتكم وتحقُّقي لإقبالكم أنشأت هذا الكتاب متعهداً ومسلماً ومذكّراً لما يجب بيننا من المذاكرة والمؤامرة إذا بعدت الدِّيار وشطَّ المزار، ولئن شطّ مزارُكم وبَعُدَت دياركم إن أملنا لكثير فيكم

---

(١) الآية ٥٥، سورة الذاريات.

(٢) الآية ١ ـ ٣، سورة الإنسان.

(٣) الآية ١٨٥، سورة آل عمران.

وإن يأسنا غير منقطع أن يكون منكم مسارعةٌ إلى ما سارع إليه إخوانكم بإقبال عصابة منكم تبيع من الله أنفسها وتبادر في هذه الدنيا الفانية لحظها تُلفي في الله اللَّذات وتهجر القرابات وتجعل الله وثوابه عوضاً من ذلك، تكثر جماعتنا وتقوي في الله عزيمتنا، وتشد أزرنا وتؤدي لله حقنا وتُواسي بأنفسها أنفسنا، وتذوق الخير والشرّ معنا، وما ذلك ببعيد ممّن نصر أسلافنا، ودان في الله بمودّتنا، وعلم أن الله يَسْأله غداً عَنّا، وأنتم أولى من نظر فيما يجب عليه، وشكر من نعم الله ما لديه، والسَّلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته.

فقرأه الإمام عليه السلام وأنفذه ووصَّى رسوله إليهم بما لم يحمله الكتاب، وكتب كتاباً بخطه منفرداً إلى رجل كان يُسمّى أبا العباس قد وصله قبل ذلك، وأقام عنده سنة مهاجراً من بلده وصرفه الإمام إلى أهل بلده أن ينذرهم ويبلغ قومه دَعْوتَهُ، وسألناه عن مخاطبته لأهل بيته وولاتِهِ أهل الصَّلاح منهم، ومن ليس من أهل الصَّلاح مثل قوله: أجل إني وإياكم يا أهل بيتي الجبر لغير مودتي بشكر ما وهب لنا ولا بمجاريني ذروة مجدنا، ومثل ذلك من الخطاب في سائر الكلام من أين وجب أن يسوي بينهم وبينه في الخطب، فقال عليه السلام: لو كنت مثلهم لألهاني عن موعظتهم وتذكيرهم ما ألهاهم عن حراسة أنفسَهُم على الخطيئة، ومنعهم بها من التخلق بالأخلاق الدنيئة، ولكن من حكمة الواعظ والآمر أن ينصف الموعوظ ويخاطبه من القول بما يَلْطُف لديه ويَسْهُل عند استماعِهِ عليه، وقد أمر الله نبيه صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم في كتابه، فقال عزَّ من قائل: ﴿**وإنَّا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين**﴾[1] ولم يكن صلَّى عليه وعلى آله بشاكٍ أنه على الهدى وهم على الضلال، ولكن كان ذلك منه نَصِفةً[2] وحكمه في حسن الدعاء إليه، وخاطب الله نبيّه صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم من الخطاب ممّا فعله غيره، فقال عزّ وجلّ: ﴿**عبس وتولّى**﴾ إلى

---

(١) الآية ٢٤، سورة سبإ.

(٢) في الأصل «نصقة» بالقاف.

قوله ﴿**كلا إنها تذكرة فمن شاء ذكره**﴾[1] فجعل ذلك تذكرة كما قال عزّ وجلّ ﴿**لمن يخشى**﴾ والتذكرة هي الوعظ الحسن.

قال الحسين بن أحمد: فهو كذلك في تَصْريف الأمور على ذلك إذ بلغه من نجران من ولاتِهِ هنالك رسول يطَّرد[2] أن رجلاً من بني الحارث من بطن من بطونهم يقال لهم بنو خيثمة يقال له الدخامس[3] بن عباس، غدر في ذمّة الإمام عليه السلام ونكث بيعته ودَخَل معه في ذلك أهل بيته، فقتل عاملين للإمام أتياهم لاستخراج الزكاة، وكان معهما أصحاب لهما فسلموا وجرحوا، وكان بعد ذلك أن فرشوا لهم وأطعموهم قراهم، وكان قد بات بالأمس في فناء الإمام عليه السلام رجلان من بني عمّ الدَّخامس، وأهل بيته ومضيا في اليمن، فلما بلغ الإمام عليه السلام ذلك أرسل ورآهما من قبض عليهما، وحبسهما، فأشار عليه بعض من يشير بقتلهما فقد قتل أهل بيتهما رجلين من أهل الطَّاعة، ومن يسعى في خدمتك، فقال عند ذلك: معاذ الله، وقد ضافانا وأكلا طعامنا، وكانا عن خطيئة أهل بيتهما بِمَعْزل، ولكن نعتقلهما حتى ننال من قومهما ما حكم الله على مثلهم، وإن لم ننل منهم فلا سبيل عليهما إذا تبرآ من أفعالهم، ثم كتب كتاباً أنشأه لأهل الطاعة عند هذا الحدث من عدوّ الله الدخامس، نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين. أمَّا بعد: يا أهل طاعتنا فإنا وإياكم قد جَمَعَنا العهدُ الأكيد على طاعة الله الواحد المجيد، والله يقول وقوله الحق ﴿**وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً**﴾[4] ويقول: ﴿**يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود**﴾[5] ويقول: ﴿**والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون**﴾[6] آيٌ كثيرة لا نأتي لها على عدة في كتاب الله، كل ذلك يحض

---

(١) الآيات ١١، ١٢، سورة عبس. (٢) كذا تقرأ هذه اللفظة.

(٣) يرد بالخاء المعجمة وأخرى بالمهملة.

(٤) الآية: ٣٤، سورة الإسراء.

(٥) الآية: ١، سورة المائدة.

(٦) الآية: ٨، سورة المؤمنون.

البرية فيه على الوفاء بعهودهم ويَمْدح في كتابه من وفا بالعَهْد منهم، ألا واعلموا جميعاً يا أهل الطاعة أنه لم يأت أحد ممّن بايعنا عذراً ظاهراً وينقض عهده نقضاً متواتراً إلاَّ الدَّخامس الفاسق فلعنة الله عليه وعلى شركائه في غَدْره وسوء فِعْله، تعلمون رعاكم الله جميعاً أنه بلغني أن عُمَّالي بوادي نجران صاروا إليه في خمسين رجلاً لخرص ما قبله من الواجب فَقَدّمهم إلى منزله وأوطاهم لفراشه وأطعمهم من معاشه، ثم دعا بأهل بيته من بني خيثمة اللعناء السفهاء فقتلوا العامل إسماعيل بن رزين ورجلاً وائلياً[1]، وخرجوا أكثر الجماعة وقبضوا أسلحتهم، وأن ذلك لما بلغ أكثر أهل الوادي من بني الحارث وهمدان استعظموا الأمر، فالتقوا وجَدّدوا العهود بينهم على الاستقامة في طاعتنا والثَّبات على بَيْعَتنا، ونهضوا حتى وصلوا إلى النجس الغوي، فتحصَّن منهم في حصنه، وبهذا أتاني كتاب إبراهيم بن محمد بن المختار، ثم إن من الواجب علينا وعليكم ما فرض الله فيمن فعل فِعْل هذا الغادر قال الله سبحانه آمِراً بذلك من أطاع أمرَهُ ﴿**ألاَ تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدؤكم أول مرّةٍ أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين، قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين**﴾[2] فرحم الله عبداً ورحم والديه اتبع أمر الله فلم يأمر عباده بالقتل والقتال لأُولي الضلال إلاَّ لمصالح يشملهم نفعها في عاجل الدنيا ويثابون بها في الآخرة التي لا تفنى، قال عزّ وجلّ: ﴿**إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامَكم**﴾.[3] والله صادق وعده ورسله ولا خلف لوعده، وقد نَعْلم يا أهل طاعتنا أننا قد نَدعوكم من القيام في سبيل الله إلى أمر يثقل عليكم، وهو يعلم الله أشق فروضه عليكم وأحمده عاقبة لكم في العاجل والآجل. قال الله عزّ وجلّ: ﴿**كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم**

---

(١) أي من وائلة قبيلة تنسب إلى وائلة بن شاكر مساكنها في صعدة ونواحيها، انظر الإكليل ١٠ : ١٨٩.

(٢) الآيات ١٣ ـ ١٤ سورة التوبة.

(٣) الآية ٧، سورة (محمد).

وعسى أن تحبوا شيئاً وهـو شرّ لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمـون﴾[١] صدق الله العظيم وبلغت رسله الكرام.

أجـل لقد نجـد في طلب الراحـة من المضـار مـا لا نجـده في العـزّ والامتناع والصبر على محبّـة القتال، فـالله الله عباد الله قـوموا في سبيـل الله وانفـروا إلى من أراد بكم الفتنة وبغـا لكم الفرقـة، فمـا بعـد مـا جـرى من معذرة في ترك فنترك، ولا في حلم فنحلُم، ولا في صَبرٍ فنَصْبر، والله يقول وقوله الحق: **﴿والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون﴾**[٢] وكونـوا رحمكم الله من المنتصرين، وادخلوا في مدحـة رب العالمين، تكـونوا عنـده بذلـك من الفائزين، فقـد بغا لكم هـذا الغوي الفـاسق الفرقـة، وباع دينـه وعهده وعِرضه بأخبث المآكل الدنيئـة، وإن أراد بذلـك صدّكم عن المـطلب الذي أنتم بالغوه من غـزاة أخويـه العبدين الفـاجرين بحـول الله وقوتـه، فمن كان منكم راغبـاً فيما رغَّب الله فيـه البريـة من بـذل أنفسهم وأمـوالهم في سبيله فليقم في هيئـة سفره وليتـزود لنصف شهر، وليكن مصيـره إلى ليلة الهـلال هلال ذي الحجة ففيها تنصرون، وعلى جميع أعدائكم تؤيَّدون، وفي الغزاة في شهر ذي الحجة من الأجل أفضل مـا فيها من الحـج والسَّبيل الأعـظم، فهو السَّبيل الـذي نَدبنـا الله إليه وأمـرنا فيـه ببذل الأمـوالِ والأنفسِ فقال: **﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبّـة أنبتت سبع سنـابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم﴾**[٣] وقال وقـوله الحق: **﴿وفضّل الله المجاهـدين على القاعـدين أجراً عـظيمـاً درجـات منـه ومغفـرة ورحمة﴾**[٤] فـرحم الله عبداً اغتنم مـا وعد الله من التفضيـل، فهنا الفضـل والتَّفضيل، لا مـا يفضل بـه أهل الـدنيا بعضهم بعضـاً، وقـد كنت ندبت من العَسْكر المنصور فيما بين صنعاء والجراف[٥] مـائتي فارس معـدة ليكونوا يحضرون على الدوام، ويتناوب أهل الطاعة المقام وقضاء حوائجهم

---

(١) الآية ٢١٦، سورة البقرة.

(٢) الآية: ٣٩، سورة الشورى.

(٣) الآية: ٢٦١، سورة البقرة.

(٤) الآية: ٩٥، ٩٦، سورة النساء.

(٥) الجراف هنا هو جراف حاشد من ناحية خمر.

بالكفاية والرزق، ورجوت أن يكون في ذلك عزّ الإسلام مهيبةً وهيبة لمن لا تؤمن بوائقه من الأنام، وخشيت أن يجري الذي جرى والبرية لا يتقون الله ولا من يرونَ معه ضعفاً ولا يتقون إلاّ ما رهبوا، قال الله عزّ وجلّ: **﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدوّ الله وعدوّكم﴾**(١) فلا تنقص البدنة الآخرة البدنة الأولة، وعليكم يا جميع المسلمين بالعزم القوي على جهاد النّاكثين والاستعداد والمرابطة للمارِقين. قال الله عزّ وجلّ: **﴿يا أيها الذين آمنوا آصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلّكم تفلحون﴾**(٢) والسَّلام عليكم جميعاً، ورحمة الله وبركاته.

فأرسل بهذا الكتاب بعد أن أمرني بنسخه نسخاً إلى أقطار المخلاف وأقام منتظراً لما يرد عليه من عزم النَّاس وإقبالهم إلى ما دعاهم إليه في ذلك لا يبلغه إلاّ ثقلة النّاس فلما علم بذلك تحدث مع من حضره من أشياعه وخاصته، فقال: أرى الناس ثقالاً عن فرض الله والنَّفير في سبيله فما ترون؟ أترون من الصَّواب أن ننهض إلى وَسَط مخلافنا ونجدد على الناس الدعوة والاشتغال(٣) لما نريد، فقال الجماعة: أجود الرأي الحزم والقيام في تَنْبيه النَّاس فإن الناس إذا بلغهم مقامك بمذاب سهلوا، وقالوا: أنت مقبل على العمارة وتثاقلوا، فقال: أما الواجب عليهم فإجابة دعوتي وأنا فأدنوا لما ذكرتم حتى أتلوَّمهم فإن قاموا بما فرض الله عليهم وإلاَّ سقط علي ما يلزمني من الحجة في القيام ونزعت نفسي عنهم، وكنت عند الله ناجياً بنكوثهم وانقلابهم على أعقابهم.

قال الحسين بن أحمد: فنهض من مذاب يوم الأربعاء لإحدى عشرة باقية من شهر ذي القعدة من سنة تسع وثمانين وثلاث مئة فأمسى عيان عند أهلِهِ، وفي منزله.

وكتب كتاباً إلى جميع أهل البيعة في أقطار اليمن بعد ما تناهى إليه

---

(١) الآية: ٦٠، سورة الأنفال.

(٢) الآية: ٢٠٠، سورة آل عمران.

(٣) نسخة والاستعجال (من هامش الأصل).

(٤) الأصل «دعوني» بالنون المعجمة الموحدة.

ثقلة الناس عن الدّعوة وبخلهم بتسليم الزكاة لولاته وكثرة رغبة الجنود المرتزقين فيما يطالبونه من العطايا، فوضع ذلك الكتاب وأمَرَني بنسخه نسخاً إلى أقطار المخلاف، في كل نهج نسخة:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله نحمده لاستحقاق محامده ونحل عليه الثناء السّني مجده وشكراً أياديه لترادف جوده، ونشهد أن لا إله إلاَّ الله اعترافاً بربوبيته وتَصْديقاً برسالته وإيماناً بأنبيائه وملائكته الذي جلّ وعلا عن درك البرية وعزَّ وتفرد بالأسماء الزكيَّة، وتنزّه ونأى عن الأفعال الدنية، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين وأمين رَبّ العالمين وبشير المؤمنين أنزل الله ذكره قبل كونه على الأنبياء وتُنُوسِخ اسمُهُ في الصّحف الأولى وبقيت نذارته وبشارته لأهل الدنيا، فصلوات الله عليه وعلى آله وسلَّم صلاةً باقية إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين، أما بعد يا أهل خلتنا ومن يقولُ في الله كقولنا ويَرعَى أمرَه ونهيه كرعايتنا فإن أولى ما سمع فاتبع كلام الله وما نزل من الحق على رسوله. قال الله المخبر عن كتابه: ﴿**وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك إلاَّ مبشراً ونذيراً وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرّون للأذقان سجَّداً ويقولون سبحان ربّنا إن كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً**﴾(١) فكونوا رحمكم الله بهذه الصّفة تنالوا بذلك درجة أهل الدين والمعرفة، ألا وقد جمعنا وإياكم من طاعة الله ربنا والقيام في سبيل خالقنا ما جمع الصالحين من قبلنا فاقفوا بنا آثار أولئك ننل ما نالوا من ثواب ربّنا ويبقى لنا من الذكر الجميل ما بقي لأولئك منا، ولكل عصر قائم يُظاهِرُهُ عليه أخائر أهل عصره ويوالونه عليه من دون أهل دَهْره. قال الله وقوله الحق: ﴿**إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين**﴾(٢)، وقال معرفاً بما خَصَّ به نبيَّه من معرفة الحكم بين من

(١) الآيات ١٠٥ ـ ١٠٩ سورة الإسراء.

(٢) الآية ٦٨، سورة آل عمران.

بعث إليه من أهل عَصْره ﴿**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً**﴾[1] ألا وقد أصبحتُ وأمسيت والقائم فيكم والحاكم بحكم الله بينكم، والمفقه لكم في أديانكم، والمتولي لصلاح ذات بينكم، وقد اتبعتموني غير مُكرهين، وآمنتم بمقامي غير مجبورين وبلقديم[2] ببيعتي غير مقصِّرين، فقل من التزم بما يجب عليه أو أحاط بما دخل فيه أو سارع فيما دعي إليه كأن لم تَسْمعوا لقول الله تعالىٰ في أهل البيعة إذ يقول عزّ من قائل: ﴿**إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً**﴾[3] ولقد نكث منكم يا أهل بيعتي بَشَرٌ كثيرٌ فممّن نكث وهم الأكثرون قوم أطاعوني الأمر، وقوم أسرُّوا الغَدر فأظهروا فعلهم الشّر، وقوم أجنوا بالجنايات، وثقل عليهم أداء الزكوات، فما معذرة قوم نكثوا أيمانهم فيما خبثوا[4] عليه في وطء من طلق من زَوْجاتهم، وعتق من عتق من عبيدهم[5] وإيمائهم[6] وسبل من أموالهم كي يُعرف غدرهم من قبل استباحة ما قد عاد لله من الأموال وصرف من عتق عن الرق والأعمال، وإخراج النسْوان ممّن حَرَمْن عليه بالحنث وسيِّىء الفعال أجل لا معذرة لمن عَصَى الله في أمره واستحل المحارم بكفره وأظهر للبريّة ما كان مكتوماً من سرّه، أجل لقد هلك وأهلك من أتى غير ما عاهد الله عليه جهراً وأصْبح وأمسى خائناً قد أتى غدراً، وبالله قسماً أصدق فيه ولا يعلم الله مني حنثاً عليه لولا أن الظن أن هذه البرية أتوا ما جهلوا، ولم يعلموا ما فَعَلوا، وأن من البرية من لا معذرة لنا في تركه من قبل إبلاء المعذرة في أمره، لنزعت يدي من أيديهم، ولكان

---

(١) الآية ٦٥، سورة النساء.
(٢) كذا في الأصل ولم يتضح لنا الصواب في قراءتها ولعل اللفظة هكذا «وبتقديم».
(٣) الآية ١٠، سورة الفتح.
(٤) كذا ولعلها جنوا.
(٥) الأصل عبيدتهم.
(٦) كذا صوابه إمائهم.

لي في ذلك العذر في ترك ما يجب عليهم، لكنه لا بُدَّ من تمام الحجة والإبلاغ فيما يجب عليَّ لله، ولولا كثرة من عرفناه بما ذكرنا على الإخفاء لأسميناهم بأسْمائهم ولولا ما لا تخلو البلدان منه من أوليائنا لأسميناهم بلدانهم، ألا وقد جعلت الله بيني وبينكم يا أهل بيعتي حَكَماً وشهيداً يوم تصير إليه وتجتمع البرية لديه يوم ﴿**توفى كُلُّ نفسٍ ما كسبت وهم لا يظلمون**﴾[1] أي أهل البيعة إنَّه لولا أن تكون الحجة لكم علي، والمعذرة إلى أهل الدنيا لي لفارقتكم من قبل أن تفارقوني، ولتركتكم من قبل أن تتركوني، وعلمت أن الله ينتصر لنفسه كما قال سبحانه: ﴿**ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم فجاؤوهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقاً علينا نصر المؤمنين**﴾[2] وقال سبحانه: ﴿**قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذاً لا تمتعون إلَّا قليلاً**﴾[3] ولقد ابتلى الله البريّة ليميز أهل الطاعة من أهل المعصية فلم تُوجد الطاعة من كل أهل عصر إلَّا في أقلِّهم، قال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿ **الم أحسب النّاس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يُفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين**﴾[4] فالبلوى رحمكم الله تنقذ أهل الدنيا جميعاً وتميز بينهم وبين كل امرىء منهم حتى يعرف بذاته ويَستدل عليه بفعله، وقد نرجو أن يكون فيكم أمة تثبت الدين وتحجبكم عن عذاب رب العالمين، وليس تلك البقية من المكذّبين، ولا من الخاذلين، ولا من الأشحَّاء المكذبين الأرذلين، ثم اعلموا يا أهل بَيعتنا إنّا ألفينا منكم أحوالاً لا تمام للأمر معها شحة بأداء واجباتكم، ولم يَرض الله ذلك لكم بل سمَّى الله من غل زكاته بأخبث الأسماء وَوَصفه بأشرّ الصِّفات للبرايا، فقال وقوله الحق: ﴿**وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة**﴾[5] والصيانة ممّا سوى

---

(١) الآية: ١٦١، سورة آل عمران.
(٢) الآية: ٤٧، سورة الروم.
(٣) الآية: ١٦، سورة الأحزاب.
(٤) الآية: ١-٣ ، سورة العنكبوت.
(٥) الآية: ٦ - ٧، سورة فصلت.

الزكاة من أموالكم عن الإنفاق في سبيل الله ﴿**ثم لا يتبعون ما أنفقوا مناً ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾[١] والرغبة من بعض الولاة والسّعاة في أكل ما يقع بأيديهم من هذه الزكوات، ومطامع قد كثرت في جميع العشائر بالجرايات، وظهور من الفساد والمنكرات، وليس مع هذه الأحوال تمام لما دخل به بعضنا مع بعض، أما الزكاة فإذا غَلَّها قوم وجب جهادهم، وكانوا في ذلك كمسيلمة[٢] الكذاب على زكاته في ولاية أبي بكر فأشار عليه عليٌّ بجهاده، وقال: إذا تركته منعت هوازن[٣] الزكاة وكانوا أعزّ منه، وإذا تركها هؤلاء تركها سائر من دخل في الإسلام، ثم تركوا الصلاة وجمع ما فرض عليهم، ثم ارتدوا جميعاً فهذا وجهٌ، وأما الإنفاق في سبيل الله فإذا ظنّ به الناس ولم يخرجوا في سبيل الله إلَّا بالعطاء فارق أهل العطاء عند عدم العطاء من يقوم بهم فلم يبق بالحق قائم سواهم وأدّى ذلك إلى عطلة الإسلام، وأما خونة الولاة والسعاة فإذا نظر الناس خيانتهم لم يسمحوا بأموالهم، ولم يحسنوا الظن بمن ولَّاهم، وأما من يطمع بالجرايات من العشائر فذلك مال ممّا لا يدرك ولو أن الأرض بأسْرها جبيت لهم لآل أهل الدنيا أكثر من جباتهم لا سيّما والكل من الرعية غير مقتصر من ذلك على كفايته ولا مفردين به من يتخلَّى للخدمة، وأما المنكر والفساد فظهر وظهوره لتخاذل الولاة، وخذلان أهل العدل لهم، فلو قد علم أهل الفساد أن والياً إذا استنجد والياً أنجده، فإن الوالي إذا قام برعيته قامت معه لما ظهر ما ظهر من المنكر والفساد، ولَمَا أظهر أهل النكث ما أظهروا من العناد، لكن قد علم الله قِلَّة رغبة هذه الأمة الضَّالة في الخير فرفعه عنهم، ومحبتهم للقبيح، فلم يزله عنهم، وبعد يا أهل بيعتنا فلم تكفروا كلكم ولم تنكثوا بأجمعكم ولا بدّ أن سيكون فيكم من يلتزم بعهدنا ويقوم بذمته كقيامنا، وقد بايعتكم جميعاً على كتاب الله وسنة نبيه صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم، وفيه الأمر بالمعروف والنهي عن

(١) الآية: ٢٦٢، سورة البقرة.

(٢) في الأصل كمسألة.

(٣) الأصل «هو إذن».

المنكـر والاعتوان عليهمـا، والله يقـول آمـراً بـذلـك ﴿**وتعـاونـوا على البـر والتقوى ولا تعاونـوا على الإثم والعدوان**﴾[1] وهـذه الآية لي عليكم، وفي كتابه يقول: ﴿**يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيـل لكم آنفروا في سبيـل الله آثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فمـا متاع الحيـاة الدنيـا في الآخرة إلاّ قليل إلاّ تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويَسْتبدل قوماً غيـركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قديـر**﴾[2] هذه الآيـة لي عليكم في كتاب الله، وقال في مثل ما أنتم تطلبون من هذه الزكوات ﴿**إنما الصدقات للفقراء والمسـاكين والعاملين عليهـا والمؤلفة قلوبهم وفي الـرقاب والغـارمين وفي سبيل الله وابن السبيل**﴾[3] وهـذه في كتاب الله لي عليكم، فـإن كنتم مؤلفة فسهمكم لا يقوم ممّا طلبتم مني، وفي الخبر المشهور أن الذي قسم رسول الله لهم وتألفهم سَبْعَة عشر رجلاً من قريش والعرب، وكلهم كان يقود جيشاً كثيراً، والعشائر اليوم كلهم تقول إنهم مؤلفة، وليس لكثيـر منهم تابـع، وإن كنتم تطلبون السّهم الذي في سبيل الله فذلك لمن قام في سبيل الله لا لمن قعـد، وإن كنتم تـطلبـون مـا قسم الله للفقـراء والمسـاكين والغـارمين وابن السَّبيل وفي الرقاب، فليس ذلك لكم، فمن أين تمّت بيعة من يبايعني على كتاب الله وسنّة نبيه ثم طلبي[4] غير ما في كتابه وسنّة نبيه أهذا عندكم واف بعَهْـده ومضيع لـه فاتقـوا الله أيها العـرب الكرام، وارجعـوا عمّـا أنتم عليـه واستغفروه من خلاف مـا أوجبتم على أنفسكم ولا تماروا في العنـاء فتضلوا عن سبيل ربكم، واعلموا أن الله لم يعـذركم عن القيام في سبيله بـأموالكم وأنفسكم وإنما عذر منكم من لا استطاعة له. فقال سبحانه وتعـالىٰ: ﴿**ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حـرج إذا نصحـوا لله ورسولـه ما على المحسنين من سبيـل والله غفـورٌ رحيم ولا على الـذين إذا مـا أتـوك لتحملهم قلت لا أجـد مـا أحملكم عليـه تـولـوا**

---

(١) الآية: ٢، سورة المائدة.

(٢) الآية: ٣٨-٣٩، سورة التوبة.

(٣) الآية: ٦٠، سورة التوبة.

(٤) كذا لعل صوابه «ثم يطلبني».

وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون إنما السبيل على الذين يَسْتأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف﴾[1] الآية وهذا كتاب الله بيني وبينكم حكمه علينا فما أوجب لكم عليّ قمتُ به، وإن لم أقم بما حكم عليّ فأخرجوني من هذا الأمر، فأنا واحد لا ارتد إلى عشيرة تتبعني فيما تكرهون، وإن لم تقوموا بما حكم الكتاب عليكم قاتلت من لم يتحكم بمن احتكم حتى يفيء إلى أمر الله إلاَّ أن لا يتحكم الخلق أجمعون فيكون لنا بذلك المعذرة ولا يلزمنا إلاَّ فرض العزلة، وكتابي هذا إلى كافة أهل بيعتي من أقطار اليمن، وقد أمرت من كان ملتزماً بالأمر منهم أن يحنطوا[2] ولاتي وأن يأخذوا على أيدي سُعاتي وأن ينفذوا أمر من يتصرف بأمري فيما يجري على يدي، فقد عزمت على صرف الواجبات كلها ممّا جعلها الله فيه مفرقة لا أرزق منها أحداً درهماً إلاَّ على تخليته للخدمة في سبيل الله، فمن يصل لذلك وَصَارَ إليّ أجريت له في كل شهر من هذه الصَّدقة ما يقع به الإنفاق بيننا وبينه، ومن أراد غير ذلك منا منعناه منه ما وجدنا إلى منعه سبيلاً.

وقد صَرَفت وجهي لتحصيل أهل بيعتي ومن يتقرب إلى الله في القيام معي في سبيله، وجعلت لأهل الطاعة فسحةً يستعدون فيها إلى النصف من شهر ذي الحجة، فإذا حضر نصف الشهر فليصل إليَّ من كان قائماً بعهده وافياً بعقده طالباً لما عند خالقه من والٍ أو مولاً عليه، فإذا صار إليَّ أولئك وعرفت الذي قام ليرتزق في قيامه أجريت عليه بعد حُصُوله عندي ونصوله في خدمتي ممّا يجب له حتى يفارقني، ووصلت يد من قام بماله إذا قصرت به نفقته وهو معي، وليس أسير هذه السيرة لمن اكتتب رزقاً معي ولا لمن يطمع أن يجريه ذلك المجرى، فليعلم بذلك من بايعه على الكتاب والسنة، فمن نكث قائماً ينكث على نفسه **﴿ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً﴾**[3] ومن يصل للقيام معي وسار بتلك النية لي

---

(١) الآية ٩١-٩٣: سورة التوبة.

(٢) كذا.

(٣) الآية ١٠: سورة الفتح.

فليعلم أني غير تاركه لرجعة حتى يصلح ما يريد الله صلاحه، وينفتح لنا من البلدان ما نرجو افتتاحه، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، وقد كتبت كتابي هذا وأنا في أثر كتاب رسولي لاقتضاء الجواب، وأرجو بالخيرة من رب العالمين، ووجهته بيد الحسين بن أحمد بن يعقوب، وأمرته باقتضاء جواب من قري عليه بما يوجب من نفسه ومعرفة من كرهه وخالف حكم الله من أهل بيعتي، وكتب القاسم بن علي بخطه.

قال الحسين بن أحمد: فلما أنفذ هذا الكتاب وهو بعيان أتته كتب ولاتِهِ بنجران يذكرون له أن الدَّخامس وأهل بيته قد نصبوا للفتنة، وقد هو يتوصل إليه من الناس من ليس في قلبه حقيقة إيمان لما يرون من تطاول تأخر الإمام عليه السلام عن الوصول لعقوبة المخطي ويستعجلونه المادة، فاشتدّ غم الإمام عليه السلام لذلك وعزّزه بكتاب إلى الناس يسألهم النفير والاستعجال لجهاد أعداء الله، نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم، قد يا إخوتنا ـ أسأل الله حفظكم ودفع السوء عنكم ـ أكثرنا مكاتبتكم في الاستنهاض في سبيل ربكم، وما نخير خير الدنيا والآخرة عليك ونراكم ثقالاً عمّا نرجو فيه الصَّلاح لنا ولكم، ثم قد أتانا هذا الفتق ولو كان من غير سلطان لسهلنا في الأمر وإن كان التَّسهيل في هذه الحوادث لغير صواب وقد قامت الفتنة وامتاز الناس وهذه حال فيه قوام جاءه من خرق هذا الخرق وانتظار مثله فلم يعمل مع هؤلاء إلَّا وقد عمل مع غيرهم كالذي عمل معهم، وقد رأيت مبادرة هذا الأمر قبل تولده، وتشعب الفتنة فيه وذروا[1] ما لم تكلفوه من المشورة، بالأناة حتى لا أناة، وأسعدوا من قد قلدتموه[2] أموركم فليس بغبي فيما يصلحكم، وآذكروا قول ربكم إذ يقول عزّ من قائل: ﴿**واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم**﴾[3] وهذه لما بعدها والخاتمة لأمثالها فمن كان منكم لي طاعة في طاعة الله، فيكون مخرجه في يوم خامس في شهر

---

(١) كذا لعل صوابه «داروا» أو«درء».

(٢) في الأصل قلتموه ثم أصلحه في أعلى السطر.

(٣) الآية: ٧، سورة الحجرات.

ذي الحجة وهو يوم الخميس، وليأخذ من زاده ما طف ويترك التضرّع لما هو حاصل في يده، وذروا مظاهات العيد، فعيدكم في بلدان أعداء الله أفضل من عيدكم في منازلكم، العجل العجل، فقد استعجلنا من قد قام نحو بيعتنا وأنشب الحرب من غدر بِنَا، وفي بيعتكم ألاَّ تعصوا لي أمراً ولا تثقلوا عني في دعوة فالله الله في أنفسكم أن تهلكوها فبالله لئن تأخرتم عن هذه الندبة وتلافي هذه المحنة لأرجعن إلى الله منكم ولأجعلنه الحاكم لي عليكم والشاهد بيني وبينكم، اللهم من عوق مجيبي دعوتي وخَذَلني وخَذَل أهل طاعتي فاخذله وعوّق عنه منافع الدنيا والآخرة إنك مجيب الدعاء.

ومع توصله كتب بما أوجب ذلك، وقد كنت كتبت كتاباً قبل هذا وتابعنا مرادكم في الاقتراب والمهلة حتى أتت هذه الكتب الآخرة، وقد كنت أحسست هذا الأمر فطلبت إليكم ما طلبت كيلا يكون ما كان، وهذا فآخر كتابٍ ترونه مني في مثل ما سألت ولا يلتفتن أحدٌ منكم لهذا الطمع الذي في أيديكم فمنه ما يلحقكم، ومنه ما يكتب به لمن يصل منكم، ومنه ما يرحل لمن ينوبكم، اللهم فاشهد أني لا أملك إلاَّ نفسي، وهي هبة لك وفي سبيلك حتى لا أجد مساعداً يلزم به أداء فرضك، والسَّلام والحمد لله وصلَّى الله على محمد النبي وآله وسلَّم تسليماً كثيراً.

وكتب مع هذا الكتاب كتاباً فرقه نسخاً إلى كافة ولاته باليمن، نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم، قد يا أخوتي وسادتي جعلني الله فداكم أكثرت على هذه العشيرة ترداد الكتب حتى يعلم الله لقد سمجت نفسي عندي، وقلت وزهدت، وطمعت منهم بأدنى حركة ولو قلت فلم يفعلوا، ثم طمعت بقوة تصون الدولة فلم يتم ذلك، ثم جاء هذا الحدث فاستهممتهم فثقلوا، وقد علموا جميعاً وعلمنا أن مبدأه من عندي غير وأنه لم يعمل هذا العمل مع هذا النحس ومن ساعده وحده بل لا أشك أن له أعمالاً كثيرة قد علمنا بمواضع منها ثم التزم برجال من بني الحارث، ورجال من هَمْدان بعهودهم وتاجروا أهل الغدر والحرب، وأرسلوا يطلبونني

المعونة والنّصرة فرسلهم عندي كل يوم متبعة، وقد بعثت إلى هذه العشيرة التي وكلتني العشائر إليها أستنجد منهم عصابة أسير فيها، فإن يكن فيهم لذلك صَيَّرتموهم إليَّ وثبتم مكانكم، وإن لم تروا إلى يوم موعدي منهم أحداً قائماً ولا راغباً فانصرفوا حتى يصلوا إليّ وبذلك أمرت جميع الولاة ولم يفرض الله علينا أكثر من بذل أنفسنا فإذا عُصِينا فلم نجد مساعداً على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يكلفنا الله ما لم نستطع، والله يا بني جدّي ما زالت العشائر على أجود استقامة حتى طلعت البون، فكان مطلعي ذلك بهلاك الأرض وأهلها وخبّرت العشائر كلها بظنّهم أنني آثرتُ بالعطاء أهل البون، ولم ينالوا خيراً ثم قد وكلوني إليهم فهذا من النقلة والإعراض ما لم أكن أقدر وما يدخل المضرة في ذلك إلاّ عليهم لا عليَّ، ولقد بلغني أمر لهذا للعبد معهم معاملة مع مقدمتهم أن يثقلوا بالناس فما صدقت بذلك حتى الآن فقد رأيت ما حقق لي هذا الخبر فأسأل الله من فعل ذلك أن يثيبه[1] الذلّ والفتنة والحرب والمحنة، وأن يهلكه هلاكاً عاجلاً إنه على كل شيء قدير وبكل شيء بصير، فأنا أنشدكم بالله وبقرابة رسوله وبحق أبويكم من علي وفاطمة أن تقيموا ساعة واحدة بعد بيان المعصية أو تأخر من يخرج في هذه الندبة «ربنا عليك توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين»، ومن اعتذر بي في مخرجه يطلب رزقه فعرفوهم أن الذين يطلبون من أسباب الفساد في الأرض وأنه لا رزق عندي إلاّ لمن سار مسيري وصابر ورابط فذلك الذي يرزقه ما فتح الله به عليّ وعليه، وإن لم يفتح الله فتحاً ننال منه نفعاً فما عند الله خير وأبقى، وحَسْبي الله وكفى وظني بربي خير ظن، واحذروا يا بني عمي أن يخدع أحد منكم نفسه أو يخدع غيره، فيقول له قائل أبيت فنحن لك وأصلح أحوالنا ونحن نجعل لك حباناً، فوالله لا تمّ ذلك لأحد خرج من غير أمري إلاّ بفراق الدنيا والدين وليلتبس بفتنةٍ لا يتخلص منها أبداً، وقد أعذر من أنذر وقد أمرت موصل كتبي أن يقبض جوابها، ويعرفكم بما لم أحمله الكتاب، ولله الأمر

---

(١) الأصل: يثبته.

من قبل ومن بعد، عليه توكلتُ وإليه المصير، ومن خرج من رعية أحد منكم أمروا إليهم بحمل ما يحتاجون إليه في سفرهم على آثارهم ولا آمن أن يعترض بعض العصاة في ذلك فإن كان ذلك فلا تأخروا[١] عمّن يخرج وذروا ما تعترضون دونه لهم، فإنه فتنة لهم ومتاع إلى حين، ولن يعدم الله من قصدنا رزقه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فوصل الرسول بهذه الكتب، وقرأها على النَّاس، وحلّ بالناس من غمّ شديد من عتب الإمام عليهم ومن ضيق الوقت الذي رسم لهم، فأجمع رأيهم على أن أوجبوا للإمام في النهوض بأجمعهم وكتبوا إليه جواب كتبه بالطاعة فيما أمر، وسألوه الفسحة إلى نصف شهر ذي الحجة، وما أمكنه والفسحة، وإن يمهلهم إلى الأجل الذي حدّه في كتابه الأول، فوصل الإمام عليه السلام جواب كتبه بذلك، فأسْعف مسألتهم فنهض من عيان يريد الاقتراب لأثر يشدّ[٢] عَزائمهم على النهوض يوم الاثنين أول يوم من شهر ذي الحجة فأمسى خيوان[٣] ونزل بها في منزل أبي الهيثم بن الرديح وذلك لأنه كان ممّن يخدمه في البلد، ونهض منها من الغد فأمسى أثافت[٤] فنزل بها في منزل صاحبه محمد بن الدقيق، فأقام بها أياماً وجدّد بكتاب نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم، تعلمون يا جميع أهل الطاعة رعاكم الله أني قد شدّت مني العزيمة على المسير إلى من نكث بَيْعَتي وخرق في دولتي عاشر العيد، وأني لا أعذر عن الخروج منكم أحداً وقد أطلقت للجميع نصف رُسُومهم، وأوجبت على جميعهم الخروج، فمن يصل لخدمتي وتباعد من معصيتي، وخرج في هذا المخرج معي أصححت له جميع رزقه وزِدْته عليه ما قدرت، وأي مخلاف ما فتحت به جَعَلت له فيه

(١) لفظة غامضة.

(٢) كذا تقرأ هذه اللفظة وربما كانت هكذا «لا يرشد».

(٣) خيوان: بلدة مشهورة في حوث إلى الجنوب من حرف سفيان وهي من صنعاء بمسافة ١٢٤ كيلومتر (المقحفي: ٢٢٧).

(٤) في الأصل أثاقب وتروى أثافت: بلدة مندرسة في بلاد حاشد على مقربة من دماج، وبالشرق من مدينة خمر.

رزقاً يَجْري لـه ومن تخلَّف عَنّي في هذا المخـرج لم أعتمل بـه ولم أعتمد عليه ولم أطلق له رزقاً يطلبه مني، فامتثلوا ذلك يا جميع أهل الطاعة فذلك مرادي فيكم ونيّتي في تصريف أحوالكم، والسَّلام.

وكـانت ليلة الثلاثـاء ليلة تسع خَلون من شهـر ذي الحجة فـأتاه تلك اللَّيلة كتاب من رجل من بني ربيعة من شيعته وإخـوانه، يقـول فيه: يـا آبن رسول الله قد شهد عندنا رجلان بأنّهما رأيـا الهلال ليلة الأحـد في أول هذا الشَّهر فتأمرنا بالعيد فنحضر للصلاة معك غداً إن شاء الله تعالىٰ.

قال جعفر بـن محمد بـن القاسم: نظرنا في مقـدار رؤية هـذا الهلال فـوجدنـا لا يمكن رُؤيته ليلة مـا شهد الشَّـاهدان لأن مقـام رؤيته من أربعـة أجزاء غير ربع جزء، والـرؤية على هـذه الصُّورة لا تمكن، فـدل ذلك على ورع الإمام وعلى إصابتـه في خشية الخـطيئة، فـأرسل الإمـام عليه السـلام رجلين من ثقات أصحابـه إلى الرجـل أن يبحث عن الرجلين وعن عدالتهما ومَعْرفتهما بحساب الأيام وفَهْم المعرفة الذي تجب بها أداء الفـرض، فصحّ له عنهما أنهما رجلان من العـرب وليس أحد يصحّ لهما عـدالةً، ولا يقف منهما على خيانة، ومعهما جهل بما سأل عنه الإمام عليه السلام من معرفـة حسـاب الأيام والشهـور، فردّ على صـاحب الكتاب أن الحـال اشتبـه علينـا ولَسْنا بهذه الشبهة نرى العيـد غداً، ولكنـا نؤخره إلى بعـد غدٍ إلَّا أن تـأتينا صحة نبني عليها، وكان له صاحب من الحجاز يخدمه في دوابـه، يقال لـه احمد بن ميمون، كان خابراً منه الصدق والصحة، فلمـا كان يـوم من الأيام بأثافت[1] أتاه يشكـو إليه مولاً من موالي بني صريم[2] من القرية أنه أساء به وأخـطى عليه، فـأمر الإمـام عليه السـلام بهـذا المـولى أن يعـزّر فـأتـاه من أصحابه من يشيـر عليه أن لا يؤدب المخـطي فإن بني صـريم أهل عـزٍ وهو مـولاً لهم، وليس مـع الإمـام عليـه السـلام من ينفّـذ بـه الأحكـام عليهم، فغضب الإمام عليه السـلام عند ذلـك وقال يجلد هـذا المخطي ولـو قطعت

(١) في الأصل بأثاقب وأصلحناه من عندنا.

(٢) بنو صريم قبيلة من حاشد «الحجري: ٢١٦».

في ذلك رؤوسنا فلم يقطع رؤوس آبائنا فيما مضى إلَّا الحق فارتفع صَوته لغضبه، وأنفذ حكمه في ذلك المخطىء.

قال الحسين بن أحمد بن يعقوب: وكان مع الإمام عليه السلام هنالك خيل وركاب، وكان له أكلاً منهم من الشرفاء والعامة فسأله عامله هنالك كيف يكون إنفاقه على الجميع، فليس في الخزانة قبله إلَّا الزكاة، فقال ينفق على الجميع من الزكاة ويحسب مبلغ ما يخرج من النفقة لي والشرفاء فقط ولد وأبناء ويعلمني بذلك عند انقضائه حتى أمر بعوض ذلك يخرج مخرج الزكاة، فلما أن كان خامس العيد نهض الظَّاهر، فاطلع فيه على سعاية ولاته وأرسل إلى والي حلملم[1]، وذلك محمد بن عبد الله بن المختار، وعاود من هنالك ولقيه وهو بسرّ[2] يكهل في الظاهر شيخ من شيعته وأوليائه، يقال له أبو جعفر الصّبيحي من صبحه زائراً له ومسلماً عليه ومطلعاً له، وشكا إليه قلّة ما في يده وأيدي إخوته، وذلك أنهم في أول ما ظهر الإمام عليه السلام باعوا أكثر ما في أيديهم من النَّشب في المهاجرة إليه والإجابة لدَعْوته، فسأله الإمام عليه السلام بمجيء عدة من تحت يده ويدي إخوته وأطلق لهم كفايتهم تلك السَّنة من بيت مال المسلمين، فقال له أبو جعفر: يا ابن رسول الله في قريتنا امرأة عجوز مؤمنة كبيرة السّن مستورة لا مال لها ولا قائم عليها وقد رأيت أن أنهي إليك أمرها، فأمر لها أيضاً بكفايتها مع أبي جعفر إلى العمال تلك السَّنة، فزاد الشيخ أبو جعفر تكلم، فقال: يا ابن رسول الله قد سلمنا لأمرك ببصيرة لا يجهل، ونحن لا نرجو ثواب الله إلَّا بهدايتك، وفي بلداننا قوم جهلة وعرب يحبون الخير ويشيعون مخالفة عن أمرك وصادّة يحدها عنك وهم يشيعون عليك لئن يُبَغّضوك إلى الرّعية، أنك أمرت بقبض العاشرة من الثمار، وأنك أطلقت الزكاة لولاتك من أهل البيت وهي محرَّمة عليهم، وقد نحن إذا لقينا منهم أحداً نحتج عليه ونجادله في ذلك وغيره من علومك ممّا ينكرون، فإن

---

(١) حلملم: عليا وسفلى قريتان من عزلة الأشمور وأعمال عمران (المقحفي: ١٨٨).

(٢) سر يكهل: لم أجده، وسيأتي ذكره بسر بكيل ولعلَّه تصحف هنا.

أمرتنا بذلك كنا عليكم، وما أمرتنا امتثلناه، قال الإمام عليه السلام: أما المجادلة لهؤلاء المتشيّعين الصّادين عن سبيل رب العالمين فلا آمركم بجدالهم فليس ذلك يؤدي إلى مصلحة ولا ذلك بواجب عليكم، وأمّا سواهم ممّن يهتدون ويريدون أن يهتدوا بكم فعرّفوهم الحق من ذلك، فقال: وبما نحتج عليهم في مثل ذلك، فقال: أما الأعشار فلم نبدأ سيرتنا إلاَّ بالقبض ممّا بلغ فيه الزكاة ثم صحَّ لنا أن ذلك ناقض للزكاة ومضيع لها، وذلك لأحوال منها: أن هؤلاء الرائين أوهموا أكثر الرعية إنما يخرجون لسعاتنا[1] لا يزكيهم فدعاهم ذلك إلى تفريق زُرُوعهم حتى يكون كل جزءٍ منها أقل ممّا يبلغ فيه الزكاة مع ما يغنون من ذلك فهذا وجهٌ، والوجه الثاني أن يكون للإنسان الثمر فإن كان عيناً بحرف أكثره وباع منه حتى لا يدرك الكيل إلاَّ أقلّه وإن كان زرعاً تقدم منه ما ينقصه عن الزكاة فهذا وجه، والوجه الثالث أن دار الإسلام ضيقة وأن الأحوال بالقيام بها بالصَّلاح بها مخلة ولو سألناهم وحكمنا عليهم من ثمارهم بأكثر من العشر ما كان علينا في ذلك حرج لما يعود بالصَّلاح عليهم، ويكون من حسن النَّظر وقد فعل ذلك سلفنا وذلك سيرة تجب للأئمة فرأينا أن يأمر سعاتنا أن يقبضوا ممّا قلّ أو كثر ولا تسألوهم عمّا قد فرطوا من التقدم في ثمارهم والنقص لها وحسبه[2] للحيلة في تفريقه التي فعلوها والسّيرة في توفير الواجبات لعائدة الصلاح[3] عليهم أيضاً فاعلم ذلك، وأما الزكوات فلم أطلق لنفسي منها إلاَّ ما أخرج أضعافه من الثمن والمثل ممّا أحل الله لنا من أرْزاقه من غير ذلك، وأمَّا ولاتي فأطْلقت لهم للضّرورة وعدم غيره من السائغ لهم ولموضع خدمتهم فيما يستحقه من خدم خدمتهم، فاعلم ذلك والسَّلام.

قال الحسين بن أحمد: ثم إن الإمام عليه السلام لما بَلَغه قلة من ينهض معه لموعده وما تناهى إليه من تثبيط الشيع وكبار الجند للنَّاس كتب

---

(١) كذا ولم تتضح لنا القراءة الصحيحة لهذا النص.

(٢) كذا.

(٣) في الأصل المصلحة وأصلحه هكذا.

كتاباً، وأمرني به يوم الجمعة أن أقرأه يوم السَّبت ثاني ذلك اليوم في الأسواق الأخطوب[1] في أعلا البون، في سوق كان يجمع أكبر الجند، نسخة ذلك الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم، قد وجهت بكتابي هذا صاحبي الحسين بن أحمد بن يعقوب يقرأه في سوق الأخطوب وسوق ريدة وما بين ذلك إلى كافة أهل طاعتنا ومن أنفا[2] بالطاعة من أعدائنا سلام عليكما، فإنا بحمد الله إليكم كثيراً ونسأله أن يصلي على سيدنا محمد وآله من سلفنا، أمَّا بعد، فإنه لم يقصر عنا علم ما أنتم عليه من جميل نشكره من يعرض له وسيّىء يكافىء الله عليه أهله، فليَسْتقم المحسّن على سبيله وليجتهد المسيء في غيّه، فإنه لا يغلب أمر الله ولا يقدر على تَثبت أوليائه، أيها الناس قد بلغنا كَسْر أعدائنا علينا وإبداؤهم المكروه لنا، وصدّهم عن طاعتنا ونهيهم النَّاس عن اتباعنا وتأويلهم في واجباتنا، وقولهم بغير علم فينا اللَّهم فآلعنهم بما ظلموا وأذقهم ثواب[3] ما عملوا وآلعن اللهم من أمروه فأطاعهم أو سمع صدّهم فلم يناكرهم، اللهم إني أشكو إليك من أبدا[4] ني للظالمين، وخذلني عن سبيل المؤمنين، وقد نعلم بأيقن اليقين أن أولياءهم أولياء الله ما تأخذهم في الله ولا فينا لومة لائم، وليس أولئك ممّن يلونهم الشياطين، ولا يصدّهم عن رشدهم المثبطون فإذا رأوا[5] أولئك ولاتنا قد أقبلوا لإجابة دعوتنا فليتصلوا بهم وليصلوا حبالهم بحبلهم فأولئك حزب الله وهم الغالبون كما وعدهم الله إذ يقول عزّ من قائل: ﴿**ألا إن حزب الله هم المفلحون**﴾[6] ﴿**وإن جندنا لهم الغالبون**﴾[7] ويقول وقوله الحق: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم**﴾[8] فأقبلوا لموعد من لا يخلف وعيده ولا يظلم عبيده، وإياكم أن تقاتلوا أنفسكم فليس بقليل من كان الله

---

(١) الأخطوب: لعلها الأخطور في الإكليل ١: ٨٩ أو الأخطوب «المقحفي: ١٦».
(٢) كذا. (٣) مكتوبة في الأصل هكذا «سواب».
(٤) ولعلها بدأني. (٥) تقرأ هذه اللفظة أيضاً «أرادوا».
(٦) الآية: ٢٢، سورة المجادلة.
(٧) الآية ١٧٣، سورة الصافات. (٨) الآية ٧، سورة (محمد).

معه، والله تعالىٰ يقول وقوله الحق: ﴿**كم من فئةٍ قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين**﴾[1]. ويقول: ﴿**إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون**﴾[2] فابشِروا بصدق وعد الله وأقبلوا لموعدنا على بركة الله، ففي ذلك إرغام من قد بان لنا نِفاقه وظهر لكافة البرية عِصيانه وشقاقه من متسم بالشيع وليس له باسم، وناقض عهده يعقبه الله في إخلاف وعده، ونكث عهده نفاقاً إلى يوم القيامة، كما قال عزّ من قائل: ﴿**فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون**﴾[3] ﴿**وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون**﴾[4] ألا ثَمَّ ليَعْلم من قُرىء عليه كتابي هذا أني لا أتعلق إلاَّ بمن تعلَّق بي ولا أناصر إلاَّ من ناصرني ولا أنفق مال الله إلاَّ لمن سعى في سبيل الله معي، فمن رام غير ذلك لم أوصله مُراده وألزمت نفسي وكافة المسلمين جهاده كما أمر الله بذلك في المنافقين، إذ يقول أصدق الصادقين ﴿**يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين وآغلظ عليهم ومأواهم جهنَّم وبئس المصير**﴾[5] وقد أعذر من أنذر، فمن بان لي طاعته فليكن كالمطيعين، ومن كان وافى العهد فليكن كالمعاهدين. فإن الله يقول وقوله الحق: ﴿**وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً**﴾[6] والسَّلام على كافة المسلمين، والحمد لله رب العالمين.

ثم إن الإمام عليه السلام لما وجه بكتابه الثاني نهض من سر بكيل[7] فأمسى أثافت[8] آخر يوم الجمعة ونهض حتى صار إلى عيان وأتبعه بجواب أوليائه وعزمهم بالمسير معه فألفيته بعيان وأقام بها حتى توافى إليه عسكره،

---

(١) الآية: ٢٤٩، سورة البقرة.
(٢) الآية: ١٢٨، سورة النحل.
(٣) الآية: ٧٧، سورة التوبة.
(٤) الآية: ٢٢٧، سورة الشعراء.
(٥) الآية: ٩، سورة التحريم.
(٦) الآية: ٣٤، سورة الإسراء.
(٧) سبق ذكره بسر يكهل ولعله تصحف هناك والسر هنا في بلاد العصيمات أو بني ربيعة وما يحمل السر كثير انظر «الصفة: ٢٢١».
(٨) يرد ذكرها في الأصل بأثاقب.

وكان أكثر الكتائب خيلاً وأوفرها عدداً وقوةً من كان مع الزيدي القاسم بن الحسين، ومع يحيىٰ بن المختار، وكان ولايته على بلد هَمْدان وصنعاء، ثم نهض إلى صعدة، ونهض لنهوضه بكيل من أوطانها، فلما أن قارب صعدة أمر الأمير القاسم بن الحسين الزيدي أن يتقدم في أول العساكر ويوقفهم ويأمرهم بلباس عددهم وأسلحتهم للقاء من تعرَّضهم في لقائه من صعدة ومن بها من العساكر والعيون، فلما أفضى الإمام عليه السلام إلى آخر الكتائب من الخانق[1] إلى صعدة أمرهم بأن يَعْدلوا عن أهل القرية ويأخذوا شرقياً حصون بني حمزة ولا يضرّوا بأحد في زَرْع ولا شجر، وجَعَل منزله في فَسْح من الأرض أسفل من حصن العراق قريباً من القرية ولم يحب أن ينزلوا بها خشية أن يلحق أهل القرية منهم معرَّة أو مضرَّة لما كانوا عليه من الكثرة، فبات بذلك المكان هو وعساكره حتى كان من الغدِ ثم أمرهم أن يعرضوا على خيلهم ورجلهم، وقعد لهم على مكان يطل عليهم فيه، وهم يأتونه على بيوتاتهم مع ولاتهم وقوّادهم كتائب وثبتت كتابه في الجرائد أسماءهم وعدد خيلهم وركابهم، فلما أفضى ذلك أمرهم بالثَّبات ونهض إلى صعدة القرية فأمر خزَّانه بالإطلاق للعسكر بما يأتيهم من الرقاع، وأما دوابهم[2] فنفذ لهم ذلك آخر يومه، ويوم الثاني ونَوَّر[3] من صعدة وأمر قبائل خولان بالتَّنْوير معه، وكان له بصَعْدة جارية فلم يبت في منزله عندها في مقامه أيامه هذه بصعدة، فراجعه بعض أصحابه في ذلك، فقال: كيف أبات عند أهلي وعَسْكري من خارج القرية، وإنما العسكر قوامهم خلون بزمامهم، فإذا خلاَّهم جرى عليهم ما يجري على المضيعين.

وكان نهوضه يوم السَّبتِ لثلاث خلون من شهر محرم من شهور سنة تسعين وثلاث مئة سنة، فأمسى آخر نهاره بمكان يسمّى ظهر الركب، وكان ابنه جعفر الأمير بصَعْدة، واستخلف عليها وخرج مع أبيه، وكان مخرج

---

(١) الخانق: من أودية ناحية سحار جنوبي صعدة «السيرة المنصورية: ٦٦٠».

(٢) في الأصل ولد قابهم ثم أصلحه بأعلى السطر هكذا.

(٣) نوّر: أشعل النار إيذاناً بالحرب وهي عادة قديمة ظلّت مستعملة حتى وقت قريب.

الناس من الركب[١] يخترعون مكاناً يسمى الدَّحاض[٢] موضعاً وعراً ترك فيه الخيل والإبل، فلما رأى الإمام عليه السلام ذلك نزل من بجاويه وأوقف الناس، ووقف على غدير هو الذي كان يضيق الطريق، وأمر من قاربه من العَسْكر بحمل الحجار وحمل التراب والبطحاء ويطرحوه في الغدير، فما كان إلَّا ساعة وقد استقامت الطريق فيه، وكان غديراً عميقاً لا يعتمل لأحد، ثم نزل الناس في ذلك الوعر تسقط الإبل وتسقط الخيل ولا يضرها ضار، وكل ذلك لا يراه النَّاس إلَّا ببركته وتوفيق الله له.

قال الحسين بن أحمد بن يعقوب: فأمر الإمام من وقف معه فكان لا يجوز الناس غيره بعد العَسكر فبلغ عدد الخيل ألف فارس إلَّا نيفاً وثلاثين فارساً، وعدد الرجل ثلاثة آلاف ومائتي راجل وأربعين راجلاً، فلما أسهل النَّاس من ذلك الوادي إلى موضع يسمَّى التربية في آخر النهار، وأمر الإمام عليه السلام إلى أول النَّاس يأمرهم بالمحل، ثم أتى الإمام في آخر الكتائب، وقد نزل الناس ومنهم من نزل في بطن الوادي ومنهم في عدوته الدنيا، وكان هذا الوادي وادياً بعيد الماء واسمه وادي العرض[٣] وخشي الإمام من هجمة السّيل لأن السّيل فيه يأتي ذلك المكان، ومن فيه لا يَسْمعون رَعْده ولا يَرَوْن بَرْقه لبُعْد فروعه، فأمر النَّاس جميعاً أن يتحيزوا من مجرى السّيل ومن عُدْوة الدنيا إلى عدوة القُصْوى، ففعل الناس ذلك، وكان من الغد وأمر الناس بالرحيل، ولبس العُدد والتعبى كل كتيبة في جهتها، فلما أفضى من ذلك الوادي إلى أعلى نجران وفي أعلاه حُصُون همدان من وادعة ويام وشاكر، وكانوا طاعة للإمام عليه السلام وخاصته في المحبة، صاروا يلقونه كتائب يسلمون عليه ويدخلون في عَسْكره، قال أبو الفلاح أحمد بن عبدالله القاعي[٤] يرتجز بين يدي الإمام:

---

(١) الركب: موضع ذكره الهمداني في الصفة: ١٦٤.
(٢) من بلاد وادعة ذكره الهمداني الصفة: ١٦٤.
(٣) وادي العرض انظره في صفة جزيرة العرب: ١٦٤.
(٤) ترجمته في مطلع البدور ١:١٣٨ «مخطوطة غمضان».

قد علمت ذات الهجان[1] الحائس كالشمس فوق الشمخ الأوانِس
أنا نوطي عزمة الدَّحامس بألف خطى وألف فارس
تحت القنا محجة عوابس قد كان من مجيئنا كاليابس
فالآن جئنا شبه الحنادس نطلب بالثأر القديم الدارِس
جل فما ينجسه من ناجس ننتزع الهامات بالقلانس
أو نجده يوماً كيوم الداخس[2]

وسار الإمام عليه السلام حتى خرج موضعاً في أسفل بلد وادعة يسمى المقطوع، ووقف أيضاً أبو الفلاح يرتجز وهو يقول:

قدنا الجياد والنِّيام هجع كتائباً يقدمهن الأورع
ابن علي الهمام الشعشع لحصن عياشٍ جيوش تشنع
مرّت بواد الدحْضين تقطع لما بدت راياتنا تلمع
واقتحم المقطوع جيش أذرع ولّوا هزيماً شرداً وودع
والحصن من بعد امتناع بلقع يا ويح من سلابنا أو يخنع
نحن لأهل البيت حصن ممنع أنفسنا دونهم أن يفزع
ننزل أحياناً وحيناً نطلع

فانحدر الناس من المقطوع الوادي، فلقي الإمام عليه السلام يام وشاكر والأحلاف مع الوالي، وهو أبو الخير بن يحيىٰ بن الناصر عليه السلام فسلّموا على الإمام عليه السلام ودخلوا في عَسَاكره ومناد للإمام عليه السلام يُنادي في الناس من حين دخلوا أعلا الوادي بالانقباض عن زروع الناس ومضارهم، حتى لما صار بمكان يسمى النقيرة[3] مال بعماريته[4] للمنزل هنالك، وأمر من ردّ عليه أول الناس، وقد هبّ سرعان العَسْكر

(١) تقرأ في الأصل هكذا «الهجاز» والحوساء الناقة الكثيرة الأكل.
(٢) كذا ولعله الداحس بالحاء المهملة يوم من أيام العرب «معروف» انظر أيام العرب: «٢٤٦».
(٣) اللفظة بدون إعجام وأوردناها هكذا لسد الفراغات وهو اسم موضع لم أجده في الصفة.
(٤) هكذا في الأصل.

إلى الغصون وأخذوا من لقيهم فلما رجعوا إلى الإمام عليه السلام أمر بـالرَّد لما أخذوا، وذلك أن بني كعب وسائر بني الحارث أهل طاعـة ما خـلا بني خيثمة، وبات بالنقيرة، وأرسل من ثقات من يتصل بالدّخامس وأهـل بيته أن يَحْتجوا لحكم الله تعالى فيقدموا أهـل الخطا فيقبض منهم مـا يجب عليهم، ويبـذلـوا من واجبـات الله مـا لـديهم وينصفـون في نقض بيعتهم، ونكث عهودهم، فرجع إليه رسله أنهم لم يجنحوا لذلك، وكرهـوا طاعتـه إلاَّ رجل منهم، يقال له عباد، فإنه كان خارجاً من هـذا الأمر ولم يـرض فعل أخيـه، وفعل أهل بيته ونهاهم فلم ينتهوا، فأتى الإمام عليه السلام مطيعاً له، معرفاً له أنه مستقيم متبرىء من أهل بيته، فأمنه الإمام، ووصـل إلى الإمام عليـه السلام في ذلك المحل بنو عبد المدان، وقـد بلغه منهم إخـلال على ولاته عندما أحدث الدّخامس، فأتوه معتذرين له، فقبل عـذرهم وأمنهم على دفع الحبساء[1]، فقبض منهم على حبساء وأرسل إلى بني الحماس[2]، وبـطون من يـام في ناحيتهم قـد رفع عليهم مثـل مـا رفـع على بني عبـد المـدان، فأمنهم على دفع الحبساء منهم، فسلّموا حبسـاء، وفعل ذلـك مع كـل أهل الـوادي خلا بني كعب ووادعـة وشاكـر، وكانـوا أهل استقـامـة فلم يسـألهم حبسـاء، وكانـوا في عَسْكره وكـذلك الأحـلاف كانـوا من خواصـه من أهـل الوادي، فلما قبض على الحبساء وكانوا جميع من قبض عليه رجلاً أمر بهم إلى حصن الحَضَن إلى أعلا الوادي رزين بـن أحمد بن يعقوب[3]، وكـان من خواص أصحابه وأهل الجد والرّحلة في خـدمته، فـوقف بهم في حصن الحَضَن حتى قضى الإمام عليه السلام حوائجـه في نجران، وجعـل طريقـه عليهم فحملهم إلى صعدة.

قـال الحسين بن أحمد بـن يعقـوب: فلما كـان من الغد أمـر الإمـام (عليـه السلام) بـالنهوض إلى حصن الـدّخامس وحصـون أهـل بيتـه، وأُمـر العسـاكر أن يبعثـوا كتائبَ مع ولاتـه من كل أهـل بلد ويستعـدوا بِعُـدَدِهم،

---

(١) الحبساء: الرهائن.

(٢) بنو حماس بطن من الحارث بن كعب «الإكليل ١٠ : ٨٠».

(٣) ترجم له ابن أبي الرجال في مطلع البدور ٢ : ١٣٢.

ففعلوا ذلك، وأمر الإمام الزيدي أن يكون هو ومن معه أول العساكر، وذلك لأنه كان مَعَه فُتّاك الفرسان من خيل هَمْدان، وكان له حظ في الحرب وهَيْبة، فقدمه، وسار الناس حتى صاروا بفناء الحصن فأمر الناس بالنّزول في ذلك الوطن، فضرب مضاربه ثم أمر بالمسير إلى حصن الدّخامس فهُدِم وخرب، وكان قد هرب منه وأمر بنجله ونجل المخطئين[1] معه من أهل بيته فقطع، وكان يأتيه رجال من أهل وادي نجران فسألهم ما كانوا يعرفون لجارٍ أو لضعيف أو غير مخط فيبينون ذلك عليه حتى يجتنبه ويأمر عَسكره باعتزاله، فكانوا يفعلون ذلك ولا يعلمونه بشيء من ذلك إلاَّ سلم من القطع، وكذلك فعل بحصون من دخل في الخطأ مدخله، وقد كان أخو الدَّخامس عَبّاد بن عياش عندما أتى الإمام (عليه السلام) وأمنه سأله أن يذمّ له على حصن أبيه الذي له وللدَّخامس ولأهل بيتهما، فقال له الإمام (عليه السلام): ذلك لو كنت أنت وأهل بيتك قمتم على المخطئين وأحربتم في ذلك إذاً فعلت وأجبت إلى ما سَألت، فأما بعد إمساككم عنهم وتربّصكم بنا أحد الحسنيين وإصراركم على المعصية ووقوفكم عن النفير إليَّ حتى أتيت بعَسْكري فلا بُدّ من النَّكال بهم والتشريد لهم من خلفهم، فقال عباد في ذلك شعراً بين يدي الإمام (عليه السلام) يقول في شيء من شعره:

ألا ليس من جر المقانب بيننا وبين الإمام المرتضى لمصيب

وأقام الإمام (عليه السلام) في بطن الدخامس أربع ليال وأمر عماله أن يقبضوا على التجار والنَّصارى والزراعين[2] ضريبةً على كل بقَدْر ما يملك يَسْتعين بها على مؤنة عسكره، وندب لذلك محمد بن الدقيق مع العمال فقضوا ذلك، وذلك بعد أن وَصَله متشيخة النصارى[3] ومعرفتهم إليه برأي ابن أبي الجهم، فقالوا له يا مولانا: نحن رعيتك وفي ذِمَّة جدّك، وقد

---

(١) في الأصل: المحطين.
(٢) كذا.
(٣) كان للنصارى في ذلك الوقت وجود في بلد نجران وقد صالحهم رسول الله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم.

أخرجنا الجزية إلى سعادتك فلم تكلفنا غير ذلك، فقال له الإمام (عليه السلام) عند ذلك: ليس الجزية شَرْطِكم، ولكنا أجريناكم مجرى اليهود نظراً لكم حتى ننظر في الأمر بعد ذلك، ثم الآن أنا أعلمكم بما يجب، فإن قمتم بما شَرَط على أسلافكم النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم أتممت لكم، فقال النصراني: وما ذاك أيها الإمام فقال له الإمام (عليه السلام): النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم صالح أسْلافكم بأن يدعهم على دِينهم ويُؤمنهم في بلدهم على تسليم أربع مئة أوقية تبراً وأربع مئة حلة من وشي اليمن إليه، فاختاروا الآن إما تسليم ذلك وأدعكم على الحال الذي وادعكم عليه النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم، أو تُسلمون ولا أسألكم إلَّا ما أسأل المسلمين، فقالوا له: يا مولانا ذلك إذا كانوا أسلافنا يملكون الوادي أو أكثره، ونحن اليوم جيران مستضعفون، وقد صالحنا ابن عمّك الهادي[1] إلى الحق (عليه السلام) بصلح فاَقبله منا، فقال لهم الإمام عليه السلام: الهادي إلى الحق (عليه السلام): لم يدع معكم إلَّا ما ونا أعوانه دونه، واليوم قد أيّد الله دينه بأعوان أولى قوة وعزّ فاَنظروا لأنفسكم، فتقدَّم أشياخ من بني الحارث فسألوا الإمام (عليه السلام): أن يجريهم على قبض الجزية والمعونة إذا سأل المُسْلمون المعونة غير زكواتهم فأوجب لهم ذلك، فسألنا الإمام (عليه السلام): لم تركت النصارى من شرط رسول الله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم، فقال: لسببٍ عرض أنا أبصر به منكم وأعلم بالسّيرة في ذلك، وكان يوم الأحد، وأمر بالرَّحيل من عطن عياش، وساروا عساكره على التعبئة حتى حاذى بحصن آل الحماس، وهو يريد أعلا الوادي، إذ لقيهُ هنالك من خدمه وسعاته من أعلمه أن أهل هذا الحصن من بني الحماس كرهوا أن يسلموا ما سلم الناس من المعونة التي أمرت بها وعندهم من الزكوات فيما مضى باقياً يدفعونها فدعا غيره من ثقاتِهِ من أهل نجران وسعاته فسألهم عن صحَّة ذلك، فأصحّوه له، فقلب عمّاريته[2] نحو حصنهم وأمر من يرد أول العسكر، وأمر بأن يحاط بالحصن

(١) اَنظر صلح الإمام الهادي مع نصارى نجران في سيرة الهادي ٧٢ ـ ٧٨.
(٢) العمارية: هودج يجلس فيه.

ويُقبَض من فيه بلا مضرَّة لأحد، فلما رأوه مقبلاً إليهم هربُوا هم، وخلوا الحصن وهرب من أهاليهم وأولادهم من خف وأدرك العَسْكر فيه ما بقي من الحرم فماج العسكر ولم يلتزم أكثرهم الأمر فسلبوا من الحرم وقبضوا من ألفوا من الخدم والدواب ثم أمر الإمام (عليه السلام) بالمنزل حذا ذلك الحصن، ثم أمر من يريد من العسكر أخدامهم ودوابهم وما لحق من الأسلاب، ثم أمر بهدم حصنهم بعد أن لم يجد فيه أحداً، فهدم وقطع حوله نخلات، ثم أمر الناس بالكف عن قطع النخل، وقام بمنزله ذلك يومين حتى أتى بنو الحماس وسَلّموا ما عليهم وصَفَح عنهم، وأتاه في هذا المنزل رجل يقال له عمر بن بابل القسيري بشعر يمدحه به استأذنه ينشده، فأذن له فأنشأ يقول:

هل الدار بيني[1] نطفةً من برودها ... وهل عندها رجع لمن يَسْتفيدها
وإلّا فما الآثار من كل دمنة ... مزارته من بعد أمس يعودها
شكا الصد والهجران قلب تأججت ... به نار شوقٍ لا ينوخ وقودها
وممّا نفا عَنّي الكرا شيب هامةٍ ... يجدد منها بالنفير جريدها
وكم ليلة قد بتّ قاطع طولها ... بجارية جيد الخدانة[2] جيدها
حلال تعاطيني الرضاب عفيفة ... مفلجة الأنياب رخصٌ نهودها
لها عين أدماءٍ ومقلة جؤذرٍ ... وجَدْل زها لون العناقيد سودها
إذا أسفرت أجلتك أبيض واضحاً ... وإن بسمت حاك البروق برودها
ويوم تجشمت الدياميم[3] هادياً ... صحابيٌ بيدا تحرق العقل بيدها
مُجَعْلَندةٍ[4] دَعدادةِ السير كلما ... تقعقع من طول الوجيف قيودها
مخدمة من كل شق بعالها ... قد أزرى بها أبغالها ووخيدها
ويا كربة للطعم عيرية الصّوا ... بحون[5] قريبات العيون بعيدها
وردت وأصحابي من الأين بينهم ... على قلص صارت ظهوراً كبودها

---

(١) اللفظة بدون إعجام (فيفهم).
(٢) اللفظة بدون إعجام ولم أهتد إلى القراءة الصحيحة.
(٣) جمع ديمومة: الفلاة الواسعة والمفازة لاماء فيها.
(٤) الصلب الشديد من الجمال.
(٥) الكلمات هنا بدون إعجام، فيحقق.

وغـــراء في آل الـرســـول نسختها تعـظم عن قـدر الفـريـد فـريـدهـا
إذا بحثت عن مـجـد آل محمـدٍ تـلألأ بـأفـواه الـرّواة نشيـدهـا
إذا قـالهـا ذو منـطق غيـر أفـدمٍ فهيهـات أن ينحـو بها أو يعيـدهـا
وفي القاسم المنصور منهـا نظارهـا إذا أنشد[1] الأشعار ضاع قصيدهـا
إمام هدى أضحت به الأرض سرعة وميـز منـهـا رَذْلهـا وسعيـدهـا
وسارت إليه العرب والعجم طاعة لنفس امرىء لا يرأم البخل جودهـا
تـرى فيـه أعـلام الإمـامـة شـرعـاً أحـاط بـه أعـلامهـا وحُـدودهـا
لعمري لأنت الفاضل الظاهـر الذي إذا قيـدت الـدنيـا فـأنت وحيـدهـا
وأنت أميـر المؤمنيـن الـذي لـه أمـانـة فـرضٍ لـلآلـه يفيـدهـا
بكـلِ بـلاد منـك في الله صولـة تقـرُّ بهـا عيني ويقمـأ حسـودهـا
وفـي كـل يـوم وقعـة طـالبيَّـة لـه العرس فيهـا سيف فهد بـدودها
أتيت الهدى فاستوضحت سبل الهدى وطـابت نفوس الخلق ممّن يكيـدها
وَدوَّخت بـالخيـل العـراب مخـارمـاً أتت كـل مـال الله فيـه سعـودهـا
أبت أن تـرى حق الـوصي وآلـه فعـالجهـا في حينهـا من يبيـدهـا
فـإن آب منهـم آئب آب راغـمـاً وإلاَّ فـلا أرقى إلينا شـديـدهـا
فقـد ملئت منـك البـلاد عـدالـة وضـاق بشكـر العـالمين خلودهـا
ومـا شاهـدوا جوراً ولا احفلوا فـلا ولكن لـكـل عـادة يستعيـدهـا
إذا نكصت عَمَّـا يـريـد عصابـةٌ فقـل لهـا مـسَّ التـراب خـدودهـا
ستحـمـد ذبَّ الله دونـك وحـده وفرسان هيج ليس يحصى عديـدها
مسـاعيـر أمـا القلب منهم فهاشم أولـو سعرهـا إن قيـل أين أسـودُهـا
وعن يمـن والأيسـريـن، أكـارمـاً أطابت[2] يمنيها إلى المجد هودهـا
شكت منـك أبناء الـربيعة إذ طغت ضيـاً لا لـوينـا[3] وحلمـاً بـودهـا
وكـانـوا يـظنـون الحـروب فكـاهـةً فـطابت وقد صمّ الصميم لحـودهـا

---

(١) في الأصل: أشدد.

(٢) في الأصل طابت بيمنها.

(٣) كذا.

ونجـران قـومت الصغـارة منهـم بعـدل وإن زادت فـأنت تـزيـدهـا
فجللتهم عـفـواً وألبستـهم حـجًى ومـا ضـر إلاَّ نفسـه من يكيـدهـا
فـلا تنكروا حصن الحديـد فـإنما تجـول على سوق الكرام قيـودهـا
فلم يبـق إلاَّ المسعـران ووقعـةٌ بـمصـرٍ بـن[1] الأوب ولـيـدهـا
بقـومك هـا هم ناصـروك لوقعةٍ[2] يكـون بهـا تـاج العلوم كـديـدهـا
ذوي الطعن في اللّبات والقوم لعبٌ ومن دارهـا من كـل حيٍّ نجـودهـا
فـوارس من قيس كـأن وجـوههـا قناديل لـولا ما أضـاءت حديـدهـا
أشـاوس لا ينشون إلاَّ مـع القنا كمـا عمـرت آبـاؤهـا وجـدودهـا
أولئـك قـوم بَعْض شـأنـك شـأنهم وليس يطأهـا منـك إلاَّ بـريـدهـا
ألا رب خـرق إن دعـوت مشمـر وجـرد قـد ملّ الحـديـد كنـودهـا
ورجـراجـة يـأتيـك للشمس بيتهـا دراهم فـوق البيض لـولا بنـودهـا
منـوهـة فيـهـا فـوارس عـامـرٌ وكشاف رهمان[3] الحجار وصيدهـا
إذا مـا دعـاهم هـاتف متضـمـرٌ وزايلت البيض الـرقـاب عمـودهـا
فكم رأس ذي جبـرٍ وجثة فـاجـرٍ هنـالك يستـدعي السّباع صديدهـا
ألا لا أبـالي بعـد كـف لثمتـهـا بسوجان[4] والأملاك حولي شهودهـا
وقبلتهـا والله طهّـرني بهـا هنـا ك وأمـلاك السَّـمـاء جنـودهـا

قال الحسين بن أحمد: وكان حصن الحماس اسمه سوجان، ثم إن الإمام (عليه السلام) لما أن نكا[5] لإخراجه من الوادي وتمّ قبضه نهض معاوداً بعَسْكره اليمن فعبا كتائبه وولَّى على كل كتيبة ولاته وأمسى آخر نهاره، وذلك يوم الأربعاء لستة عشر يوماً خالية من شهر المحرم سنة تسعين وثلاث مئة سنة، في أعلا وادي نجران بالتربية ومعه الحُبْساء الذين قبضهم من أهل نجران، وكان من الغد وأمر بالرَّحيل فأمسى صعدة وأتاها في وجه الليل فنزل حذا القرية هو وعَسْكره وأمر بمنازل لولاته فدخلوا ونزلوا خَلاَ

---

(١) بياض في الأصل.
(٢) نسخة «لكرة» من هامش الأصل.
(٣) كذا في الأصل والرهمان: تمايل الإبل في سيرها.
(٤) حصن الحماس كما سيأتي.
(٥) كذا تقرأ هذه اللفظة في الأصل.

الزيدي فكره واعتذر، وقال يا مولاي اعذرني عن القرية فأنا أضرب مَضْربي في حصن النَّاصر (عليه السلام) فعذره الإمام (عليه السلام) ولم يذم فِعْله، وذلك لأنه كان كثير الجد في هذا السفر من بين الولاة في خدمة الإمام بالقيام والاهتمام تولَّى من حين التحام العَسْكر للمسير في كل ليلة حراسته والقيام بجميع الخدمة فيه إلى أن افترق العسكر.

وأقام الإمام (عليه السلام) بصعدة ثلاثة أيام وعَسْكره إذ ذلك يجري مؤنتهم جميعاً من بيت مال المسلمين بأيدي خزّانه، ثم أمر بدراهم حَصَلت معه من نجران من يفرض[1] على عَسْكره ويحسب العسكر ويحسب الدراهم وشيء كان بصَعْدة، فأتى جميع ذلك يقع للفارس مئة درهم وللراجل ثلاثين درهماً فقبض من ذلك بعض العسكر، وكره الأكثر استقلالاً له، فلما علم الإمام (عليه السلام) بذلك خَرَج من القرية فبرز في الحدبة[2] راكباً فَرَسه وأمر النَّاس بالخروج من القرية إليه والاجتماع، ففعلوا ذلك، ثم تكلّم عليه السلام فقال: يا جميع شيعتي وجنودي وأهل طاعتي، قد دعوتكم فأجبتم واستنصرتكم فنصرتم، وأنا كثير الشكر لكم والثناء عليكم عند الله بدءاً وعند كافة ولد آدم، ثم أمرت لكم بزاد يفض عليكم على قدر مبلغه فقيل إن منكم من جشعته وطلعته نفسه ثَمَّ بالعز على ذلك، والله لو كانت خزائن الدنيا في يدي اليوم لما بخلت نفسي عنكم منها بشيء، ثم قال: أسألكم يا أهل البونين والخشب أجْبَيْتم إليّ أموالكم، فقالوا: نعم يا ابن رسول الله فقال: أفرفعت منها شيئاً أو ادّخرته، فقالوا: لا يا ابن رسول الله قال: فأنتم يا معاشر حمير هل رَفَعْت من زكوات بلدانكم شيئاً، قالوا: لا يا ابن رسول الله، قال: أما وادعة وبكيل، فقد رفعت إلى صعدة منها بقايا فقد خرج لكم أضعافه من غير ذلك، وأما ظنكم أني تخلّفت عليكم بشيء سوى ما أمرت بقسمته ردءاً لكم، فبالله

---

(١) كذا تقرأ هذه اللفظة.

(٢) الحدبة في الصفة: ٢٣٠ وانظر معجم جازان: ٨٥.

وحق جدّي رسول الله صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم ما دخرته عنكم فآعذروا ابن نبيكم ولا تَطْلبوه ما لا يطيق فيحبط أجركم، فلقد رأيت أعين كثيرٍ ممّن حضر تفيض بالدَّمع، فقالوا: جميعاً يا ابن رسول الله آقبل عذرنا وآقبلنا فنحن خدمك وأهل محبتك والأمر أمرك، فعاد منزله وقد رضي عسكره وقبل عذره وعاودوا منازلهم التي كانوا فيها.

وعزم الإمام عليه السلام على أن لا يرد المليح بن إبراهيم بن محمد ابن علي ولايته نجران، وخشي أن يكون منه تفريط فيجري منه مثل الذي جرى، وكذلك عَزم على عزل أخيه يحيىٰ بن محمد من ريدة وولاية البون، فلما علموا بذلك بنو المختار اشتد عليهم وأتوه فَسَألوه أن يثبتهم في ولايتهم التي كانوا عليها، فقال لهم: يا أهل بَيْتي أنا أعوّضكم ممّا كنتم تنالون منها في تصرفكم في وجوه غير الولاية، فإني رأيت ولايتكم لم تَجْر علي ولا عليكم خَيْراً، وعليّ لكم أن أواسِيكم بِنَفْسِي في كل الحالات من المعايش والملابس، فردّوا عليه: أن يا مولانا يجب منك أن لا تنزعنا من ولايتنا لتشمت بنا الأعداء، فقال: إن تركتكم على ولايتكم شمت الأعداء فيما يقع من الفساد بأيديكم والضّياع أكثر من شمتهم بالعدل، قالوا: فليس نرضى بالعذر لأنفسنا ولا يرضاه لنا من يتبعنا، قال: ألا ترضوا(١) بذلك يا أهل بَيْتي فابدوا ما في أنفسكم فلم أصبح اليوم أثمنا(٢) إلَّا أن ينكشف لي ما كان متعَطِّياً من معصية كل عاص لله عَزّ وجلّ، فقاموا من بين يديه غَاضبين، وكاتبوا من كان لهم صاحباً من العشائر، فكرهت العرب ما طلبوا منهم، وقالوا لا نخرج لكم من عهد مولانا وإمامنا، ولا أنتم منه عوض لنا، وكاتبوا لابن عمّهم يوسف بن يحيىٰ إذ كانوا يعلمون منه كراهية الإمام عليه السلام، فلم يساعدهم في ذلك الوجه، فلما لم يتم لهم شيء أمسكوا وعاودوا إليه، فسألوه العطف فعطف عليهم وأحسن في كل الأمور إليهم.

---

(١) نسخة أن لا ترضوا (من هامش الأصل).

(٢) اللفظة بدون إعجام وقد سددنا مواضع الإعجام عشوائياً.

ونهض من صعدة يوم الأربعاء لثمان باقية من شهر المحرم فأمسى آخر نهاره بمذاب، وكان من الغد وأمر بالرَّحيل فأمسى عيان فدخل منزله ثم خرج ممسياً وقد نزل العَسْكر بفناء عيان وحولها، فلما أن خرج ثار الناس إليه يَلْثمون يديه وقدميه ويدعون الله له بالبقاء ثم قعد وجعل[1] جميع العَسْكر وحَلّقوا حوله، ثم سألوه، وقالوا: يابن رسول الله بِـمَ تأمرنا ومن تولي علينا، وهل تنهض معنا مخاليف بلداننا فقال: يا أخوة العرب لي أَشغال تريثني عن ذلك، ولكني قد صرفت ولاية بلدانكم جميعاً إلى أخي هذا وابن عمّي القاسم بن الحسين الزيدي، وهو في الجماعة قاعد فقالوا: يابن رسول الله رَضينا ما رضيت لنا، وقبلنا ولاية من وليت، فقال الزّيدي عند ذلك: يا مولاي أنا عبدك وخادم من خدمك وأنا طاعة لك ولأمرك، إلاّ أني لا أمضي مع هؤلاء العرب حتى يحدثوا عَزْماً في الطاعة غير ما كنا عليه نحن وهم، فقال الإمام عليه السلام لهم: قد تسمعون قول واليكم، فتكلم شيخ من مشيختهم يقال له حسين بن جعفر بن فداد من رَيْدة، فقال: يا ابن رسول الله إذا لم ترد تذهب معنا ولا يُرِد واليك يَذهب معنا فلَسْنا بكرش منفوضة لنا بلادنا تحملنا ورأيٌ يجمعنا، فأجابه الإمام عليه السلام: يا أبا عبدالله هذا كلام لا يخلصكم من يدي، وكيف يخلصكم من يدي بَعْد بيعتي ودخولك معي، ولكني ثابت على ما أعطيتموني من أنفسكم فمن نكث بَيْعتي أو أراد الخروج من طاعتي قاتلته بمن استقام معي حتى يفيء إلى أمر الله وأمري حتى لا يبقى معي أحد ثم يرغب يدي بعد أن تبين المعذرة عند الله فيكم، فتكلم سائر الجماعة: أن يا ابن رسول الله نحن خدمك والمقيمون على طاعتك، فآمرنا وآنهنا تجدنا عند ذلك، فشكر الإمام عليه السلام كلامهم، وأمر واليهم القاسم بن الحسين الزيدي بالمضي معهم وإنفاذ الأحكام عليهم والسيرة بسيرة الحق فيهم، وكتب له كتاب سيرة يمتثلها ولا يفعل من الأشياء إلاّ ما رسم له فيها، وكتب معه كتاباً آخر إلى الذين تخلفوا من الجنود والرَّعايا عن السفر معهما إلى نجران، نسخة كتاب السِّيرة:

(١) نسخة (وفعل) من هامش الأصل.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله أحمده لاستحقاق حَمْده وأحل عليه الثناء لسني مجده، أحق من حمد وأولى من عبد، وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وسلَّم، هذا كتاب كتبه القاسم بن علي لأخيه وابن عمّه القاسم بن الحسين الزيدي بما عهد إليه وأمره بالتَّصرف فيه، عهد إليه أن يَجْعَل الله شعار قلبه والفكر فيما يعود بصلاح الأمة قرين له، ثم ليَعْلم أن الله أقرب إليه من حَبْل الوريد، وأعلم بما يَخْفى من الرَّقيب العتيد، الذي وكّل بما لديه وجَعَل حتى الممات شاهداً عليه، والنَّظر اللبيب يبعد من الأمر المعيب، ويميّز بين المخطىء والمصيب، والحَكَم من اقتدا بأفعال الصالحين، وسلك آثار المتقين، وجعل قرناه أخاير المُسْلمين ممّن لا يَبْتاع الدين بالدنيا، فإن عدم أولئك فالبعض منهم من تشبّه بهم، وإن لم يكن حقيقة كحقائقهم فلأولئك ظاهر يَسْتَحسنه الجاهل بهم، ويقتدي به الراغب فيما عند ربهم والناس بعد أولئك على طرائق شتى، ولكل منهم جلالة في نفسه، وإن رآه الراؤون بغير ذلك، فاجعل لكل امرىء ممّن عاشرك من التحية ولين الكلام كالذي تجعل لأكبر النَّاس عندك منزله، فإن أحق الناس على الناس من أولاهم ما يحبون من قول يقال أو نائل ينال، فاجعل قولك عوضاً من نائلك ونائلك موصول بكريم قولك، ولن يعدمك الله ذلك.

واعلم أن الناس سبع طبقات[1] فمنهم الفقهاء وهم أهل الديانة والحكماء في الأمة، ومنهم السَّلاطين، ومنهم الجنود ومنهم العشائر من بادٍ وحاضرٍ، ومنهم التجار، ومنهم الصناع، ومنهم طبقة وهم حشو القرى وأرْذال الناس، ولكل من أولئك حق عليك تؤديه، وحق تطلبه.

فأمَّا الفقهاء: فمنهم القضاة وهم المقدّمون عليهم، فمن ولي القضاء فاجعله وإياهم لمةً ويجعلهم القضاة الشهود الذين يشهدون بين الناس ومعامليهم وجلسائهم والذين يَسْتشيرونهم فيما اشتبه عليهم من أحكامهم، فإن ذلك ممّا يقرب من الصَّواب، وأولى الناس بالاعتوان على ما هم فيه القضاة، ولا أعوان لهم على ذلك إلاَّ أهل البصائر من علماء الأمة إذ هم

(١) الأصل: طقاب.

من المعرفة بموضع القضاة منها والواحد لا يَتَعَرَّى من الغلط، وغلط القضاة من أضر الأشياء على الأمة، لأن بذلك تذهب الأموال وتباح الدماء وتركب الدهماء، وتُوطأ بذلك من حرم الله وطأه من النساء، فأولى النَّاس بالتثبيت والاعتوان القضاة، وإن وقع خلف بين الجميع واشتبه الأمر عليهم، وجب عليهم ردّ ما اختلفوا فيه إلينا، وكان تفصيل ما اشتبه من ذلك علينا، وهذه السيرة ففي خاص هذه الأمة وعامها لتصون من الباطل أموالها ودماءها ومناكحها، والله يوفقنا وإياهم لما فيه الصلاح بمنه وطوله.

وأما السلاطين سلاطين البلد الذي نقصدهم: رجلان رجل دَخَل مع[١] ليعلم فعلنا في أنفسنا وفيمن يتصل بنا، والآخر فقد استوقفنا وتربَّص بنا، فأما المحب للخيرة، فذلك إن رامنا صلاحاً متصلة ففلاح وقولاً يغلب وعقداً لا يُحمَلْ وفعلاً يحمل فأحْرى بذلك أن يَصل نفسه بأنفسنا كما وصل حبله بحبلنا، وإن رأى غير ما ذكرنا سَفَّه رأينا ونزع يده من أيدينا وعذر نَفْسه فينا، وليس من السّلاطين من قد دخل معنا بما ذكرت إلاَّ الأمير أبو جعفر أحمد بن قيس فراعه منك بعين الصيانة وأعرف بالوفاء والأمانة وحَوّطه الذمّة، ثم اجعل له منك نَصيب من له هذه الصّفة مع ماله من السَّابقة، واعلم أن الملوك نشأوا في النّعمة وألفوا من الخاص والعام الكرامة، ومتى ورد على أمر غير ما يعرف كرهه وعادى من عنه حَرَفه، كما قال النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم «من عرف شيئاً والاه من أنكر شيئاً عاداه» فاجعل منك حظاً وافراً لهذا الأمير وانصفه من نفسك كل النّصفة واعرفه بكريم أفعاله كل المعرفة فإنه لَمْ[1] توسطني أحد من الملوك ما وسطني من داره وعشائره وذلك محال له جزاء وشكر، ولا يَستغلطك منك قول قائل إن له في المدخل حظّاً معنا ليس لنا مثله، فلا حَظّ له في ذلك إلاَّ حظ الآخرة وليس بجاهل بأهل عصره، ولو لم يكن له ورع دعاه إلى مَدْخله معي لأخذ الأموال من هذه الأمة كما قد يعمل السَّلاطين وأصلح بها أحْوال رِجَاله ولم يطلبوا منه غير ذلك، ولم يَسْتبدلونه سواء، والله يوفقك لما فيه الخير.

---

(١) كذا.

وأما سائر السَّلاطين من قبلك، فهم أربعة أحدهم المنتاب[١] بن إبراهيم، وسبا بن عبد الحميد، وأسعد بن أبي الفتوح، وإبراهيم بن نزيل، فأما سبا والمنتاب وإبراهيم، فقد دَخَل هؤلاء على ما في أيديهم، والكل قد دخل معنا مَدْخلاً لم نَرَبيانه، ولا بدّ أن نختبر كل أولئك ونذكر ما قد أوجب لنا على نَفْسه ﴿ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً﴾[٢] ومن وفى لك ولنا بما بذل من نفسه فَصِنْهُ وأعدل عنه جميع من يطلعه أذى منه، ومن لم تر منه وفاءً فانظر بعين الغدر، واستَدْنِ من قد بَعْد من أعداء أولئك، وإن عزمت على مكافآت أحد منهم على شيء فلا تنفذ ذلك حتى تجري المشورة بيني وبينك فيه بما يعود بالمصلحة إن شاء الله تعالىٰ، وأما ابن أبي الفتوح فبيني وبينه مكافاة وكف عني من كف عنك، وإن بلغك منه قول أو أتى منه ما لا تريد فلا تعجل في أمره ما وجدت إلى ذلك سبيلاً، وأما ابن قحطان فَبَيْنه وبين صاحبي مكافاة فارع منه ما رعى، فقد ودعته[٣] بذلك من نفسي فأنجز موعدي وحط في الحضرة والغيبة قولي.

وأما الطبقة الثالثة: فهم الجنود ولا عِمَاد للسلطنة والقرى إلاَّ بهم فاحْسن لهم منك المقال، وقرِّبهم ولا تَبْعدهم وأصْلح ذات بينهم، وكن حريصاً على استخراج أموال الله لهم، واستعن بهم على ذلك ويدني ديوانهم على حوائجهم، فإذا أعطيت كل رجل منهم ما يجب له، وأمكنك لهم أو لأحد منهم نفع فلا تؤخره عنه موفقاً إن شاء الله تعالىٰ.

وأما العشائر: فلا يزال يجري بينهم ما يكون بين الناس فأصلح ذات بينهم وخذ على أيدي الجميع منهم، وامنعهم أن يجروا الفتنة بينهم، فإن فتن العشائر تزري بالسَّلطنة، ومن احتجب إلى اسْتئلافه منهم فاستألفه، ولا تجعل لأحدٍ إلى خلاف سبيلاً ما استطعتَ والله يوفقك لما فيه الصَّلاح.

---

(١) في الأصل المثبات وأصلحناه من عندنا وهو الذي تنسب مسور من قضاء حجة فيقال لها مسور المنتاب وانظر أخباره في عامة الأماني: ٢٢١.

(٢) الآية: ١٠، سورة الفتح.

(٣) كذا في الأصل لعل صوابه «وعدته».

وأما التجار: فالغالب عليهم قلّة الأديان ودقة النظر، وهم مع ذلك كما قال علي عليه السلام «أوتاد المدن» فأحسن العناية بهم وخذ أهل الحِسْبة[١] بتفقدهم في بيوعهم ومكائلهم وموازينهم وحذّرهم الربا فإنه ما حقّ لهم، والغش فإنه محرم عليهم، وقد قال صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم «ليس منا من غشنا»[٢].

وأمَّا الصُّناع: فاجعل لأهل كل صناعة مُحْتسِباً عليهم يتفقَّد أعمالهم ويأمرهم بإحكام ما يعملون ويحذّرهم إدخال الفساد فيما يصلحون، وليكن أخصّ أولئك بالافتقاد من يلي الذَّهب والفضة، من الصَّاغة والضَّرابين.

وأما حشو العامة فأكثر خيانتهم في المكايل والموازين فاجعل المحتسب عليهم يداً في افتقاد ذلك، ومن وجد فيما يلي أحد منهم فساداً أحسن أدب المسيء في ذلك، وعلى الرفث والقرانف[٣] والمقاتلة وما لا يتعرَّى منه حشو القرى، وسفساف النَّاس، فلا تَغْفَل أولئك فإن أصول فساد المدن منهم، وما قامت به البيِّنات ممّا يوجب الحدود في قتل أو جراح أو سرقة أو شرب خمرٍ، فلا تعجل بإنفاذ شيء من ذلك حتى يصحّ لك فيه البيّنات بحقيقة الصحة وابتلاء الشّهود، ثم تعلم أن من قام مقامك كثر نصبه وضاق بالنَّاس ذرعه فاسْتعن بالصَّبر فإنه من أحمل أعوانك لما حملته وأدفعهم عنك لما كرهته، ولا تزهدنَّ فيه واستعن بالله عليه ومن وثقت بعونه من المُسلمين فاستعن به ما وجدت إلى معين سبيلاً، فإنك لا تحمل من الأمور إلَّا أقلها ومن كابد الاشتغال جميعاً بنفسه، مَلَّها، وقد نَصَّبتك لمقام قلَّ من انتصب لمثله إلَّا فُتِنَ فصن نَفْسَك من الفتنة ما استطعت حتى تخشى المضرة في طول الأناة، فإذا دَفَعت إلى ذلك وعزمت على حرب قوم بَعْد الإعْذار والإنذار، فلا تعلننَّ بحربهم ولا تذكرن لأحد أنك تهِمّ بهم حتى يقول قائلهم: إنك قد أعرضت عنهم، ثم ادع من تريد قتالهم به

(١) أهل الحسبة: هم القائمون بتفقد أحوال الناس الأخلاقية والمعاشية «انظر في ذلك نهاية الرتبة في طلب الحسبة للشيزري».

(٢) حديث ليس منا من غشنا أخرجه أحمد بن حنبل في المسند ٢: ٤٦٦.

(٣) كذا في الأصل ولعله «القرائف».

لبعض الوجوه الفاسدة أو السبل المقصودة فإن أتاك من يقهر به أولئك قصدتهم به مُسْرعاً فإن المفاجأة تنقص آراء الرِّجال وتَبْهت أولي الرَّأي والاحتيال، وإذا أعطاك قوم الذلّة فإياك وقتلهم، واستعن بالحبس عن ذلك منهم وبالأدب الكافي عن المثل بهم، فإن ذلك أقرب لنَصْرك وأبقى لعزِّك وإن قلَّت جَمَاعَتك عمن تنوي[1] فاصرفها إلى من يكون لها فيه أثر بصالح فساد من تقصده.

وإياك أن تغتر بكثرة الناس إن أقبلوا عليك فإن كثرة الجيش أخطر من ركوب السَّفر، وإذا تثاقت[2] السفينة في البحر لم تخرج حتى تهلك من فيها، كذلك الجيش الكثير إذا ولّى بعد لقيته لم يثن عطفاً ولم يسمع لأمرك قولاً، ولم يرعو أصلاً فإذا جمعت قوماً فثبتهم ثم ولِّ على كل قوم مقدّمهم، وآمره أن يأمرهم أن يراعوا رايته، ولا يتقدموه، ولا يتأخروه، ولتكن تراعي رايتك ولا تتقدَّم ولا تتأخر عنها وتأمر بذلك أمراً، وبذلك تأمر كافة الناس أن يَنْصحوك ويراعي بعضهم بَعضاً، وإياك إذا لقيت قوماً وكنت في قوم أنت الأمير عليهم أن تقاتل وتشتغل بالقتال عن تَدْبيرهم، فإن قتالك ينوب عنه أدنى رجل من الجماعة وليس ينوب مقامك فيهم غيرك، لأنك إذا اشتغلت بالقتال أضعت تدبير العَسْكر وإن نالك سوء أهلكوا كلهم بهلاكك وإن لم تجد من القتال بدأ أقمت لهم أميراً يهلون إليه بَعْد موافقتهم عليه، رلا جرم إن لم يشتغل بتَدْبير رجالك بقتال ولا بغيره ما استقرت أقدامهم وتقدَّم للعدو أقدمهم حتى يستمكن بهم من عدوهم، ثم احمل بنفسك فيهم فإن ردّوا وجوههم بعد حَملتهم قبل أن ينالوا من عددهم ما يحبون فاثنهم للحملة ما استطعت، وقاتل على أعقابهم، وأوقف العدو عن إرهاقهم حتى تنقلب وجوه أصحابك إلى عدوّهم ولا تزاحف قوماً حتى يعرف أصحابك شعارهم، ويتفقون على رأيهم في حال حملتهم وحال رجعتهم، فإن ذلك من أعوان ما يستعينون به على عدوهم، وإذا أردت أن تعرف الرأي الذي

(١) كذا في الأصل.
(٢) كذا ولعلّها: تثاقلت.

يتبيّن لك ضياؤه ولا تقصد إلاّ إياه فاحضر رجال الرأي وأمرهم بالمشورة واستمع لأقوالهم، فإذا أشاروا ووقع من رأيهم ما يتّفقون على سداده فانظر من أين تدخل على ذلك الرأي وما يعلّه فإن وجدت شيئاً فيه يُفسده أو علة تعوقه تركته، وإن لم تجد له علّة ولا عليه مدخلاً يفسده فخذ به من بعد تقديم الخيرة فإن من استخار الله لم يعدم من الله ما سأله.

ووجهٌ أحْسن هو قوام ما أنت فيه وذلك الدّيوان الذي يضم ما يحتاج إلى معرفته، ويحفظ مال جنودك وما هو عون لك على سلطنتك فتجعل لذلك رجلاً أميناً ثقةً واعياً على الديوان، لا يلي شيئاً غيره ويكون ببابك وحيث ما سرت سار، ويكون على المجلس ثلاثة رجال ثقات بيد كل واحد منهم نسخة ما في قرطاس صاحبه ممّا يوقعون فيه من قبضهم، ويرفع نسخة ذلك إلى الموكل بالدِّيوان ليثبت ذلك في الأصل كل يوم بما فيه.

ويكون على خَرص[1] الثمرات في أوقاتها رجال ثقات، لكل بلد وتجعل مع خراص كل بلد رجل ثقة ليس من أهل البلد، ويكون مع كل خَرَّاص من يكتب ما يخرصون ويسمّون صاحب الأرض وأرضه، وقريته، والبلد التي فيها أرضه، فإذا فرغوا من خرصهم حَمَلوا كتب الخَرْص إلى صاحب الديوان فيقبضها منهم ويجعل لها دَفْتراً مفرداً يسميه باسمه وببلده، ويخرج الخرّاص فإذا كانت وقت قَبْض الثمرة وَجَّه صاحب الدِّيوان قُبَّاض ثقات، وخرج من الديوان اسم كل إنسان ممّا عليه وبَعثهم بذلك لقبض الواجب ومن قبضوا منه ما عليه أعطوه الرّقع، وكان له حجة ومن لم يَدْفع جملة ما عليه أعطاه القباض خطأً ممّا قبضوا عليه، ولزموا الرقع ليطالب بما بقي فيه.

وتكون الخزانة بيد رجل ثقة فمن أوصل إليه شيئاً أعطاه بالوصول خطّه وسلم إلى صاحب الديوان ليكون حجة على صاحب الخزانة وله..

وكذلك تفعل في زكاة الماشية تبعث لها سعاة ثقات فإذا وصلوا إلى

(١) خرص الثمر: حزره وقدره.

صاحب الماشية عدّوا عليه وأثبتوا اسمه وما دفع، ومن لا يدفع عنده فيثبت اسْمه، وأوصلوا ما قبضوا إلى الخَزَّان، وأوصلوا كتبه معهم إلى الدّيوان وأخذوا بما يدفعون خطوطاً تصير إلى صاحب الديوان وكذلك الخزان لا يسلمون إلى أحدٍ شيئاً إلاَّ ببراءة منه رُقعاً بخطه، أو خط من يلزمه خطّه يدفعون ذلك إلى صاحب الديوان يثبته معه، ولا يصل لأحد إلى صاحب المجلس بدرهم فما فوقه.

وكذلك الزرّاعون ولا يكون الصك إلاَّ بعد حصول الأشياء في الخزائن، ويؤخذ على الخازن ألَّا يُسلم ما دفع إليه إلَّا ببراءة له بما سلم يثبت في الديوان كذلك.

وتكون دواوين المخلاف كله تصل[1] نسختها إلى الدِّيوان الذي ذكرت، وكل دَخْل دخل خزانة بعيداً أو قريباً رفع إلى الدِّيوان الراتب، وكذلك خراص كل بلد بعد تستخصرونهم بخرصهم ويسار فيهم كالسيرة فيمن بالحضرة.

والله يؤيّدك بعونه في كل الأحوال، والذي بيدك يا سَيّدي من المخلاف ما حاز[2] عجيب إلى حدود ابن أبي الفتوح في ناحية صنعاء ومشرق بلاد هَمْدان جملة، وبلد حمير جملة ومغارب مخلافك كالصَّيد[3] وشاحذ[4] والباقر[5] ونظار[6] والأحبوب[7] وشمر[8] والطرف[9] وما يتصل

(١) في الأصل «يصل».
(٢) كذا في الأصل ولعله «حاد».
(٣) الصَّيد: بالتحريك قبيل وبلد من حاشد بالشرق من ريدة.
(٤) شاحذ: عزلة بالغرب الجنوبي من كوكبان (صفة: ١٢٥).
(٥) الباقر: هو اليوم خراب وكان به حصن ويقع في بني العباس جنوبي كوكبان بنحو ٦ كيلومترات «صفة: ١٢٤» والمقحفي: ٦٠.
(٦) نظار بلد تابع لأعمال المحويت «صفة ١٢٤».
(٧) الأحبوب: بلد غربي جبل القاهر «غاية الأماني: ٧٠٦» وسيرة الأميرين: ٧٥. وفي معجم المقحفي: ١٥. الأحبوب: عزلة من ناحية الحيمة الداخلية.
(٨) شمر: بفتح الشين وسكون الميم. بلد في حجور «كحلان عفار» «المقحفي: ٣٦٢».
(٩) الطرف اسم لعدة مواضع لعل المقصود جبل الطرف من أعمال المحويت «المقحفي: ٤٠٢»

بذلك وحراز، فهذه البلدان فيها مبتدأ مؤنتك ومؤنة أعْرابك[1] وأخدامك وتدبر رجال من راتب من أهلها وتوفر خراجات هذه البلدان حق التوفير وتطلق واجباتها لمن ثبت اسمه في ديوان النجدة، ومن أتاك بخط من قبلي من المقيمين، ومن لم أوقع له فادح[2] أمره لأمري فيه، والذي في صفقة الحسين بن المختار الظاهر ظاهر الصَّيد وظاهر بيت زود[3] ثم الظاهر معرضاً حدّه حَلَمْلم وحَلَمْلم معك وقارن[4] والأشمور[5] وما حاذى هذه البلدان إلى الظَّاهر فهو موصول لمخلاف الحسين بن المختار ومغارب هذه البلد معه بنو عشب[6] وبنو شاور[7] وقدم[8] وميتك[9] وأدران[10] وحجة، وما بيد المنتاب فهو بيده إلى عيان وما بيد ابن عبد الحميد، فهو بيده حتى ننظر طاعته، وعلى وادي لاعة بِيَد ابن أبي جعفر وعليه فيها رسم وبيد العرجيين منها طرف وعليهم تَسْليم بلا شرط فتعاملهما بحسب ما ترى وتنظر ما في أيدي العمال وتحاسبهم عليه وتحصِّل البقايا فتوفي أصحاب الرقاع رقاعهم، فإذا أوفيتهم رقاعهم كتبت كتاباً لأهل الديوان، ولا تطلق لأحدٍ درهماً واحداً حتى يجتمع الخراج ويعود منه في الخزائن ما يبد[11] على الجملة، ثم فرقت ذلك على جملة الديوان بالغاً ما بلغ، ومن ناكرك في ذلك فعامله إلى الكتاب الذي كتبت بيني وبين الجماعة ولا توجب لأحدٍ في رَسْمه ولا في غيره ولي عنده بقية أصلاً، وخذ على الناس

---

(١) كذا في الأصل لعل صوابه «أعوانك».

(٢) كذا ولعله «فازح».

(٣) بيت زود: قرية من عزلة الكلبيين ناحية ريدة «السيرة المنصورية: ٦٤٧».

(٤) قارن: قرية من عزلة عيال حاتم ناحية عيال يزيد قضاء عمران «السيرة المنصورية: ٩٤٨».

(٥) الأشمور: جبل مشهور بالغرب من مدينة عمران بمسافة ٢٢ كيلومتراً «المقحفي: ٣٤».

(٦) بنو عشب: عزلة من ناحية كحلان تاج الدين بالشرق من حجة «المقحفي: ٤٤٦».

(٧) بنوشاور: من مخاليف اليمن.

(٨) قدم: بضم القاف بلدة جنوبي حجة «المقحفي: ٥٠٩».

(٩) ميتك: هو الاسم القديم لبلاد عفار في محافظة حجة «المقحفي: ٦٤٨».

(١٠) أدران: وهو ما يسمى الآن بدروان، محل من قرية قدم عزلة من توابع مدينة حجة «سيرة الأميرين: ٢٠١».

(١١) كذا وقد تقرأ هذه اللفظة هكذا «منّا يبدو».

العهود، وكل من حاسبته من العمال الذين هم موسومون بصحابتي فاعزلـه، فإن لي في ذلك ولهم بعض مصلحة.

وانظر الناس فإن رأيت منهم كراهية لما ندبتك له، ولم تر منهم إقبالاً على سلطانك فاعرض عنهم، وعرف السلطان أبا جعفر بن قيس فإن رأيت منه في ذلك أثراً وإلاَّ فانصرف إليَّ من بعد ما تعلم الجماعة والسلطان بانصرافكم حتى يأتي الرأي فيه من وجهه، والسلام والحمد لله رب العالمين وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً.

وكتب الإمام عليه السلام كتاباً منشوراً إلى المتخلفين عن السَّفر معه إلى نجران من جنوده وأهل طاعته، ووجهه مع الأمير الزيدي نسخته وعلوانه[1]، أنه إلى كافة أوليائي وشيعتي وأهل طاعتي والبونين والخشب وما يليهما.

بسم الله الرحمن الرحيم، إلى كافة أوليائنا والمتمسكين بعهدنا سلام عليكم يا كافة الإخوان فإنا نحمد الله إليكم الواحد المنَّان ونَسأله أن يُصلي على خيرته الأمين محمد وآله الطيبين الطّاهرين. أمَّا بعد أرشدكم الله لطاعته ونأى بكم عن سخطه فإنا نحمد الله إليكم بدءاً ومن اتصل بنا من إخواننا وإخوانكم ونابت حضرته عن غيبتكم، فلقد سلك أولئك مسالك أولي النجدات من أولائكم، واتصلوا من الفضل ما اتصل به أخائر أفاضلكم ولقد أيّدهم الله بنصره وأنالهم من الظفر ما فازوا به وصاحَبَهُم في سفرهم من العون ما ساروا به وكان كما ذكر الله في كتابه عزّ وجلّ عن أصحاب نبيه، إذ يقول عزّ من قائل ﴿**الذين قال لهم النَّاس إن النَّاس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حَسْبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يَمْسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم**﴾[2] والحمد لله الذي وهب لنا ولأوليائنا ما وهب لأهل الفضل من

---

(١) كتب بأعلى السطر «عنوانه ظنا».

(٢) الآية ١٧٣ ـ ١٧٤، سورة آل عمران.

أسلافنا، وقد كان يا إخواننا من تخلفكم ما لم نلمكم عليه، ولم نسيء بكم الظن فيه لكن لومنا لكم لأنفسكم، ولما يُؤثر عنكم من تَخْذيل من يرغب في الحظ الأوفر وسارع إلى الله العلي الأكبر، وقد أرجو أن لا يكون ذلك وكيف وأنَّى يكون من هو من الصدّ عن سبيل الله، وهو يعلم نهي الله عن ذلك إذ يقول عزّ من قائل كريم **﴿الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله أضلَّ أعمالهم﴾**[1] ويقول عزّ من قائل كريم فيمن آمن وصدّ عن سبيله من أهل عَصْرنا **﴿يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدّون عن سبيل الله﴾**[2] فيا له من ذنبٍ ما أعظمه، وكيف لا يعظم ذنب من زهد فيما رَغّب الله البرية من القيام في سبيله والإصلاح لعباده وبلاده، أجل لم يَعزب حق ذلك إلاَّ على من لم يعرف حق فضل نعمة الله عليه **﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾**[3] ولقد عظم عليَّ هذا الأمر فأكذبت أن يكون من مؤمن مثله، فأما الذين قد فتنت فيه وأيقنت من كافة أوليائي فترك المعذرة عن التأخّر بترك مواساة أنفسهم بنفسي فلو قد اعتذر من قَعَد بمسير من سار لكان في ذلك معذرة يعذر بها المتخلف ويكتفي بها المتكلف، ومن الآن أكرمكم الله فليكن عملكم معي نصيحة فلن تخلو من أحد وجهين: إما أن تكونوا على عهدكم وإما أن لا تكونوا عليه، فإن كنتم على العهد فلن يفتكم حال تأسون على فواته إنما فاتكم سفر وأمامكم سفر مستقبل فاعتاضوا الأجر من الأول فنظير كل شيء عوض به، وإن كنتم ـ والله يعيذكم من ذلك ـ قد حلتم عن عهدكم آكتفيت منكم بنقدكم، ولم آس عليكم لنقض عهدكم، وكان في الله وأوليائه عوض منكم، واتبعنا قول الله لنبيه إذ يقول عزّ من قائل: **﴿فلا تذهب نفسك عليهم حَسَرات﴾**[4] وقد بعثت ابن عمي أبا محمد القاسم بن الحسين الزيدي إليكم وأقمته في المسير إلى بلدانكم

---

(١) الآية: ١، سورة محمد.

(٢) الآية: ٣٤، سورة التوبة.

(٣) الآية: ٢٢٧، سورة الشعراء.

(٤) الآية: ٨، سورة فاطر.

مقام نفسي وقد أمرته بإطلاعكم والنظر في أحْوالكم وتصحيح فيما بيني وبينكم والقيام بما جرت به الشرائط عليَّ وعليكم، وأمرْته إن كنتم مجمعين على طاعتي وملتزمي ببيعتي أن يقوم فيكم ويشدّ في كافة المخاليف قبلكم، ويَسْتخرج واجباتها، ويَصرف ذلك في أرزاقكم وما يعود بصلاحكم، ولم أجعل له في خراج يداً أكثر من مؤنته وإنفاذ ما أتى به خطي، وقد أوضحت ذلك في كتاب عَهْدي إليه فيحسب ذلك فاعملوا ولا تطالبوا واليكم ما لم أجعله في يده، وليعنه كل امرىء منكم على نفسه فقد جعلته بينكم مُصْلحاً وحاجراً بين من يجري القبيح بينه منكم ومنفّذاً لأحكام قضاتكم ومستخرجاً لواجباتكم ودافعها إلى من أمر الله بتصريفها فيكم فاستمعوا لقوله وأطيعوا لأمره ومن عصاه من قريب أو بعيد، كونوا عونه على العاصين، وبيده كتاب عهد أمرته أن يسير بما فيه، فمن كان منكم وافياً بعهده ومنجزاً لوعده فليعرف بذلك من فعله بخبر نعرفه ويعرفه أولياؤنا، فلم يعد لمن نكث عهده إلاَّ إتباع أمر الله فيه، والله يقول عزّ من قائل: ﴿**ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم وهمّوا بإخراج الرسول وهم بدؤكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويَشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غَيْظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم**﴾[١] وأنتم أعزكم الله أول من دخل معنا اختياراً ولم يدخل معنا اضطراراً والرجاء فيكم والظن بكم الوفاء بعهودكم والحوطة لِبَيْعتكم، والله بَعْد ذلك ولي توفيقكم ورشدكم، وعليكم يا إخوتي أفضل السَّلام وأطيبه.

ونهض القاسم بن الحسين الزيدي من عيان مع العَسْكر إلى بلدانهم، ولقيه جميع من ألفى بها[٢] بالقبول والطاعة واستمرت للإمام عليه السلام في مخاليفهم الطاعة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقال القاسم بن علي صلوات الله عليه شعراً في غزاة نجران عارض به قول عباد ابن عياش الحارثي:

---

(١) الآيات ١٣ ـ ١٥، سورة التوبة.

(٢) كذا ولعله «ألفافها».

عجبت ولم أعجب لغير عجيب — وعوفيت من سقمي بغير طبيب
ونلت الذي قد كنت أرجو نواله — وأطفيت ناراً أوقدت لحروب
وفرقت جمعاً لم يكن بموفقٍ — وأقصيت من لم يرعو لحبيب
وأرعيت لما نلت نجران عنوةً — ولما أجازي من بها لمريب
وكيف أجازي من وفى بذمامه — وثم فلم يعلم له بدبيب
وفا حيٌّ كعبٍ فاستمرُّوا بطاعة — ولم يخرجوا من عهدهم لقريب
وقد قيل في عبد المدان وأنهم — لأبعد حي من مقال عيوب
عتبت فلم أزرِ بهم في عتيبتي — وكنت لداع الشر غير مجيب
وقد قلت قولاً اعتلى بنجاره — ورب مقال مسعدٍ[1] لخطيب
إذا ما بنو عبد المدان تزاجروا — ولم يقدحوا في ملكنا لغريب
جعلنا لهم منا يداً يشكرونها — وفازوا جميعاً كلهم بنصيب
هم الذروة العليا من حي مذحج — إذا أصبحوا لم ينتحوا لهريب
كمن جرَّ جزءاً ثم ولَّى ولم يعج — على عرسه لا عربت بنجيب
لقد قال عباد بن عياش مغرماً — وكم من مقال قال غير كذوب
ألا ليس من جر المقانب بيننا — وبين الإمام المرتضى بمصيب
وكيف يصيب الرشد يابا مسلم — غوي كثير الجهل غير أدِيب
فدا قومه كي لا يعابوا بفِعْله — ولم[2] يطمعوا من عذره بمعيب
قَرَا ثم أروى[3] من سقاعن ضيوفه — ليحيلهم لا مكرم بمشيب
فلما تراخى الخوف عنهم وهجدوا — قضا وطراً منهم بكل قضيب
فلا يفتري عبد الدَّخامس بَعْدها — منيب فلا تلقى حباه وهوب
ألا ليت عيناً منه تنظر جمعنا — لدى حُصْنه مستبشرين[4] بطيب
لنا سامر ما بين لاهٍ ومنشدٍ — بمأثرة تروى وبين لغوب
كأنا أقمنا حيث كنا بأرضه — بأوطاننا من أبطحٍ وكثيب
هل العزُّ إلَّا عز من كان عزُّه — من الله أو من مسعدٍ لحبيب

---

(١) نسخة «مشتف» (من هامش الأصل).
(٢) نسخة «إلَّا» (من هامش الأصل).
(٣) كذا. (٤) الأصل يستبشرين.

تبدلت من قومي الكرام أولي النهى ... بكل كريم النحل[1] غير هيوب
فنلت الذي نال النبي محمد ... نبيّ الهدى المختار خير نسيب
سقى الله قحطان الكرام فإنهم ... لدين الهدى باب لكل طلوب
فمن ذا ينال الدين[2] من غير بابه[3] ... ومن ذا الذي يشقى لغير مثيب
ومن ذا الذي يرجوه كل موحّد ... لجور ظلوم الفعل غير أريب
سواهم فلا زالوا بخيرٍ وغبطةٍ ... ولا منعوا من مغنم وكسوب
فمن مبلغ أهل الحجاز رسالةً ... على النأي يزهى[4] مرصد لوثوب
يسر بها الأخوان من كل مشعرٍ ... ويكرهها من ينتهي بمعيب
بأني حويت العز والمجد والغنى ... بمنٍّ الذي قد خصَّني بنصيب
وإني أقود القوم للقوم إن عَتَوا ... بلا ذِلَّة تعتري بجنوب
فأورد جيشي مورد العزّ والغنى ... وأصدره بالنصر غير كئيب
سلوا تخبروا عنا إذا ما جهلتم ... يخبّركم من زارنا بعجيب
أعرِّض من قوم إذا ما لقيتهم ... وهل أنثني من خفية[5] لمَهِيب
أبى الله لي هذا الفعال وهمتي ... وإني امرؤٌ لا أقتدي بمريب
وإني حميت النفس أن تقرب الخنا ... ومن همتي أن انتهي بمشيب
ومن همتي أن لا أزال مجاهداً ... ولو لم يكن لي مسعد لوصوب
لئن يعبد الرحمن في كل بلدة ... ويهلك من لا يرعوي للبيب

فقال أبو الغيث الطائي[6] عروضاً لقصيدة الإمام عليه السلام، مدحاً له[7]:

ما صَبْوتي باللهو بعد مشيب ... إلاَّ لجاجاً بالهَوَى المعْيوب
شيب الفتى داع الوقار فمن يجب ... داعي الوقار [يفز][8] بخير نصيب

(١) كذا ولعله «النجر».
(٢) نسخة «الحق» من هامش الأصل.
(٣) نسخة «أهله» من هامش الأصل.
(٤) الأصل هكذا «برها».
(٥) كذا لعل صوابه لخيفة.
(٦) هو أبو الغيث بن جعفر الطائي ترجم له أبو الرجال في مطلع البدور ٤: ٢.
(٧) أوردها أبو الرجال في مطلع البدور ٤: ٢ «نسخة غمضان».
(٨) أصلحناه من عندنا.

إن الفتى مـا لم يَـزعْـه مشيبه ... عن كـل فـاحشـة لغيـر مصيب
تبـدلت[1] شيباً مكـرهياً لـونـه ... من بعـد بُـردٍ للشبـاب قشيب
ومن القوى ضعفاً يخون كلالـه ... ومن الشبيبـة حـادثـات شجـوب
ومن الأداني الأقـربين بغـربـة ... والنقص مقـرونٌ بكـل غـريب
ليس الغـريبُ وإن يخلد واثقـاً ... بـالمزلف المـدني ولا المحبوب
إن الإمـام ابن الأئمـة من ورى ... أسـلافـه النجباء خيـر عقيب
القـاسم المنصـور بـالله الـذي ... ألقى إليـه الأمـر كـل نسيب
ابن النـبي وصـنـوه وابنيهـمـا ... آبـاء كـل فـتى أغـرّ نـجيب
أهـل المفاخـر والمـآثـر والعـلا ... وذوي الـطهـارة والتقى والـطيب
أربـاب مجـد أكـرمـون أعـزَّةٌ ... آسـاد أغيـال[2] غيـوث جـدوب
أعـلام حَـق يستـدل بهـا إذا ... عَـرَت البريـة مشكلات خـطوب
ألفـوا منار الحق يلمـع فـاقتـدوا ... في أمـرهـم بمنـاره المنصـوب
ثقفـوا سيـوفهم خلوفهم عـلى ... سنن من التـأديب والتهـذيب[3]
مثـل النجوم يضيء طـالعهـا إذا ... سار المغـرب جـانحـاً لمغيب
آبـاء صـدق البنـون كمثلهم ... في الـطبع والتـرشيح والتهـذيب
والقاسم بن علي والخلف الذي ... ورث الإمـامة غيـر مـا بكـذوب
بـسنـانـه وبهـائـه وحيـائـه ... ووفـائـه لمعـاشـر وضـريب
وبـحلمـه وبـعلمـه وبـقـولـه ... وبصـولـه في المـارق المهيـوب
وكمـالـه ومقـالـه وجـلالـه ... وفعـالـه ونـوالـه المـطلوب
وذكـاء قلب مستخف في حشـا ... صـدرٍ لَـدَى دهم الأمـور رحيب
يدري بما تحـوي القلوب وكيدة ... للمضمـرين فـلاة كيـد أريب
حتى إذا ظنّ الغـريـر بـه التي ... يـرجـو تنـاولـه بكف وثـوب
شثن البـراثن لا يعـود إذا صـدا ... إلاَّ بـظفـر بـالـدمـاء خضيب
لا يُـدرك الغفلات منه بخاتـل ... لـو دَبَّ في نجـواه أي دبيب

---

(١) المطلع «بدلت».
(٢) الأصل: سادوا عيال.
(٣) هنا ينتهي نقل ابن أبي الرجال لهذه القصيدة.

حتى يحصل ما لديه برفق ذي ... أيدي شديدة محكم التأديب
سمح الخلائق في شراسة ماجد ... صعب كثير البشر غير قطوب
يدنيك بشراً ثم يقصي مانعاً ... عن عزم ألوى معظمٍ مهيوب
ويردد الخصم الألد مطامناً ... طرف الحسير بحيرة المغلوب
وترى الثعالب وهو غير مغالب ... حتى يبيّن سورة التعقيب
بوقائع تجد المحذر مثلها ... بين الفرائص رعدة المرعوب
وكتائبٍ مهما صمدن[1] قبيلةً ... تركت صدورهم بغير قلوب
وإذا نشرن وقيعةً في مشرقٍ ... وجلَت وقائعه ذوي التغريب
وفوارس مُسْتلثمين ضراغمٌ ... ما بين مرد كالجمال وشيب
همدان باديها وحاضرها الأولى ... يتبادرون لنَصْرِ كل مهيب
من آل أحمد في القديم وآنفاً ... لا يخلطون زماعهم[2] بلغوب
من فوق كل طمرة ومقلصٍ ... متواشكات العدو والتقريب
بأكفهم سمر تقد عرى الكلى ... منهن كل مذلقٍ مَزْرُوب
وقبيله آل الرسول المصطفى ... خير الأنام برغم ذي التأنيب
أمراؤه في حفظه وحُماته ... في كل يوم في الحروب عصيب
يَسْطون بالبيض الحداد كما سطت ... أسد الشرى بمخالب وبنوب
لا يسلبون سوى النفوس تنزهاً ... عَوَان يرموا أمره المسلوب
لا يأنفون من ابتذال نفوسهم ... معه إذا ما كاع[3] كل هيوب
لا يَعْلق الطبع الذميم بهم كما ... علقت مواسمه بأهل الحوب
هشّون للأمر الجميل وفعله ... عفّون عن إتيان كل معيب
ها هاك قول مقصر في مدحه ... لك وهو فيما قال غير كذوب
يصفي مودتكم وإن عيب العدا ... لم يضح معتذراً عن المعيوب
يرجو بذلك في الحياة زلافةً ... ولدى المعاد ثواب خير مثيب

وللحسين بن أحمد في غزاة نجران، رب يسِّر وأعن يا كريم:

(١) نسخة «قصدن» من هامش الأصل.
(٢) الزماع: المضاء في الأمر والعزم وفي الأصل وردت «بالمهملات».
(٣) كاع: جبن.

سِرنا إلى نجران لجب شزباً ... مثل السعالي في المساجل تمرَعُ
فتىً[1] عليها الأيزنون مظاهراً ... خصاً لها منها المكاره تدفعُ
يحملن كل فتىً شجاعٍ باسلٍ ... ماضي العزيمة ضَيْغم لا يجزعُ
منكّف حلق الحديد مظاهراً ... عند اللقاء مصمم لا يرجعُ
من حي همدان الذين بمثلهم ... يرضى الإمام لدى النزال ويقنعُ
لما هَبَطنا سهل نجران الذي ... كانت جَوانبه حماء يمنعُ
لم يمتنع منا سوى من قال قد ... بلغت صنيعتكم فمنوا أو دعوا
فعفا الإمام وقال حبس صنانة ... لا بدّ من حبسٍ أطيعوا واسمعوا
فتبادروا طلب السلامة والبقا ... خلق الحديد وكل خلٍ ودعُ
والناكث الغدار ولّى هارباً ... والعين من جزع المنية تدمعُ
جئنا إلى أرض اللعين وقومه ... والكل في هرب مجدٍ مسرعُ
قاعاً تركنا دورهم وحصونهم ... بعد الأنيس فهم خلاء بلقعُ
ونخيلهم أمست ذواد[2] بناتها ... جُمَّارها من كل شق ينزع
دارت رحانا بعد ذاك على بني ... آل الحماس وقد نووا أن يمنعوا
درنا بسوجان فلم تك طرفةً ... حتى الدُّخان بجانِبَيْهِ يصدعُ
وتلاحق القوم الخفاف هزيمهم ... في شاهق رأس البقاع ممنعُ
غنموا ظنينهم وظلت بيضهم ... من خلفهم مثل الإماء تروّعُ
تسل الرحام لها فتلقى كلما ... سالت فتحفظ بالذمام وتمنعُ
هذا جزاؤهم ببغض المرتضى ... وهو المفضل والبطينُ الأنزعُ
وبنقضهم عهد الإمام ورفضهم ... حق الوصي وما سواه ضيّعُ
همدان للمنصور مَرْدات العدى ... كلٌّ لهم في كل أفق يخضعُ
فليعلم العبدان أن كتائباً ... منهم ستصبح قاع بيش تنبعُ
وهما غنيمتهم وما قد جَمَّعا ... ولغيره كم من عديد يجمعُ
وهو الخليفة في البلاد لربّنا ... وهو السّفينة للعباد المفزعُ
وهو المهذب من سلالة هاشمٍ ... وهو النجاة لمن يرى أو يسمعُ

---

(١) كذا.
(٢) لفظه غامضة.

فـالله أيّـد قـاسمـاً لـوقـائـع يصلى مـواسم كتبهـا من يخنـعُ
حَسْبي بـه مـولى أدين بـدينـه ومشفـع يـوم القيـامـة يشفـعُ

قال الحسين بن أحمد: فـأقام الإمـام عليه السـلام بعد انقضـاء سفره بعيان أيامـاً أتى إليه في أيـامه من الأيـام بملك[1] بإنسـان شكا بأنـه سرق شملةً من صوف وصحّ عليه ذلك بعد سرقه طعام شهـد به قبـل ذلك، فـأمر به أن يجلد فقام مولًى له إلى الأمام وقال: يابن رسول الله هب لي ذنبـه وأنا أغرم ما أتلف فـإنه لا شيء معـه يردّه فقـال الإمام عليـه السلام: لا بـدّ من إنفاذ حكم الله فيه ولو لم يكن مَعَه مغرم، وأدبه أعود بالمصلحة على الذي أخذ رحله من مغرمه، فأمر به أن يجلد مائة جَلْدة فلما أدبر الرسول، قـال: آدعوه فلما عَاود قال سَبْعين جلدة تِفاً[2] فسَألناه لم رَد الرسول ونقص الجلد ولم يحدّه في الطّعام وهو آخذه من حرزه حَدّ من يأخـذ من الحروز، فقـال عليه السلام: أما تركي لجلدة في الطّعام القـطع، فلم يأخـذ من الطعـام ما يسـوي عشرة دراهم قَفْلة وليس القـطع إلاّ فيما قيمتـه يَسْـوي عشـرة دراهم قفلة فصاعداً فرأيت له التّعـزير، وأمـا ردي للرسول بعـد أمري لمـائة جلدة فكـرهت أن يكون أدبـه متشابهـاً لأدب الزّنـا فجعلته دون ذلـك، وأمرت أن يكون جلداً مؤلماً يُعدل المائة وأكثر فاعلم ذلك.

ووصل إليه في هذه الأيام وهو في عيان بنـو أبي الطَّيب[3] الحسنيـون مهـاجرين من الحجـاز فهم إذ ذلك أهـل ملك وسعة في الأمـوال والمـوالي والـرقيق والعيون والسلطنـة، وكان وصـولهم صعدة وأرسلوا إليـه وهو بعيـان علم مأتاهم ويَسْتـأمرونـه في المصير إليـه فأرْسـل إليهم أن يثبتوا بصَعْـدة إذ كـانت أرفق بهم وأقـوم لمؤنتهم وكـرامتهم، ونهض من عيـان للقـاهم إلى صَعْـدة يـوم الثـلاثـاء لخمس خلون من شهـر صفـر من شهـور سنـة تسعين، فـأمسى بمذاب فـأقام بـه لَيْلتين، ونهض فـأمسى بصَعْـدة، ولقيـه الشـرفـاء

(١) ملك: بلد هنالك «صفة جزيرة العرب: ٢٦٦».
(٢) كذا ولعلها «تفي».
(٣) انظر خبر قدوم بني الطيب في غاية الأماني: ٢٣٠.

بأسل[١] فسلّموا عليه وأكثر البشاشة بهم والثناء عليهم، وأقام بصعدة ثمانية أيام ونهض معاوداً إلى عيان، فأقام به آخر شهر صفر وأياماً من ربيع الأول وهو يدبِّر في هذه الأيام أمور رعيّته، ويفتقد على جميع ولاته إذ أتاه رجل من أوليائه وشيعته يقال له أحمد بن عيسىٰ القشبي ممّن يحل السبيع[٢] في ظاهر بلدان هَمْدان فأَطلعه على أحوال تذكر من الولاة والعمّال، وقال له: يا ابن رسول الله وَلَّيتهم الأمر فلا نقدر أن نتكلم بشيء ولا نعيب عليهم في فعلٍ إذ يدهم العُليا بتوليهم علينا، قال له: يا أبا الحسن فإذا جعلت لك يداً عليهم بالافتقاد أتكلم لمن تعرف، قال: يا ابن رسول الله بل أتكلم، وأطلعك على كل حال فأعطني بذلك حجة، وكان رجلاً صليباً في المحبة للإمام حديد الكلام جريئاً على ما يَنْوي من الأحوال، فكتب له للإمام القاسم عليه السلام حجة نسختها:

بسم الله الرحمن الرحيم، قد جعلت أخي أبا الحسن بن أحمد بن عيسىٰ القشبي تولَّى الله رشده مُفْتَقِداً ومطلعاً على جميع من استطاع الوصول إليه من ولاتي وأعمالي والشارعين في خدمتي، فمن اطلع منه على خيانة فيما يلي أو جور على ما ولَّى فقد أطلقت له النكرة عليه في ذلك والمنع والرد على ما كان كذلك، ومن كره افتقاده واطلاعه من الولاة والعمال، أو عصاه في معروف أو حال من الأحوال رفع إليَّ علم ذلك وكنت المتولي للنظر فيما هنالك، فاعزِم في افتقادك وشمر فيما أقمتك وأنا ظهرك على ذلك، والسَّلام. وكتب الإمام القاسم بن علي بخطّه.

قال الحسين بن أحمد بن يعقوب رحمه الله: وكان الإمام عليه السلام اختار منزله في بلد بكيل وودعة بأهله وأولاده لما كانوا عليه من قديم النصيحة[٣] والنجدة والمحبة لآل الرسول والبُعْد من الدغل وأخلاق أهل المدن وجنود السَّلاطين، فلما ولَّى الإمام عليه السلام صَنْعاء ومخاليفها

---

(١) أسل: واد في بلاد دهمة من أعمال صعدة «المقحفي: ٣٠».
(٢) السبيع بلد من بني قيس في بلاد حاشد «المقحفي: ٣٠٤».
(٣) نسخة «الصحبة» من هامش الأصل.

والجنود الذين بها رسم للجنود رُسُوماً وجعل لهم من خراج بُلدانهم نفقات وعطايا، ولما كان ذلك قدح ذلك في قلوب رجال من بكيل ووادعة، وقالوا: نحن أقرب النّاس إليه وأولهم إقبالاً عليه وأكثرهم محبّة له، وهَا هو قد آثر غيرنا بالعطايا، ولم يسمح لنا في أفعالنا بجزاء، ولما بلغه ذلك منهم ورفع إليه من قولهم أرسل عند ذلك الرّسل إلى جميعهم فحضروا إليه فلما أن كمل اجتماعهم كتب كتاباً وأمر من قرأه على جماعتهم، نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم، إلى كافة من حضر مجيباً لدعوتي ومن هو حاضرٌ حضرتي وباني يرعى طاعتي، ويقر بيعتي، سلام عليكم أيها الأولياء والشيعة الأصفياء فإنا نحمد الله إليكم حمداً كثيراً عن جم من نعمه علينا وجزيل من إحسانه إلينا، أما بعد: أكرمكم الله بأسنى كرامته ولا سلبنا وإياكم ثواب طاعته، فقد لزمكم من طاعتنا ما لَسْتم بجاحديه، وبالقديم[1] من ذلك فرضاً أنتم غير مؤديه، فهل تستقيلون من أمرٍ حرم حلالكم تألونا عن أدائه، أم يصرون على حنث لم يعلموا بكنه انتهائه، أم يقولون إنكم عقدتم بَيْعتكم لرجل خالف الحق وليس من أوليائه، فبتلك إن صحت لكم تعتذرون وفي تلك ما كان كذلك لا تعيدون أم تستقيلون من بيعتكم فأنتم من بَيْعتنا مقالون، أم تعاملوننا بغير وفاء ولا حجة فلَسنا لذلك منكم وامقين، ألا فَلْينبيء الحاضر منكم عن الغائب، فمن بدر منكم يا أهل بَيْعتنا مقدم قوم إلاّ أحضرناه، وذلك من بعد أن بان لنا حال كل من عاملناه أنكم تولّى الله رشدكم بدأتم بأمر لم نذمّه فانقاد لذلك كل أمر مُسْتَصْعب، والتأم كل شتات متشعّبٍ حتى غيظ كل منا بصاحبه ورجاء البَريّة أن يفوت ذا منكم بما فزتم به، فبينما أنتم كذلك إذ نقضت أموركم المطامع الدنيّة وأن خلدتم إلى الدنيا الفانية، فجعلتم طلب المعدوم سبباً إلى الأمر المذموم، فقال كل قوم منكم: آرزقنا في بلداننا وصنّا في أوطاننا، وإن أردت الإصْلاح بنا فصل أيدينا بديوانِنا مع كثرة التّعب وإظهار الغَضب، أجل لو تمّ ما بدأتم به حتى تصلوا أيدينا ببلد تنال فيه الأيدي طلبتكم لكنا

(١) الأصل «بلقديم» ولعله وبتقديم.

لذلك باذلين وإلى محبوبكم فيه مسارعين، وإذا لم تسعدوا لذلك وقصرت هممكم من ذروته، فلَسْتم إلاَّ كرامي الغرض يقصر سَهْمه عن بلوغه، ولكم فيمن كان قبلكم إسْوة ولنا، والله يحكم لا معقّب لحكمه، وهو سريع الحساب، ألاَ وقد حضر من كل قوم من يعتمد عليه من هَمْداني وخولاني حواضر نابوا عن عشائرهم في اتصالنا اليمن فلينوبوا عنهم في فسحنا من هذا الأمر وليتسبّبوا إتصالنا، ففي ذلك عوض من قبح القالة، فلم يعد لنا مقام في بلد بانَت فيه المعصية بَعْد الطَّاعة والشتات بعد اجتماع الجماعة، ولكل جديد بَهْجة تخلق[1] وفي كل خلق متعة، خلا الإنسان فإنه إذا خلق لم يَسْتمتع به ولا سيّما إذا كان فيهم سلطاناً، ولو كان مقامنا أكرمكم الله لدنيا وما فيها لما عدمناكم رضاكم فيها، لكن أبى الله ذلك لمن قام مقامنا، وإن لنا ولكم لحقّاً ما نال منه إلاَّ أقله وأخبثه فينالنا على ذلك من أقوال الظالمين ما يقطع أعراض المؤمنين ويخرج من اسم الدين، ولا مقام على العيب بعد المحبة ولا على الغَضَب بعد الرضاء، وقد كنت أحسب أنكم خاصَّة يا رجال بكيل ووادعة، أنه لا يبدو منكم مثل ما بدا وأنه إن نال الجنود والمؤلفة شيئاً من حطام هذه الدنيا إنكم ترضون في مقتسماً[2] لديكم إذ اخترتكم في السُّكنى، فلم أجْعَل منزلي لمقامي إلاَّ بينكم ولا أجعل أقرب الأولياء ولا أخصّهم لي من غيركم، فإذا كانت النكرة قد بدت بعد المعرفة، والتَّباعد بَعْد الألفة، والتَّعتّب بَعْد النصفة، فأنتم أولى من أوصل ابن نبيكم بصرف جميل يحسن به وبكم، ولن يعدمكم الله الصَّواب وما يصب إليكم فيه، والسَّلام عليكم، وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم.

فلما أتوا على استماع كتاب الإمام عليه السلام رأيت كلاً منهم كظيماً من الغم والحزن، وقالوا: لا والله لا نتبدل الكفر بعد الإيمان ولا السواية بالإحسان بل نستقيم على بَيْعَتنا ولا ننثني عن صوبنا، ولا نخرج عن كريم مدخلنا ولا نخالف ما أومى إليه ابن نبينا، ونهضوا بأجمعهم حتى أتوا مجلس الإمام عليه السلام وأحاطوا حوله، وقلّدوا الشيخ مظفر بن أبي

---

(١) كذا. (٢) كذا.

ظالم الدُّعام[1] في الجواب للإمام عليه السلام، وكان من أكبر آل دعام وأسنّهم وأمكنهم في الرياسة، فقال عند ذلك: قد سمعنا كتاب مولانا ونحن عبيد مولانا الإمام وخدمه، لا والله ما نختار الدنيا عليه ولا نجعل عرضها حضناً منه بل نحن له على ما بايعنا عليه فيثق منا بذلك، فشكر كلامهم وأكثر الثناء عليهم، ونهض عليه السلام يريد صَعْدة يوم الجمعة لسَبْع خلون من شهر ربيع الأول فأمْسَى مذاباً[2] وأقام ليلتين ونهض من الغد فأمسى صَعْدة، واجتمع إليه بنو سَعْد من خولان وفرحوا بمطلعه ومثبته في بلادهم فاجتمع رأيهم على أن يكون منهم نفرٌ يتناوبون باب الإمام عليه السلام مئة رجل وعشرون فارساً تقف هذه النوبة ليلة ويوماً ويروح ويأتي مثلها، وبلغه عند وصوله صعدة اختلال من ولاة نجران وأهلها فأرسل خادمه القائد سعيد بن سراج نجران فولّاه الافتقاد فيها على أهلها وولاتها وأعْشارها، وكتب معه كتاباً إلى أهل نجران نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم، إلى كافة أهل نجران من العشيرة والجيران سلام عليكم، فإنا نحمد الله إليكم على نعمه التي لا تعد ومواهبه التي لا تجحد، ونَسْأله أن يُصلّي على محمد خاتم الأنبياء وعلى من طاب من ذريته وزكا. أمّا بعد فلا معذرة لمن طالت عقلته ولم تفده صلاحاً فكرته أجل لو آحتال أهلُ الألباب فكرهم لاعتبروا بغيرهم، وكان فيما مضى دلالة للباقين على الفناء، وفيمن تصرفت به الدنيا أدل دليل أنها لا تبقى، فالعجب كل العجب لمن لا يعتبر بدار لا له بها مستقر، وبدنيا لا بقاء له فيها فيُقَصِّر عن الاكتساب من ذوي مكاسبها، ويمهد لنفسه من قبل النقلة منها ويبادر بالتوبة على سيّئ عمله فيها، أي أهل ذي البلدة التي فتن بعض أهلها ببعض، وأكل بعضهم بعضاً وأعقبهم فعلهم العداء والبغضاء، ألا تشكرون الله على مقامنا فيكم وكف المكروه بذلك عنكم، وتلبسون ثوب العافية الذي كسبتم كي تكونوا كمن ألبسه الله ثوب العافية على يدي نبيكم صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم، فقد ذكر الله ذلك في كتابه فقال وقوله

(١) آل الدَّعام قبيلة من أرحب انظر الإكليل ١٠: ١٦٤.

(٢) مذاب: واد مشهور شرقي همدان بن زيد في محافظة صعدة «المقحفي: ٥٧٦».

الحق: **﴿واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها﴾**[(١)] الآية وأنتم رحمكم الله فاذكروا نعمة الله عليكم، وما وهب لكم من جميع عوافيه بكم وما لا يزال دائماً يُسْدي بِهِ إليكم، فبذلك يجب عليكم شكره، وقد جمعكم واد لَسْتم لقديمه ولا لحديثه بجاهلين، ولا بمعرفة ما كان عليه بمنكرين وإن أنكر ذلك منكر فلا ينكره إلاَّ من لم يحظ بمعرفة ما تناسخ العلماء من العلم، والحديث المأثور عن نبيهم صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم ومن وراء ذلك ومن بعده لا اختلاف بين أحد من علماء أمة نبينا صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم، إن هذا الوادي كان ملكاً للنصارى غير منوط به سواهم، وأنه صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم ألفى العرب بأسْرها على دين الشرك خلا المتنصرة من ربيعة[(٢)] الفرس بنجران والجزيرة وكلا رَدّه على دينه كرهاً خلا هذين الحيَّين فكلاهما امتنع يومئذٍ في موضعه، وقاتل على بلده ودينه، فصالح كِلاَ الحيَّين عن نفسه وعمّا في يده، فأما نصارى الجزيرة فترفعوا عن الجزية فطلبوا أن يضاعف الزكاة عليهم ضعفين، فعاملهم صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم على ذلك، وشرط عليهم أن لا يضيعوا أولادهم يريد أن لا يدخلوهم في دينهم فلم يقولوا بذلك، ولم يَسألوا عنه إلى هذه الغاية، وأما نصارى نجران فصالحوا على دينهم وبلدهم بأربع مئة أوقية ذهب وأربع مئة حلة من وشي صنعاء، ثم أخذ الخلفاء منهم الجزية لما تركوا أداء ما عوملوا عليه وأجروا معهم إصلاحاً من ذلك لما خرجوا من البلد وتبعوه وفارقوا سكناه حتى لم يعد به إلاَّ من قد ترون، ثم أعقب من سكنه من العشائر على من انتقلت الأموال إليه على حين وناء الإسلام وضعف بسلطنة الخلفاء فتجرَّموا ما بأيديهم وأكلوه بالمغصوب والحقارات وما ارتسموا به إلى هذه الغاية، فشمل الوادي الظلم من النصراني الذي عومل على نفسه وما في يده بإخراج البلد منه ومخرجه

---

(١) الآية: ١٠٣، سورة آل عمران.

(٢) ربيعة الفرس هم ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان انظر «التعريف في الأنساب للأشعري: ٩٨ ط. مصر».

عنه، وترك ما عومل عليه فيه ومن المسلمين الذي دخل بالشراء على أرض عامل عليها النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم لعامة من دخل مَعَه من الأنصار والمهاجرين، وكذلك من دخل من العشر مع مشتري هذه الضياع بِغَصْب وحقارة، فقد دَخَل بغير واجب ولم يَزَل الإصلاح يجري في هذا الوادي من جميع الدول، ويُستأجر ذلك لقدر ما ذكرنا ممّا كان عليه من بدء الإسلام حتى كان آخر صلح جرى فيه الهادي رضي الله عنه للنَّصَارى ولشراحه وملاكه بالشراء، فلولا معرفته بمخرجه لما صالح النَّصْراني على ما بقي في يده وما ارتدّ بشرائه من المسلمين بأكثر ممّا يجب عليه من الجزية، وكذلك من ألفى الأملاك بيده وما أوجب عليهم فيها من أداء الزكاة من قليلِ ما أنبتت الأرض وكثيرها، فلو لم يكن الأمر على ما ذَكَرْنا لما أخذ الزكاة إلَّا ممّا تجب الزكاة في مثله من الكيل المعروف، ولترك ما لا يجب الزكاة فيه، وكذلك الشراح لو لم يكن البلد على ما ذكرنا لما ترك الشارح فيه يداً بقليل ما يترك ولكان قد نزع القليل الذي أطلق كما نزع الكثير الذي ألفاه مفاوتاً في المعاملة فاعلموا ذلك، ثم قد ولّينا بلدكم هذه ولاية من يريد لكم الإصْلاح فلَسْنا بمخرجيكم عمّا رسم إمامنا فيكم ما استقامت لنا طاعتكم ولم تفارقنا جماعتكم إذ نحن ولاة ما ولي نبينا صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم، والمصرفون لما ولي تصريفه في أهل طاعته والداخلين في جماعته، وقد بعثت الآن خادمي سعيد بن سراج لما كنت قد بعثته له من إطلاع العشائر والبلدان واستخراج الواجب فاستغنموا لطاعتنا وتَصَرَّفوا بين أمرنا ونهينا، فبذلك تفوزون عند خالقكم وإمامكم وابن نبيكم، وتحسن في كافة الأمور أحْوالكم، ولن يغيب الصَّواب عن مثلكم، والله يرشدكم لذلك ويوفقكم، وقد كنت ولَّيت عليكم أخي أبا إسماعيل إبراهيم بن محمد بن المختار وآمر بكم له بالسمع والطَّاعة ما أطاع الله ورسوله، ومن ولَّاه عليكم وسار بالحق فيكم، ولم أنزعه من ولايته ولا أنزعه ما استقام على ما أوقعت به الشريطة عليه، والله يرشدنا ويسدّدنا أجمعين لما فيه الخيرة، وقد رسم هذا البلد برسم من رسوم الباطل، أمرت برَفْع ذلك عن الكافة، من الفروق والحصاد وعلوفة الخيل، فلا يخالف أمرنا برفع أحد

فلام إلاَّ نفسه، ولصاحب الملك الخيار في ماله إن شحَّ فلا يكلف إخـراج مـاله، وإن سمـح عن غير تكليف لم يمنـع من فِعْله، وقد أمـرنا بكـل مال تبايعه الشراح بينهم فأصله لمالكه، ولا يُنـزع من يده ولا يـؤخذ منـه فيه إلاَّ رسم القَصَبة ما لم يستغرق جملة الخراج أو يـدري به، والـواجب من رأس الغلة يلحق القصبة بقدرها ويلحق صاحب الملك بقـدر ما معـه، ولا بحمل الخراج على صاحب الملك من دون الشارح، بل يخرج الخراج من الرأس وثبوت كـلٍّ منه بقدر ما يصير إليـه، وقد جعلت لهـذا القائـد الشّد بكـل من خالف أمري في شيء ممّا أمرت به فمن أتى منه خـلاف أمر الـوالي بحبسه والشّدّ عليه، فإن لم يفعل الوالي ما يرى القائد من الصّلاح فقد جعلت عند ذلك للقائد أن يحبس من يَسْتَوجب الحبس، ويعـاقب من يستحق العقوبـة، وذلك بَعْد البينات ومشاورة من أمرته بمشـاورته، وخـروج الأمر من قبلي من بعد وصول الكتـاب مطلقاً على ما يجـري من الأحوال في البلد كلهـا وفي البلد من يجري بينه الشجرة فمن أتاه مستعـدياً رَفَعَـه إلى الوالي، فـإن كفاه بَعْـد وجوب الحق لمن يجب لـه اكتفى بذلـك، وإن لم يكف الوالي عـذر على الظالم وحبسه بما يوجب الحكم عليه، والسَّلام.

قال الحسين بـن أحمد: وأقام بصعدة كل يوم يَغْدو إلى حصنه الذي عمره بها على أساس حصن النَّاصر صلوات الله عليهما جميعـاً، حتى اتفق له أن جعل مقامه في الحصن وخَلاَّ نزول صَعْـدة، فكان بـه مقامـه ثابت لا يغيب عن عمارة الحصن ومن يعمل فيه إلاَّ يوم الجمعة فلا يـأمر فيـه بِعَمَل ويصيـر إلى منزلـه إلى القريـة، ويأمـر العمال بـالاستراحـة، فإذا أمسى راح الحصن، فكان كذلك يصل قـائماً على أصحـاب العمارة من الصنـاع، فإذا وجبت الصلاة قام فَصَلَّى وقعد، وكان في كلِّ مساءٍ يأتي مشايخ صُعْدة ومن بها من الشرفاء يمسّونه، ويقعدون في مجلسه، ويستفهمه من أراد استفهـامه من حلال الله وحرامِهِ، فمن مسألة تجري بين يـديه فيفيـد فيها، ومن روايـة حسنة يرويها لنا في بعض حديثه.

وبنو أبي الطيب في مَجْلسـه عن عبدالله بـن الحسن بن علي بن أبي طـالب صلوات الله عليهم أجمعين، وقـد جـرى الحـديث في بعض الأئمـة

عليهم السَّلام، قال: روي لنا عن عبدالله بن الحسن وهو أبو النَّفس الزكية أنه كان في شبابه من أفضل أهلِ بيته في ذلك العَصْر وأكملِهِم في العلم والأدب وسعة المروءة، وكان مُقِلاً من المال، فعرضت عليه والدتُهُ الزواج، فقال لها: وكيف لي بذلك، فقالت: آخطب إلى فلان ابنته ـ قد روى اسمه وبنته وأُنسيت ذلك ـ وكان أبوها من رؤساءِ قريشٍ وأهل الفَضل والجلال فيهم، وكانت ابنته قد تزوجت رجلاً من بني هاشم كثير الثروة والمال فتوفي عنها وصار ماله إليها، وخطبها إلى أبيها كثيرٌ من قريش وبني هاشم فكرهت الزّواج، فقال عبدالله بن الحسن لوالدته: أخشى أن لا تجيب إلى ذلك الامرأة أو يكرهني هو لما يعرفون مني من عدم المال، والنساء لا يَهوينَ إلاَّ ذا سعة في الدنيا، وهي إذ ذلك ذات مالٍ عريض وقد خطبها ناس كثير فلم يتهيَّأ لهم ذلك، قالت: يا بني افعل فلعل الله أن ييسّر ذلك، فنهض عبدالله بن الحسن إلى أبيها، وكان غير بعيد منه، كان منزلُهُ بالفَرش[1] مَفْضَى الشَاجة[2] بجنب جَبَلِ الأشعر[3] من شرقيّهِ، ومنزل عبد الله بن الحسن قريباً منه في السُّوَيقة[4]، فلما بلغ فَناءه برز إليه أبوها القُرشي فلقيه بالبِشر والكرامة وقال له: مرحباً بك يا ابن أخي وبحاجة دعتك إلينا، فلما اطمأن كلَّمه في حاجته، فقال له: والله يا سيّدي الشَّريف لو كان الرجال يُخطَبُون للنِّساء لكان مثلك يُخطب، ولكنّها امرأةٌ قد هي أولى مني بنفسها إذ هي ثيبٌ وأنا رسُولك إليها فمضى أبوها إلى ابنته، فكلمها، فقالت: رأيت يا أبه لو رغبت بنفسي عن الناس كلهم لما رغبت بها عن عبدالله بن الحسن، فقال لها: يا بنية فإذا قد رضيت وأوجبت فما نحب أن يمسي بفنائنا ضَيْفاً، وقد له أهلٌ عندنا، فقومي في أهبة ذلك إلى اللّيل، ورجع

---

(١) الفرش يقال له فرش ملل والفريش مصغرة معروفان قرب ملل واد بطريق مكة على أحد وعشرين ميلاً من المدينة، وكان بهما منازل وعمائر «وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ١٢٨١».

(٢) الشاجة بالجيم المشددة ماء يثج بحرض وبحراض ناحية أخرى «وفاء الوفاء ١١٦٥». وحرض هنا واد من وادي قناة من المدينة على ميلين.

(٣) الأشعر: جبل جهينة ينحدر إلى ينبع «المغانم المطابة ١٦».

(٤) سويقة تصغير ساق موضع قرب المدينة يسكنه آل علي بن أبي طالب «المغانم ١٩١».

إلى عبدالله بن الحسن، فأعلمه بإيجابها وقعد معه وأكرمه من الكرامة بما يَسْتوجب من أفضل ذلك، فلما جنّهم الليل قال له: يا أبا محمد هل معك شيء تسلمه لامْرَأتك، فقال: لا والله ما أتيت بشيء ولا معي حاضراً أدفعه غير ثوبي هذا فأخذه أبوها منه، وقال له: قم إلى أهلك فإنّا لا نَسْتحسن أن تمسي عندنا ضيفاً وعندنا لك أهل، وأخرج له من منزله ثياباً فكساها إياه وزيّنه بها لعرسه بابنته، وكانت امرأة عندها العدة كلها، فلما قامت في أهبتها وجدت كل شيء مُحْضراً، فأقام معها في خير مقام وأحْسَنه، بذلت له مالها وأصفته ودّها، فلما بعد ذلك بحِينٍ عزم وفد من بني ابن أبي طالب ومن سائر قريش بالوفادة إلى الخليفة وكان ببغداذ، وكانوا إذا أرادوا التوفد من الحجاز جاؤوا إلى عامل الخليفة بمدينة الرّسول صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم، فأوقع الوفد أسماءهم وأنسابهم وأحسابَهم، ووجه بها العامل إلى الخليفة مع غيرهم من يسبقهم، فإذا وصلوا دعا كلاًّ باسمه الذي يوجد مثبتاً فيها فعاب عبدالله بن الحسن على نفسه أن يُقيم في مالها بلا أن يكتسب سواه فعزم على النَّهض معهم، فلما رأت عزمه أمرته أن يأخذ من مالها ما يتجمل به من شراء المركوب والخدم فَفَعَل ذلك، فوصل إلى عامل الخليفة بالمدينة مع الوفد، وأمره بإثبات اسمه وكتب أسماءهم واطرح اسمه مضارَّة له إذ كان ممّن يذكر بالفضل والعلم واستحقاق المقام، ورفض الآثام، وكانوا يحسدونه لذلك، فسار الوفد وسار معهم، فلما وصلوا باب الخليفة دعى كلٌ باسمه ونَزَلوا في المنازل وجرى عليهم الجرايات ولم يدع به، ولم ينزل إذ لم يكن له اسم مثبت في جريدة الوفد، فلما رأى ذلك مال بنفسه وصحابته وخدمِهِ، فنزل في بعض المدينة الذي بها الخليفة، وكان من الغد وافق الجمعة ولبس ثيابه، وتطيب وخرج الجامع الذي بالبلد فصلَّى ثم قعد إلى اسطوانة في مؤخر المسجد، فدنا إليه من كان قريباً منه من مهابته وجلالته، وسألوه في الحلال والحرام، ولا يُسْأل عن مسألة إلاَّ أجاب فيها بجواب قاطع، وشرح حسن، وكان يسمى لَمَّا بلغ في العلم علاَّمة آل محمد، وكان قريباً من مجلسه في مؤخر المسجد أخ للسلطان صاحب نسك، قد خرج يوم الجمعة، فلما رأى ذلك

منه دنا إليه وتولّى الحديث معه والمسألة، فأعجب به ولم يفارق مجلسه حتى قلّ جلساؤه، ثم قال له أخو السلطان: أظنك من أهل الحجاز فقال له: نعم فسأله عن قدومه وخبره فأخبره بذلك، فقال: أحب أن تمضي معي إلى الخليفة حتى تصله وأذكر له خبرك، فلما صار في الدهليز تقدمه إلى أخيه فأخبره بحاله وما جرى عليه، وقال: لم ينزلوا الوفد الذين قدموا من الحجاز، فقال له السلطان: وما ذاك، قال: الوفد الذي هو الوفد في جفا[1]، وهو عبدالله بن الحسن، وقد سألته الدُّخول معي إليك لئن يبين لك حاله، فقال له الخليفة: قدمه فقدمه فأجل حاله الخليفة، ورفع مجلسه، ورحَّب به وأبلغ في المعذرة إليه، وأمر أن ينزل في أرفع منزلة، فلما نهض من بين يدي الخليفة، قال له أخوه: والشريف أيّد الله الخليفة من أكمل وأفضل مراتب إلَّا أن فيه عيباً لو خطئه، فقال الخليفة: وما ذاك قال هو يرى أنه مستحق للمقام، فأطرق الخليفة، ونهض، فأتبعه أخوه يخرج معه، فلما صارا في دهليز الدَّار وَحْدهما قال له عبدالله بن الحسن: بئس الشَّفيع أنت ما أردت أن توقع في قلب الخليفة إلَّا بغضتي فقال: نعم الشفيع أنا والله ما علمت شيئاً أتنكاه ولا نفعاً أنفعك به أعظم ممّا فعلت، فقال له عبدالله بن الحسن: وما أردت بذلك، فقال: كيفما حلَّ موضعك وعَظُمَ في قلب الخليفة خوفُكَ كان على قدر ذلك عطاؤك ونفعك، فأقام عبدالله بن الحسن في أعظم كرامةٍ عند الخليفة يحمل إليه ضعفي ما يجري على الوفد، فلما أذن للوفد ووفدوا أمر الخليفة لعبدالله بن الحسن بضعفي ما سلم إلى الوفد، وراحوا الحجاز فلما أن قربوا من وطنهم تقدّموا على الركبان إلى أهاليهم، ونقلهم يتبعهم، فلما قرب من منازله عبدالله بن الحسن دار في نفسه إلى والدته يقصد أو إلى امرأته، وذكر حق الوالدة، وفرضها وإلى امرأته وذكر في نفسه حقها وما لديه لها من الأيادي واختيارها له وبَذلها مالها له واتصافها من جميع أحوالها، ثم قال حق والدتي حَقّ الله فأجمع رأيه على أن يبدأ بالسلام على والدته، فلما قارب منزل أمِّهِ بشَّرها

---

(١) كذا.

من خدمِهِ به من سبق إليها فدنت إلى الباب وأغلقته قبل وصوله فلما أناخ قرع الباب فسلمت عليه، وقال: افتحوا لي، فقالت: يا ولدي قد مَنَّ الله بسلامَتِك ولابنة عمّك حق يقتضي أن تبدأ بالسَّلامِ عليها، وقد أقسمتُ أن لا قدمت منزلي حتى تبدأ بامرأتك، فأخبرها بسفره وجميل صنع الله به وثور[1] إلى منزل امرأته فلما دنا منها سبق إليها من خدمها من بشَّرها، فأمرت أن لا يفتح الباب ودنت منه فاستفتح الباب فكَلَّمته، فسلَّم عليها، وسلَّمت عليه وقالت له: يا سُبْحان الله أما علمت حق الوالدة، ما يَنْبغي أن تدخل إلينا حتى تقضي حق والدتك، فأخبرها أنه قد فَعَل وأن والدَته أقسمت عليه أن لا يدخل عليها حتى يدخل منزل امرأته ففتحت له، وهذا ما روي لها من خبره.

قال الحسين بن أحمد: وورد إليه من أوليائه من يحمل مديح رجل من أهل صنعاء للسلام عليه ويقرن الزيدي في بعض المديحة، وكان الزيدي في أول ولايته قد أولى النَّاس من العدل بأمر الإمام عليه السلام والنصفة للنَّاس والقيام بهم في صلاح الرعية بما سَرَّ الإمام والأنام، فقال سلامة[2] بن الحداد[3]:

قَسَّم القاسمان فينا الأمانا ... فَبلغنا من الصلاح رضانا
وأزالا دهراً أُدِيل علينا ... وعليه برأفةٍ دولانا
أمَّنا سِرْبَنَا وصانا حمانا ... وأخافا[4] من كان قد أشجانا
وأعَادا مذاهب العدل فينا ... وأزالا الطغات والطُّغيانا
مَنَّ ذو العرش بالإمام علينا ... إن ذا العرش لم يزل مَنَّانا
حسنيّ أتى فأحْسَن فينا ... والحُسَّينيّ زادنا إحْسَانا
نِعمٌ بعضُها على إثر بعضٍ ... قد سررنا بها وساءت عدانا

---

(١) كذا تقرأ هذه اللفظة وهي خالية من النقط.
(٢) مطلع البدور «سلام بن الحداد».
(٣) أوردها صاحب مطلع البدور.
(٤) الأصل أذاقا وأصلحناه من المطلع.

نحمد الله ذا الجلال فبالحمد ... يُرجِّي جميل[1] ما أولانا
زمنٌ صالح وأَمنٌ وخفضٌ ... لم ير الناس مثل هذا زمانا
لا ولا عاينوا وليَّيْ أمورٍ ... كوليِّي أمورنا مُنْذُ كانا
هل رأيتم إمام حقّ كهذا ... وكهذا في دهره سُلطانا
هاشميين أبطحيين شَادَا ... ما ابتنى أَوَّلُوهُما وأَبَانا
ذاك يقفو النبيَّ علماً وحلماً ... وأناةً ورأفةً وبيانا
ومضِياً إذا رحى الحرب دارت ... واعتزال الهوى إذا الحقُّ بانا
قد عَرَفنا جلالة العزَّ فيه ... ورأينا بذلك البرّ هانا
غير أن الإله ما اختصّ بالوحي ... من الناس بعدَهُ إنسانا
وحكى ذا في العونِ منه علياً ... ذا المعالي فما ونا إذ أعانا
قام من دونه وحامى عليه ... ومن الأمر وطد الأركانا
هو من دونهِ حتوف الأعادي ... وأمانٌ لمن يروم الأمانا
وكذا كان أحمد البرّ برّاً ... وعليٌّ يُنازل الأقرَانا
أمَّنَ المسلمين شرقاً وغرباً ... وشآماً بيمنه ويمانا
أجمع الرأي ثم سار لنجران (م) ... فغشى حِيَادَهُ نجرانا
سار والنصر يقدم الرّاية ... والتوفيق يقفو مسيره حيث كانا
قاصداً للعداة منهم بمحوٍ ... يتغشّى السهول والأحزانا
تطرد الوحش كثرة فنراها ... وهي بيتان من مكانٍ مكانا
تلمع البيض والمخارص فيه ... والمذاكي تخالها عقبانا
فيلقٌ خلف فيلقٍ ورغانٌ ... من أُسودٍ يتلو هناك رغانا
لم تجرهم معاقل العزّ منهم ... فاستخاروا الصّغار والاذعانا
منهم من أتاه قسراً ومنهم ... من تولّى واستقبل الغيطانا
وتولى دخامس هرباً في الأرض ... يفرّوا الآكام والعقبانا
ليس يلوي على حريم ومالٍ ... وهو يبغي في كل حي أمانا
خيلوا من جهالة أن يفوتوا ... ماجداً نال مجده كيف كانا

(١) نسخة تمام «من هامش الأصل». وكذا في المطلع.

ولشتان بين من مُنِح النصر وقوم تَعَرَّفوا الخذلانا
أنتم معشر أبى الله إلاَّ أن تكونوا لأمره أعْوانا
وبكم أكمل الإله لنا الدين وإن كان بينكم دنيانا
أولوكم لأولينا هداةٌ وبكم قد نراه أيضاً هدانا
فبقيتم على الزّمان فإنا ما بقيتم لنا نُذِل الزمانا

قال: وورد إليه في أيامه تلك الحسين بن أحمد العنسي، وكان من أفاضل عنس والمذكورين في الأنام، ومن يقود حاجهم إذا خرجوا للحج، فوصل بكتب من عنس كافة يسألون الإمام عليه السلام أن يصير إلى بلدانهم ويطأ أوطانهم ويرتب الولاة عليهم، وكانوا من أعزّ أهل اليمن، وأكثرهم خيلاً وعدةً ولم يكن على بلدهم سلطان، ومع ذلك إنهم شيعة لآل محمد، فردّ عليهم في جواباتهم أنه يسعدهم إلى ما سألوا عند فراغ وجهه.

وسألناه عن رواية رويت عن جده القاسم بن إبراهيم عليه السلام أنه صحبه إنسان شيعي فلما خلوا اغترّ الإمام فأنشط في حلقه وتراً معه، فقطع الإمام القاسم بن إبراهيم الوتر بمبرأة كانت معه وقتله فسألناه ما صحّة ذلك، فقال لهم: ما نعرف هذه الرواية ولا روى لنا أحد من سلفنا أنه قَتَل في عصره أحداً ثم ذكر أباه إبراهيم بن إسماعيل، فقال: كان أبوه إبراهيم ابن إسماعيل بوادٍ في شامي ينبع يسمَّى الفيض[1] يغمر بعض ضياعه، وكانت قد ظهرت دَعْوته وشهر استحقاقه للمقام، فكان الخليفة يخافه لذلك، فلم يزل يعمل فيه حتى أرسل من أحاط به في ضيعته، وهو في غفلة من أمره فَقُبِض عليه السلام ومضوا به حتى أوصلوه الخليفة فلما وَصَلوا جعلوه في السجن، ـ والخليفة يومئذ ببغداذ في سجن العامة ـ وطولوا سجنه، وأثخنوه بالحديد، وكان أخذه وولده القاسم حَمْل في بطن أمه فأقام في السجن سبع عشرة سنة ثم عمل فيه رجل من شيعته من أهل المدينة مع بعض الحباسين، فلما أسْعفه واستخرجه في ساعة غفلةٍ من الناس، وكان شيعيُّه هذا حطَّاباً والحطب هنالك يجمع ويحتكر حتى ربّما اجتمع عند

---

(١) كذا في الأصل ولعله «العيص» من أودية المدينة انظر «وفاء الوفاء ٤ : ١٢٧٠».

صاحبه مثل التل فعمل وسط ذلك الحطب بيتاً من الحطب، وفيه مصَالحه ثم أدخله إيَّاه، فلما فقد من الحبس طلب وحُفظت أقطار الدنيا عليه وقلبت المدينة كلها خرابها ودهاليزها ومنازلها، فلم يجدوه مع سترِ الله وعونه لوليّه، فأقام في ذلك الحطب سنة فلما دار عليه الحول اكترى له صاحبه في الموسم مَحْملاً وجعل كراءه لامرأة فكان في ذلك المَحْمل يحجبُ ويُصَان كما تصان الامرأة حتى وصل مكة ودخل في الناس وتنكر وخرج يتلمس أهله وأولاده، وكان ولده القاسم لما ولد بعده شبّ ونشأ أديباً لبيباً عالماً جواداً فانتقل بأهله إلى جبال الأشعر[1] وتحرّز فيها من الظالمين، فلم يزل أبوه يسير حتى وَصَل منازل أهلِهِ فأتى فِناء ولدِهِ وَوَجده قاعداً في حَلَقة في جماعة وهو فيهم مَنظوراً إليه مردود مجلس الجماعة عليه فتوسَّمه، فقال: إن كان عاش ولدي فهو هذا فَسَلَّم على الجماعة فردّوا أحسن التحية عليه، وقال من أنت يا غلام، فقال: أنا القاسم بن إبراهيم، قال فأين أبوك قال في رَحْمة الله، قال فأنا هو، قال غَلطت، قال: ليس كما قلت إن له منذ قبض وقتل ما يداني العشرين السَّنة، قال: فأنا هو قد حبست وطال ذلك وسَلَّم الله، ثم أخلاه من الجماعة ثم سأله أعاد عمتك فلانة وأمك فلانة وأختك وَسَأله عن أهله، فقال له: دَعْ عنك هذا فإنه ربما يأتي بعض مردة بني آدم بمثل هذا، ولم يقربه إلى معرفة قال: إمض إلى أهلك فاعلمهم بما ذكرت لك، فمضى إلى أهله فأخبرهم بخبر أبيه ونكرته له، فقالت له أمه: على أبيك علم لا ينكر، قالت في صَدْره ضربتان بسيف معترضتان على ثديه أثرهما لا يغبأ، فإن كان ذلك فهو أبوك فعاد إليه فقال له: في صَدْرِك ضربتان أثرهما بادٍ، فقال: نعم فأراه ذلك فلما رآه حق معرفته وتبادرت عيناه لذلك، واعتنقه وقدّمه إلى أهله فلم ينكروه حين رأوه، فهذا ما يجري على الصَّالحين في حُب الله من أعدائه.

وكان بنو الطيب قد قَصَدوه وأتوا بمال لهم معونة له على الخروج إلى تهامة، وسألوه أن يجعلهم ولاتها إذا افتتحها فأوجب لهم ذلك، وسألوه تعجيل انحداره تهامة، فأرسل إلى جنوده أهل اليمن وأهل طاعته يشاورهم

---

(١) الأشعر جبل جهينة ينحدر على ينبع «وفاء الوفاء ٤: ١١٢٦».

في ذلك، فرجعت كتبهم إليه: يا سيّدنا الأمر أمرك ولا نتأخر عما تأمر إلاَّ أنا كما حطَطْنا من سفرنا من غزاة نجران، فأمهلنا يا مولانا أو نصلح خيلنا وركابنا، وعددنا، وكتب إليهم قصيدة مع كتبهم، نسختها:

طَال الثوَّاة بصعدةٍ وعِيان ... فمذاب والأجراع من شجانِ[1]
حولاً يحرم لا يهم بنيةٍ ... يَدعو لِمُبتعدٍ من البلدانِ
فَهَل الزمان مساعف لموَاشِكٍ ... يقصُو ويقربُ مَرةً وَيُدَاني
ناطته همته لأعلى مطلبٍ ... لا يستفاد من الخلي توانِ
فنأى وأخلى من ونا في رأيه ... وأضاف ظن الخير في قحطانِ
السَّادة الغر الكرام أولو النهى ... أهل العفاف ومعدن الأديانِ
سقياً لهم من معشر نالوا العلا ... وتمسَّكوا بالواحد المنانِ
أصبحت من سيَّرتُ في أوطانهم ... مني السَّلام فسلموا بأمانِ
وجعلت مع رسلي إليهم دعوة ... تُحظِ المجيب لها بأعظم شانِ
سمع العبادُ لها فكم من ناصرٍ ... لجوابها كالواعي اليقظانِ
ما بين دَاجٍ أن يتم له الهدى ... ومنافقٍ قد نِيط بالعصيانِ
أما أجبتم دَعْوتي فتأهبوا ... لهبوط بيشٍ[2] منزل العَبْدانِ
فيهم مغانم لا تحل لجمعنا ... لو كان كالحيين من كهلانِ
هذا لنا حول نهمُّ بأرضهم ... وتَعُوق عنه عوائق الحدثانِ
لولا دناة الناكثين وغدرهم ... ودبيبهم بالمكر والبهتانِ
ما تم للعبدين ما حظيا به ... من حوز ما ملكا من البلدانِ
وونا رجال لا ونا في حالهم ... بل غفلة دامت وطول توانِ
ومحبة للخفض في أوطانهم ... وصيانة بالأهل والخلانِ
وأقارب دون القرابة قربهم ... كالكارهين لدَوْلتي ومكاني
لا عن يد قدمتها مذمومةٍ ... إلاَّ التجاوز عن أذى الإخوانِ
فالمغتلين بنسبتي وصحابتي ... كالتابعين محبتي بسنانِ
والبيت لو شهد النبيُّ فعالنا ... لبقى مقاطعنا من الإحسانِ

---

(١) شجان بلد ذكره الهمداني من جهات مذاب «صفة ١٦١».

(٢) بيش: واد كثير الخيرات من مخلاف حكم بتهامة «صفة ٩٨».

ولقال للباغي مقالة ناصح ... هل لا اتقيت وعُذت بالرَّحْمانِ
ما عاد لي إلاّ الرحيل مجانباً ... لجميع ما سكنوا من البلدانِ
ولقد علمت بكم وكم من غادر ... ومُعاهدٍ لم يُوف بالأيمانِ
فآذن ستُعقبُ فرقتي من خانني ... من فتنةٍ وجوائحٍ وهوانِ
تُرْدي لها كم من كمي صارمٍ ... ويموت قتلاً كم من الضلانِ
ويَدُور مغبر الزمان عليكم ... فلكم إذا حظيوا به من فانِ
إنّي نذير العالمين لو آنهم ... فازوا بسُعْد نَذَارَتي وبياني
من غفلةٍ تغشى أكابر جمعهم ... ومصائبٍ تترى بنَحْس زمانِ
يا أمةً جهلت معالم دينها ... وآبتاعتِ الشهوات بالأديانِ
لو قمتموا لِلَّه حين غضبتم ... دون المراد لفزتُمُ بجنانِ
لكنكم لم تغضبوا لحريمه ... وغضبتموا لمواكل وأمانِ
من لم ينلها منكم عادى لها ... وأثار حرباً نيط بالخِذلانِ
أبِذا أتاكم أمرُهُ فتَبِعتموا ... أمر الإله فكيف بالبرهانِ
لو كان لي في الحق عنكم مهربٌ ... لهربت دون تكلف الأحزانِ
وتحمل المكروه ممن خَصَّني ... منه الأذى من قاصي ومُدانِ
أين الأولى عبدوا الإله بزعمهم ... وتمكنوا في اليُمْن والإيمانِ
كي تسعدوني أو تكون ببلدةٍ ... من دونها خوفٌ وبعد تداني
فالموت أقربُ من يحل بأرضنا ... وإخَالُهُ من أقرب الجيرانِ
والله يعطيني بحسن طويتي ... ما قد رجوت فلست بالخوَّانِ
ويهين أعدائي الأولى كفروا به ... فبكفرهم بَعُدُوا من الرضوانِ
أقسمت لا فارقت من عاهدته ... متبانئاً(١) للوعد حولاً ثانِ
حتى يجول الناس دون عشائرٍ ... أرجو بنصرتها صلاح الشانِ
فإذا تلوّمت الجميع فلم أدع ... للّوم من سَبَبٍ لمن يَقْلاني
رغب المطي معرباً لمسيره ... نفسي ولست عن المسير بوانِ
حتى أعود إلى محل حلّه ... خير البرية من بني عدنانِ

(١) كذا في الأصل.

في حـوزة العـرب الكـرام أولي النهى حـرب الحـماة ونـعـم مـن والاني
لله دَرّهــم فـمــا فــارقــتـهــم عن بُغضَــةٍ عُلِمَـت ولا بِهَـوَانِ
لكن لصون عشيرتي من حربهم ورجا الصَّلاح بهم فهم إخـواني
فـإذا يُفـاوتني الـرجـاء ففيهم عـوض يسرّ الصـدر من أحزانِ
إني لأرجــو أن أسـرّ بقــربهم وبِقـرب مـا فـارقت من أوطـاني
ويبينُ عُـذري للبـريـة كلهـا حتى يشيـع بـقــاصي البلدانِ
والله يعـطيني بحُسن طـويـتي فـوق الـرَّجَـا وَمَـا رجـائي بفـانِ

تمّت بمنّ الله ولـطفه وحسن تـوفيقه فله الحمـد كثيـراً جـزيـلاً بكـرة وأصيلاً.

ووفد إليه في هذه الأيام وفد من خثعم منحدرين إلى تهامة فلمـا وَخّرَ سفره أذن لهم بالانصراف إلى بلدهم، وكان أولاده بتـرج، فبلغه كتـاب من ولده الحسين[1]، وكان من أصاغر أولاده يشكـو سليمان أخـاه أنه يسيء بـه ويجفوه وكذلـك بلغه من سليمـان شكية من الحسين، والحسين أخ لجعفـر من أمه.

فكتب الإمام عليه السـلام في آخر كتـاب كتبه إلى سليمـان في فصل منـه، وسليمان أكبـر سناً من الحسين يقـول فيه: يـا بني قد شكـوتَ أخـاك الحسين ولا أُحبّ منـك أن تُجـاريـه في شيء ولا تجـره عليـك فهـو صبيٍ والصّبي يكون ضعيف العقل قليل الصَّبر فَعُـد عليه بعقلك وعلى صغـر سنهِ بكبر سنّك، فمثلك عاد على أخيه وابن أبيه وجدِّه بـالرفق رَفَقَ الله بـك وبه وجمل أموركما وألف بين قلوبكما على البـر والتقوى، وقـد كتب إليَّ أخوك يشكوك فاكتب بالعذر إليه وبالتَّهنية في مولـودٍ له قـد سَمَّيناه محمـداً عرفكم الله بركته.

وكتب إلى ولده الحسين كتاباً يَعظه في جفاء، أخيه يقول فيه: يـا بني قَدَّمت الجفوة من صغرك، فأصلحك الله وبلَّغك أفضـل أملِكَ بمنِّهِ وطـوله،

(١) هو الإمام المهدي بعد ذلك.

وذكـر لي أصحابنـا أنه يجـري منك لأخيـك منك جفـاء ومن قلة[١] سماع، وهذا يا بني ما لا يحسُن لك، إن من الواجب مراعـاة الصغير لمن هـو أكبر منه، فراع أخاك وقدره يُرَعك ويُقدِّرك، فقد رأيت تقديره لأخيـك جعفر حيث هو أكبر منه، ولا تكونوا كَجُفَاةِ البَوادي ومن لا أدب له ولا عقـل معه، والله يُعيـذني فيكم أن تكونـوا كذلـك، وآحـرص يـا بني أن لا أسْمـع عنـك إلاَّ بكلامٍ جيدٍ أفرح به، وأشكرك عليه، وقد ولد لأخيك ولد[٢] مبـارك عرفكم الله بركته جميعاً وألحق الجميع نفعه، والسَّلام.

وكتب إلى الشَّـام كتباً منهـا كتـاب إلى أبي الـطيب داؤد بـن عبـد الرحمن الحُسَيْني نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم، من بعد الصّدر يقـول في فَصل منـه: وممّا وقفت عليه منا أميت[٣] إليه في حالِ أفراد الكتب والقوم فنعم القوم - يعني بذكل أهل طاعته باليمن - إلاَّ أنهم لبسوا البعد[٤]، وقد تجشموا معي مـا لم يكونوا يحسبـون أنهم ينالـوه ونجران وصَعْـدة وتهامـة عندهم بـلاد بعيد[٥]، سِيّمـا تهامـة لأنهم يخشون بهـا الوبـاء، والقوم فنعم القـوم مع غـالـب طمع فيهم، وقـد أرجو أن يبلغنـا الله المأمـول، وذكر سَيّـدي أدام الله عزة مـالـه وأباح محبة إنفاقه، وما أعلم أنه أرسل به إلاَّ للإنفاق عند وقت الحاجـة إلى ذلك، وقد نرجو أن يفتـح الله بخير، وإن نلتم إلى ذلـك الوقت مـا يوصـل الجيش إلى جانب تهامة وعسى أن يكون ذلك بالبلد ما يحمل مؤنته إن شاء الله تعـالىٰ، فلا يكـون لسيّدي أعـزّه الله تعالىٰ هم من سيـدي ولديـه فهمـا بحمد الله تربيا من حلا[٦] بأرضه ويظهر أن كل شوح[٧] تولَّى به وقـد بنو[٨]

(١) كذا واللفظة مكتوبة هكذا «ومن واقلة».
(٢) نسخة «ابن» من هامش الأصل.
(٣) كذا.
(٤) كذا.
(٥) كذا.
(٦) كذا.
(٧) كذا.
(٨) كذا.

بنوه، وقد أضامنا، وطابت أنفسهما بالمقادم وليس هذه الخمسة الأشهر الباقية إلاَّ كيوم مع العافية، والسلام والاستمكان من المصلحة.

وأتاه يوماً خَصْمان من أهل طاعته قد طالت النزاعة بينهما في حصنهما عند القضاة والحكام، وذلك في شُفْعة طلبتها صبية بالغ وادعى المشتري أنها قد ضيعت شفعتها وأنها قد جاوزت حدّ البلوغ فلا يجب لها إذ ذلك شفعة، وأتى وكيلها بالشهود على نساء يشهدن بأنها طلبت شفعتها ولم تبلغ بعد، وأتى بعدالتهن في ذلك وأتى كل واحد منهما ببينة في طول نزاعهما واستماع الحكام لهما، فاَستمع أقاويلهما حتى أتى على جميعها واستفهم كلاًّ عن نفسه وبينته، ثم أخذ قرطاساً وكتب فيه الحكم في ذلك نسخة الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم، حضر إليَّ أبو رعيل محتسباً لخديجة ابنة أحمد القافل فيما تطلب من مال لها فيه شفعة نظرها[1] عن طلبها إن لم تكن بلغت وناكر في ذلك محمد بن يوسف وادعى أنها كانت بالغاً في وقت شرائه، فسألنا كلاهما البينة على صحة قوله فأتى أبو رعيل المنازع لخديجة هذه ابنة أحمد وللطالب لها شفعتها بشهادة معدلات أنها لم تبلغ في حال شراء محمد بن يوسف، وأتى محمد بن يوسف بمشهد نساء معدلات أنها ذات نظائر ولدن بمولدها وأنهن بلغن، فنظرنا في ذلك أقوالهما وما أوردوا في ذلك فلم يجدوا في ذلك أبلغ من هذه المرأة بنفسها لمعرفة كل إمرأة بحالها دون غيرها، فأوجبنا لهذا المرأة أن يكون القول قولها مع يمينها على ما يَدَّعي من أن لم تبلغ إلاَّ في حال طلبتها لهذه الشفعة، وأما ما تَناكرا فيه في حال البلوغ وبلوغ النظير في الميلاد، فذلك حال متفاوت ولا يتفق لكل طبيعة وغريزة يحكم بعضها على بعض، وقد وجب لمحمد بن يوسف هذا على خديجة ابنة أحمد اليمين على دَعْواها على البلوغ وأنها لم تبلغ إلاَّ في حال ما طلبت شفعتها ثم لها ما طلبت، وله قبض ما سلم في المال من النقد منها تاماً وافياً غير آجل وإن نكلت عن اليمين فلا حق لها قبله ولا شفعة لها عليه، وكتب القاسم بن علي

---

(١) في الأصل بصرها.

بخطه ما جرى بينهما به الحكم في شهر ربيع الآخر من شهور سنة تسعين وثلثمائة سنة.

وكان طول مقامه هذا في حصن الناصر عليه السلام وبما أمر من يَسْأل من يتجر في سوق صَعْدة بالحشائش والطعام وسائر من في السوق أن يعينوا غساً[1] أو غدينا بشيء من عمارة الحصن من تقريب آجرّه أو جصه أو خشبه، فيأتي من أهل السوق من يشكو المأمورين أنهم يقيمون من لم يأمر بقيامه ليطلبوا منهم مكساً على القرض[2] والحطب والحشائش التي يوردونها.

فكتب الإمام عليه السلام كتاباً، وأمرني أن أنهض به في السُّوق فأقرأه بعد أن أمر أن يجمع كل أهل عليهم في كل سوق من أسواق القرية نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم، معاشر الرعية من تجور[3] هذه المدينة أن قد كثر شكيتكم لنا وتظلمكم منا ولَسْنا عنكم بمحجوبين ولا إذا لكم[4] بمحبين ولا نطلبكم بمزيدين وقد جمعنا وإياكم بلد لا يَسْتغني فيه بعضنا عن بعض، ولنا أعوان لا يزالون يطلبون لنا منكم عون الجار لجاره من حاجة تشترى أو حلقة[5] تقضي أو معونة تبتغي أو زكاة تؤدى، فمن طلب إليه أعواناً في شيء من ذلك فليطالبهم بصحة الأمر منا وبالحجة لاعتراف بما صيّر إلينا، فمن لم يفعل ذلك ونالته مظلمة فلا يلم إلاَّ نفسه فقد أعذر من أنذر، ولم يجز[6] من حذر إلاَّ وقد أنصف الرعية من لم يحتجب عنها، ومن مكّنها من الخطب عن مكروهها ولم يجعل الكبر لقاءه لمن يحب الانبساط منها ألا فمن أتاه مكروه فمن نفسه والسَّلام.

---

(١) كذا ولم تتضح لنا العبارة.
(٢) القرض نبات معروف يستعمل لدباغة الجلود.
(٣) أي شكا الجور وهو الظلم.
(٤) كذا وربما كانت هكذا «أذيتكم».
(٥) كذا ولعلها خلة.
(٦) اللفظة بدون نقط.

ووفد إليه في أيامه هذه من مدينة الرسول صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم رجل من الحسنيين من بني مسلم يقال له الحسين بن أبي الحسن ابن مسلم، وكان من ولاة المدينة وسلاطينها، وكان بينه وبين ابن عمّه المهنّا[1] بن أبي هاشم قطيعة وفتنة حاز المهنا البلد دونه، وكان خدمه[2] للشريف وصحابته شكل من المياية[3] فبرّه الإمام عليه السلام وأنزله خير منزل، وامتدح الإمام الشّريفُ بشعره، نسخة الشعر:

رحل الأحبة غدوةً وتحملوا ... وجرى ببينهم غراب يحجل
عود الصباح أبان وشك فراقهم ... مذل لعاتب ما يحن مكبل
رَحلوا فأصبحت الديار بلاقعاً ... زُمراً تحث بهم حداة تزجل
ضُعن عدون من الغريض[4] قواصداً ... للفرش[5] أو صفر[6] فعدنة[7] قفَّل
جَعَلوا عقاباً والسّقاية دونهم ... والعَرضتين وما حَواه الصّلصل[8]
حتى إذا قطعوا الضبوعة[9] وانتحوا ... ضربوا القباب بها ضحى وتنزلوا
فظللت في عرصاتهم[10] متفجعاً ... والعين من أسَف عليهم تهمل
استخبر الدمن التي قد أصبحت ... قفراً تحن بها الظبا والشمأل[11]
بالفيض من ملل[12] سقت ضَلَاتهم ... وطفا بحاديها السِّماك الأعزل
غر أعاديه يكفكفها الصبا ... طوراً وينجدها النحوب فتَسْحل

---

(١) شفاء الغرام ٢ : ٢٢٣.

(٢) كذا ولم نتبين المعنى.

(٣) كذا ولعلها المباينة.

(٤) الغريض واد بالمدينة (المغانم المطابة : ٢٦٠).

(٥) الفرش (سبق).

(٦) صفر محركة جبل أحمر من جبال ملل قرب المدينة «المغانم : ١٢١٩».

(٧) عدنة : بالنون محركاً موضع من الشربة وهضبة بالفريش «وفاء الوفاء ٤ : ١٢٦٣».

(٨) الصلصل : بالضم ثم السكون موضع على سبعة أميال من المدينة «وفاء الوفاء ٤ : ١٢٥٣».

(٩) الضبوعة : اسم منزل قرب المدينة عند يليل «المغانم : ٢٢٧».

(١٠) في الأصل عراصاتهم.

(١١) الشمأل : ريح الشمال.

(١٢) ملل بالتحريك اسم موضع على بعد ثمانية وعشرين ميلاً من المدينة من ناحية مكة «المغانم : ٣٩١».

فكأن رجع البرق في حجراتها | لمع الصفائح للضِّراب تسلل
فشربت من غصص الفراق (. . .)[1] | فيها عصارة مايمج الحنظل
فدع اللجاجة في الهوى لذوي الهوى | وارحل قلائص سيرها يتنخل
عيدية أحد المحال تقاذفت | بذوي هموم والهموم ترحل
فإلى أمير المؤمنين رحلتها | تطوي الفلاة بنا سواهم نحل
مثل الأهلة لاحهن ولاحنا | بعد المفاوز سبسب أو مبهل
سدم النطاق إذا وردنا جوه | عاف يظل به الشّذا من يغسل
حفت مفاوزه بكل تنوفة | غبراء نازحة المفاوز مجهل
تقتادهن إليه حرف جرّه | وجنا تزول في الهجير وتذمل
خمراء ماثرة اليدين كأنها | من وحش دورة[2] أخدري أسحل
تدعى مذانب من عنيزة جادها | همع أحش من السعود مجلجل
فكسا الأجارع والربا متعكساً | خطلاً تظل بها المكاري تزمل
وكأن وشي الأرجوان تروسه | فلنوره شرح تشب وتذبل
فلدبه أذن يظل يجوزه | يَعلو الحداور قائماً يتنثهل؟
وتراه يتبع المراع بسوقه | وعفاؤه عن ميتة يتنسَّل
فرد يشد بطرده عن غابه | دنس الفحولة آيداً يتذبّل
حتى إذا يبس الربيع ونضبت | عنه المصانع واشمأز الهزجل
وانبت دعموص الغدير وأوقدت | نار الهواجر والعجاج النفحل
وكسا مواقعَ دفتيه من السّقى | نبل تراش من الرِّياح وتنصل
وتذكر القرب البطين وقلصت | منه الذلاذل فهو منه أوجل
فحدا حلائله وهيَّج ورده | ماء بأسفل ذي البجيل يشلشل
فغدا فأوردها ونير ضلوعه | خوف يكاد فريصه يتزيّل
حتى إذا شرعت جحافلها له | وعلى الشريعة أطلس متزمل
متشيرق الإضمار مخف شخصة | درب اليدين أبو عيال مطفل
فرمى فأنفذها شقاوة جده | فبدا يعضّ على اليدين ويُعْول

(١) لفظة لا تقرأ وكأنها هكذا «زجاد».

(٢) كذا ولعله وحش وجرة «ثمار القلوب: ٢٣٤».

فـانـصعـن ينشـر بينهـن مـلاءة غَبْـراء من رهـج العجاج تـرَعْبـل
وبـدا يشق نـداه أوسـاط الـربى والنقـع يَحْمـل والحصى يتصلصـل
وكـأنـه والـجهـل شيمـة رايـه دلـو تـفصَّت عـقـدهـا وتـحلل
فـأتـت أميـر الـمؤمـنيـن وأونـه عمق الفجـاج يكـل فيـه العَيْهَـل
بملوح خلف الغـمـامـة لم يـزل يـدعـو الإلـه ولم يـزل يتبتـل
ليـريـه مـولانـا الإمـام ومن بـه يشفى السَّقيم وكـل خيـرٍ ينـزل
علم الهـدى وعمـادُ دين محمـدٍ ابنُ النبي مـن الحـوادث مـغفـل
مسحـت أسـرّة وجهـه ميمـونـة فـأتى وهـذبـه العـروق مصلصـل
كـالبـدر بـان لتمّـه في سعـده طـلق اليـميـن جبينـه يـتـهـلَّل
نـور النبـوة قـد علاه ولم يـزل فـي مهـده بكـرامـة يتـنـقـل
فعليـه من شـرف الإمـامـة حلةً بيضـاء سابغـاً[1] المليك المُفضل
فـعـلى الـعـدو إذا رآهـا هـبـوةً وتـرى الـولي لهـا منيـرٌ يجـذل
فـبـعـزة عـزت مـعـدٌ كـلهـا وبـأمـره نَحـر الحجيـج وهَـلَّلوا
فـأتيت مـعتـمـداً عليـه لنُصْرة أرجـو أعـز بهـا وأرجـو أجـذُل
فضـلاً بغيـر يـدٍ إليـه تـقـدمت مـني سـوى رحـم بهـا أتـوسـل
فلقـد تـركت ببـطن يثرب صبيـة مثـل الفـراخ على طـريق بهـل
أرجـو النجـاح من الإمـام لعلَّني ببقـائـه لـهم بـعـبـرا نـوصـل

قـال الحسين بن أحمـد: فبينمـا نحن في مجلسـه عشيـة في مقـامـه بحصن النَّاصر عليـه السلام، إذ أتى من نجـران عبدالله بـن نوح، ويحيـى ابن سليمان بِبرٍّ من الأحلاف[2]، برّوه بـه من أموالهم وزكـاة أرسلها معـاهم[3] خـزان الإمام عليـه السلام سَلَّمهـا إلى الإمام عليـه السلام وكـان عنـده من

---

(١) كذا والقصيدة كلها ركيكة المعاني كثيرة التصحيف وقد أوردناها كما هي أمانة للنص وحفظاً له من البتر والحذف فيفهم.
(٢) الأحلاف: من قبائل بحران انظر سيرة الهادي: ٦٦.
(٣) كذا وهو من العامي.

أولاده اثنان وابن عمّ له وكانوا[1] أثرهُ من بلدة خثعم[2] فأخذوا البر فَفَضَّه بينهم بالسَّوية وأخذ الزكاة فأمر من يرفعها إلى الخازن.

وكان يحيىٰ بن سليمان وعبدالله بن نوح من خواص الإمام عليه السلام بنجران وشيعته، وكانا يرفعان إليه أخبار البلد فاستخبرهما عن أعلامهما وأحوال عشائرهما وولاتهما فخبّراه بذلك، ثم ذكرا له بَعْد ما فرغا فقالا: يا مولانا يا ابن رسول الله أتى البلد شيخ من عشائرنا أهل اليمن يقال له أحمد بن الريان، وكان وصوله إلى أصحاب له وقوم يعتمد منهم على قرائه وصداقه، وكان منهم شيعة لك فذكروا لنا أنه نهاهم عن دَفعِ الزكاة إليك وعن اعتقاد إمامتك، وأعلمهم أنك غير مستحق وأنك خالفت آباءك عليهم السَّلام، فقال لهما: أوقد بلغ رَكْض هذه الشيعة الرافضة إلى بلدانكم، قالا له - يا ابن رسول الله -: قد كان ما أعلمناك، قال: فلا جار الله له ولا لمن يتبعه، فوالله ما يُورد نفسه ومن يتبعه إلاَّ مورد فرعون اللَّعين الذي قال الله عزّ وجلّ فيه ﴿**فأوردهم النار وبئس الورد المورود**﴾[3] وما هذه الشيعة تنقم مني إلاَّ مثل ما نقمت الفارقة المارقة[4] على جدِّي علي عليه السلام، ومثلما نقمت الشيعة الرَّافضةُ لزيد بن علي عليه السلام، ومثلما نقمت الحمدانية[5] على الهادي عليه السلام، فليس هؤلاء إلاَّ الرَّافضة اليوم بأنزع علماً ولا أوسع مردةً وحلماً من أولئك بل هم دونهم، ودون دونهم، فذهبت لهم الأهوى وتقسمت منهم الآراء وتباعدوا[6] عن الآخرة فآثروا الدنيا واسْتَحسنوا أنفسهم واسْتمحلوا علومهم، واستقلوا دعاتهم واختاروا الخفض عن الجهاد، ورفضوا الأئمة الذين ذكرت لكم،

---

(١) في الأصل «كانوا» ولا معنى له.

(٢) خثعم: قبيلة كهلانية من ولد خثعم بن أنمار وبطونها أربعة شهران ونامس وكور وأكلب ومساكنهم جبل السراة «المقحفي: ٢١١».

(٣) الآية ٩٨، سورة هود.

(٤) يعني الخوارج.

(٥) يعني أتباع حمدان قرمط، وهم القرامطة.

(٦) في الأصل «وساعدوا».

فهل في قلوبكم أو قلوب أحد يَسْمع أو يبصر ويَرَى حَوْل آل محمد شك فيما رفضوا، فقال له وقلنا جميعاً: يا ابن رسول الله لا والله ما يداخل قلوبنا فيهم شك، قال: فكيف دخل قلوب أولئك وهم أولو عقول تامة وعلوم بارعة، وهمم عليَّة وعبادات كاملة وأرباب متعاملة، فقلنا له: يا ابن رسول الله الله أعلم، وأنت ممّا سألتنا، فقال: عند ذلك رفضوهم لمثل ما رفضتني هذه الشيعة اليوم، وإلَّا فما أنكروا مني ضعف علم فليست كتبي ولا علومي ولا من يشاهدني يَشهد لهم بذلك، مع أنهم لم يقطعني والحمد لله أحد منهم بحجة ولم يَنْصبوا نفوسهم ولا أحد منهم في مخاطبة، والله يبعدهم من ذلك، أم يعيبون قبح سيرة فليس يعيب قبح السِّيرة إلاَّ من سيرته وهم فلم يُسعدوا أن أسير بهم بل هم مني على وجوههم مولّون، وعن دَعْوتي مُدْبرون، ولو أنكر السّيرة منكر كان عليه أن يَسْألني، فإن بَيَّنت له ما التبسَ عليه ذهب خاطر الشك عن قلبه وإن لم أبيّن له وبان له منّي الخطيئة وجب عليه أن ينهاني عن ذلك ويذكرني، كما قال صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم «المؤمن مرآة أخيه المؤمن»(١) فإن رجعت كان له ثواب ذلك، وإن تماديت في الخطيئة خرج من طاعتي غير ملوم عند الله وعند البرية وعائذ بالله لنا من ذلك، وهم لم يعنوا أنفسهم بشيء من ذلك بل أصروا كما قال عزّ وجلّ: ﴿**واستكبروا استكباراً**﴾(٢)، فقال له عند ذلك: صدقت يا ابن رسول الله فيما ذكرت.

وكان أيضاً مِمَّا ذكر لهم: أن شيعة اليمن وعلماءه لم يقبلوا عليكم ولم يروك مستحقاً للمقام، فقال عليه السلام عند ذلك: فذلك والحمد لله لا ينقصني(٣) فعلهم ولا يقصر إلاَّ إيّاهم ليسوا(٤) بالعدمة(٥) ولا الدعاة فيشتبه على أولي العقول حالهم وحالي أنا وأهل بَيْتي فدونهم ودعاتهم، فإن

---

(١) أخرجه أبو داؤد ٤٩١٨ عن أبي هريرة.

(٢) الآية: ٧، سورة نوح.

(٣) في الأصل ينقضي بالضاد المعجمة.

(٤) في الأصل ليسبوا.

(٥) كذا.

أجابوا أخذ بخطئهم، وإن أخذتهم العزَّة كما قال عزّ وجلّ: ﴿**وإذا قيل له اتق الله أخذته العزّة بالإثم فحَسْبه جَهَنّم**﴾[1] الآية، فقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿**عليكم أنفسكم لا يضرّكم من ضل إذا اهتديتُم**﴾[2] فإن كان هؤلاء المتسمون بالشيع والعلم أكبر ممّن أجابني واتبع سبيلي، فهم المذمومون لقوله عزّ وجلّ: ﴿**وما آمن معه إلاَّ قليل**﴾ وقال ﴿**وقليل ما هم**﴾ وقال ﴿**وما نراك اتبعك إلاَّ الّذين هم أراذلنا بادي الرّأي**﴾[3] فقوله عزّ وجلّ ﴿**وما يؤمن أكثرهم بالله إلاَّ وهم مشركون**﴾[4] وفي آي كثير يشيعنا[5] عن قصصها لمعرفة أهل العقول لها، وأقول عند ذلك: اللهم أنت الحكم بَيْننا وبينهم، اللهم فالعنهم بما ظَلَموا وعاجلهم منك بما اجترموا، ودافع عن قدحهم سبيلك الأقوم إنك سميع الدعاء قادر على الأشياء، فسألناه عند ذلك كيف تجب مُعَاشرتهم فقال: أحب للمؤمنين أن يتجنَّبوا منهم كما يتجنب من أهل الكتاب إن أمكنهم، إذ شابهت أفعالهم أفعالهم، فذكر بعض من ورد عليه من شيعته من أهل اليمن اعتزال عبد الله بن عبيد الله الخراساني[6] وهجرته في الجبل واعتزاله عن الناس واجتهاده في عبادة ربه وحسن طرائقه الديانة، فقال الإمام عليه السلام عند ذلك: لا قلبني الله إلى المنقلب الذي ينقلب إليه عبد الله بن عبيد الله، والله لو بات قائماً وصلَّى صائماً ولم يفتر ليلاً ولا نهاراً من العبادة ما أغناه ذلك دون ما فرض الله عليه لنا من الهجرة إلينا والخدمة والمعاونة والمشاركة في الضراء والسَّراء والمعاداة لمن عادانا، فأكثروا الجماعة في ذكره[7] الرافضيّين، فقال رجل ممّن حضر المجلس: خلوا ذكرهم فقد ضلّوا وأضلوا كثيراً ولا تشتغلوا بذلك، فقال الإمام عليه السلام عند ذلك: لا والله ما نحب أن نترك ذكرهم بل يعابون ويلعنون بأفعالهم المخالفة للحق والمحقين.

وبلغه رسول عند ذلك من الهمدانيين باليمن بكتاب يشكون فيه تأخر

---

(١) الآية: ٢٠٦ سورة البقرة.
(٢) الآية: ١٠٥ سورة المائدة.
(٣) سورة هود الآية: ٢٧.
(٤) سورة يوسف الآية: ١٠٦.
(٥) اللفظة بدون إعجام.
(٦) ترجمته في مطلع البدور ٣: ٣٦.
(٧) كذا.

أرزاقهم وغَفْلة الناظر في أمورهم، وكان قد حضره بعض عماله بالناحية، ورفع إليه أعلام البلد، فكتب إليهم جواب كتابهم، نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم، أنتم أيها الأخوة تولَّى الله سلامتكم وأتم نعمكم، وصان من الأسواء مهجكم، من لا يجهل حقّه ولا يتساوده(١)، وقد وقفت كتبنا عنكم منذ مدة من الزّمان لا عن قلا لكم ولا كراهية لمكاتبتكم بل النفس إليكم يشهد الله طامحة والنية فيكم متجدّدة، ولم تتأخر كتبي عنكم واتصال أمري إليكم إلاَّ لاعتمادي على أخي وسيدي أبي محمد القاسم بن الحسين الزيدي أيّده الله تعالىٰ، فلما كان في هذه الأيام وردت علي كتب من ناحيتكم يشكو من أنفذها تعذر الأحوال، ووقوف ما وقف من أرزاق الجميع، فيعلم الله لقد غَمّني ذلك وساءني، ثم حقق لي ذلك كتاب وصل من الشريف يشكو تعذر الأحوال عليه، وعدم الواجبات في سائر مخاليفه، فلم أكذبه ولم أعذره إذ علمت أن التفريط ممّن قلده الواجبات لا منه، ولو عدم كل شيء لما عدم في صنعاء طرفاً ممّا يدفع به الوقت، لكن أغنتم من هنالك بعده واشتغاله، وقد عدت باللائمة عليه إذ ولَّى خراج بلدانكم من لا يقوم بأمانته ولا يؤمن من خيانته، فقد كنت ولّيت في عام أول من وثَّقت به وأكثر في ذلك قوم، وقالوا ولّيت أصحابي ليدسوا(٢) إلي من خراج البلد ما آمرهم به، ولَعْنة الله على من دعته نَفْسه إلى هذه الهمة الدنيّة، وبمن ظن ذلك وبإياي، والسَّاعة يا إخوتي فأنتم المخيّرين(٣) والمشاورون فيما يستأنف، فإن تحبوا أن تجعلوا أمناء ترضونهم رضينا من رضيتم، وأن تحبوا أن تقلدونا النظر في أمور هذا الخراج قَلَّدناه من نثق به من أوليائنا ومن نأمنه على أنفسنا، واعلموا أن في البلد عندكم من قد أخربه علينا وعليكم من سفل هذه الرافضة دخلوا للسلطان، فضربوا على عمالنا، ودخلوا لمن يحتالنا، فأوهموهم أنا لا نستحق ذلك فمن خائن

---

(١) كذا.

(٢) كذا.

(٣) كذا.

لخراجه، ومسلم لما يخون فيه إليهم، ومن متكلفٍ خراجاً إليّ بأسبابهم، والله يحكم بيننا وبين من يبتغي علينا ويجحد بأحقنا، وهو خير الحاكمين ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾، كيف يرجو من غل زكاته عمّن وكّل بتصريفها قطر السَّماء، أم كيف يرجو من الله الهدى أجل لما وضع الرّجاء في موضعه، ومن أطاع شياطين الإنس وخلا من يسعى في صلاح البلاد والعباد فلعنة الله على الظّالمين الذين يَسْعون في الأرض فساداً ولا يصلحون، وبعد أيها الإخوان رعاكم الله فقد علمتم كيف كان مَدْخلي معكم وبأيديكم كتابي ومنه نسخة عندي، وقد وجهت بها إليكم، فإن كان منكم استقامة على ما جَرَت فيه المعاملة بيننا وبينكم، كنت لكم على ذلك ما دمتم متعلقين بي، وإن لم تكونوا على ذلك ولا على ما جَرَت به المعاملة منكم لم أشغل نفسي بكم والله يعيذكم أن ترجعوا عن عقد عقدتموه[1] وإذا التزمتم بما قد جرى به الشرط بيني وبينكم أدَّيتم واجباتكم وأدَّى لأدائكم أكثر منكم، ورثتم البركة في أنفسكم وأموالكم ونالتكم رسومكم، وإن لم تفعلوا ذلك أثمتم وكنتم قدوة لمن سواكم فاعملوا سبيل خير يحسن بكم وينسب إليكم تنالوا خير الدُّنيا والآخرة، والله أسأل وإليه ابتهل في صلاح حالكم ودفاع السوء عنكم وحُلول الخير بأرضكم وجمع كلمتكم على البرّ إنه قادر على ما يشاء وهو حَسْبي وكفى، وقد حضر عندي من العمّال نفر وشاورني في البلد فأمرتهم بمشورتكم واستطلاع ما عندكم، فإن كنتم على العهد الأكيد اعتملوا بدفع مَعْهد أمرهم فيه بنَصْب الخُراص الثقات في نواحي البلد والأمناء الحفظاء وتبديل من في المجلس بمن يوثق به ليلتئم من الجميع ما يجب لكم، وليس ذلك بمعدوم إذا رفعت الأيدي الخائنة وإذا كل فيما يلي الأمانة، والله يوفّق الجميع لما فيه الخير بمنّه.

وأرسل في خلال ذلك كتاباً إلى الأمير أبي جعفر أحمد بن قيس بن الضحّاك نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم، سيدي الأمير أطال الله بقاءه وجعلني من

(١) الأصل: عقتموه.

الأسْواء كلها وجاه، قد تحقق محبَّة وليّه فاكتفى بذلك عن ذكره وقد ضمنه أمره وبلده وصحابة توجب كل ذلك المشورة والمكاتفة ولأعبائنا عنه جميعاً، وقد كُنْت قلدت ابن عمّي هذا الشَّريف الزيدي أمور البلد، واكتفيت به فكفاني في وجه وَضيّع في وجهين عليهما تحمل السّلطنة وذلك الخراج والجنود، ثم قد تراءيت أن أسأله ترك النظر في هذين الوَجْهين وأن يلتزم بصلاح ما يعاني من أحوال النَّاس في البلدان، وبيني وبين الأمير أيّده الله تعالىٰ عُمَّال وكلّ منهم شاكٍ لصاحبه، فعماله أحسن الله توفيقه يشكون إليه من عمّال الأمير مثل ذلك، ويذكرون أنه حطّ ابن مثقال وناساً ولا أدري ما هم ويذكرون أن ابن مثقال دعا إلى[1] تسليم ما عنده ليقتدي به الناس ثم يرد إليه، فقال لا أخلطه بما يحرمه على الزكاة لا يقبضها إلاَّ إمام، ثم إن أكثر أهل ذلك البلد لزم كل زكاته بهذا الحال، ولزم قوم من غير أهل البلد الجُند، وقالوا: لا نؤدي وابن مثقال حطيط وتخاليط[2] أيضاً في حال ما يقبض للأمير شيء من حقه فيقولون قبضوا بلا مشورة وباعوا بلا مشورة، ونحو ذلك ممّا يوجب تلف الخراج من قابض لا يوصل ما قبض، ومعتل بذلك فيما يلي، وقد انبسطت إلى الأمير أخي وسيدي فيما لم أحب أن أذكره، وبالله ما ذلك مني شحة في شيء يصير إليه بل ذلك شكيّة[3] لما أعلم أنه غير عائد عليّ ولا عليه وقد تراءيت ما أعلم أنه رأيه لا يخالفه من رفع الحطيط جملةً، اللهم إلاَّ أن تدع إلى ذلك جائحة فيكون بعد قبض في حقوه[4] وأن يبعث لقبض خراجه من يثق به وأبعث من أثق به ثم يؤخذ على الجميع أن يسيروا مع الخراص الذين يستأمنون ويَسْتحلفون، فلا يخرصون شيئاً إلاَّ كتب في نسختين بأيدي أولي النسخ وبأيدي أوّلاً نسخة لتشهد إحداهما على الأخرى، فإذا وقع قبض الجملة نَصَب للخزائن في كل

---

(١) تقرأ هذه اللفظة في الأصل هكذا «أتى».

(٢) كذا.

(٣) في الأصل سكته.

(٤) كذا ولعله حقوقه.

موضع أمين ثقة وأوصل إليه العُمّال ما يقبضون، ثم لا يكون للعمال فيما يرد الخزائن على أنها يد ولا أمر ولا نهي إلاَّ لمن يأمر ممّن يصرف الخراج بأمرنا جميعاً فأيّنا[1] دعته قبل القسمة حاجة لما يكثر أو يقل كتب إلى ذلك الخازن بخطّه فيما يجب قبضه، وكان الحسابُ وقت القسمة والاحتساب فيما تؤدّبه الخطوط، وكذلك المجلس بصنعاء يكون عليها من يرفع حسابه كل ليلة إلى أمين يفرقه على يديه بأخذ الأمين خطوط أهل المجلس، بما يسلمون إليه، فلهذا فانحزم ما يعني به هؤلاء العمّال فإن رأى أيّده الله ذلك رأياً فليشد عزيمة محبه في ذلك وإذا رأى غير ذلك فالرأي رأيه، والمحبوب عندي ما أحب، قرأت السلام عليكم كثيراً طيباً.

وكتب كتاب عهد إلى عماله وأوليائه، وجعل في كتاب عَهْده أنه قد جعل عبدالله بن أبي سهيم، وعلي بن أبي رعيل مطلعين على العمّال وناظرين في عملهم بما يوجب النظر، نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم قد جعلت لكم يا جماعة شيعتي وأوليائي أن يكون كل عاملٍ منكم على مكانه وأن يكون أبو سهيم وأبو رعيل على الكل منكم، وأن يأخذا بمن أقامه أخي أبو جعفر رعاه الله بالنصفة والترك للاستبداد برأي دون أحد ممّن ينصب في دقيق من الأمر أو جليل، وأن يقدم للخرص من يقع عليه الاتفاق، ليسر مع كل خراصٍ موضع عمال ذلك الموضع كلما خرصوا أرضاً كتب عمالنا ذكر مبلغها، وكتب عمال الأمير مثل ذلك، ووقع كل في دفتر صاحبه بصحة ما وقع فيه، فإذا كمل الخراج احتفظ كل بدفتر، فإذا وقع قبض الغلة، نصّب في كل موضع خازن أمين يرضاه الجميع، ثم يسعى عمال كل موضع في قبض ما في دفاترهم فقبضوا ما يقبضون مجتمعين وأعطوا خطوطهم من قبضوا منه، وصيّروا ما قبضوا إلى الخازن وأخذوا منه خط بما قبض وأخطوه خطوطهم بما سلموا ثم لم يكن لهم معه يد بشيء أصلاً ولم يخرج هو شيئاً إلاَّ بخط

---

(١) كذا أو لعله «فإذا».

من يتصـرَّف في هذا الخـراج مني أو من الأمير فيكـون خطوطنـا لهم حجـة بقبض ما يقبض، وكذلك كلما يستغـل من عُددٍ أو تبن أو قضب أو فـواكه أو حصر أو زكاة نقد أو عرض، وكذلك مـا يكون بصنعـاء في سائـر المخلاف الـذي يجمعني وأبا جعفـر رعاه الله، فـلا يكون لهـذين الـرجلين شغـل إلاَّ ترتيب من يثقان[٣] به، وإذا كتبت نسخاً يبقى مع أصحابي أمـر كاتبـاً ينسخ تلك النسخ كلها وقبضها ثم رَفْعها إلي مـع ثقة يـوصلها ولا يفـرط في شيء أن يُكتب دقّ أو جـل، وهـذا الكتــاب قـد كتبتـه لأبي سهيم وأبي رعيـل بما وليتهما من الإشراف والتولية لمن يختاران لي ولايته، والعزل لمن يـريان عـزله، فليجـز لهما ذلـك الوالي والمـولَّى عليه، ولا يعـرض لهما أحـدٌ إلاَّ يجيز[٢] قلدتهمـا، والسَّلام، وكتب الإمـام القاسم بن علي بخـطه صلوات الله عليه وذلك في شهر ربيع الآخر سنة تسعين وثلثمائة.

وكتب ذلك الكُتُب ووجّه بها، وكان في مقـامه هـذه الأيام بصعـدة قد صار إليه المليح إبراهيم بن محمـد بن المختار من نجـران، وكان بهـا والياً فنزعه الإمام من التصرف في الخراج، وولَّى ذلك خادمه سعيـد بـن سراج، وكان المليح يريد أن لا يشاركه أحدٌ في ولاية نجران، فلما أن تحقق له أن الإمام عليه السلام قد رفع يده وكره ولايته بنجران أكثر في ذلك العتب على الإمـام عليه السـلام وتسبب للفساد والتصـرّف على الإمام عليـه السـلام في عَسْكره ورعيّته، حتى رفـع ذلك كثيـر من الناس وخـاض في ذلك الخـاص والعام، وكان بعض أصحـاب الإمام وضيفـانه بصَعْـدة وولده جعفـر في دور المختار والإمام عليـه السلام في الحصن مقيم، فلمـا كان ذلـك أمر الإمـام عليه السلام ابنه جعفر وكـل من كان بـالقريـة بالنقلة إليـه إلى الحصن فلما علم بذلك المليح وسائر إخوته وبنو عمّه المختار اشتدّ عليهم ذلك، وعلموا أن الإمـام عليه السـلام لم يفعل ذلـك إلاَّ غَضباً عليهم، فلمـا أن كـان في العتمة آخر ذلك النهار أرسلوا إلى الإمام عليه السـلام عندئـذ[٣] الأمير بـن

(١) في الأصل بدون نقط.

(٢) كذا واللفظة بدون إعجام.

(٣) تقرأ هذه اللفظة هكذا «عذر الذة».

محمد بن المختار وعمّهم الحسين بن المختار فكَلَّما الإمام عليه السلام على سبيل مسألة الصَّفح والعفو حتى لان من بعد أن كان غضبه على جميعهم، فقال: لم يفعل إبراهيم إلاَّ ما لا يخالف عليكم وإلاَّ فإذاً أنكرتم عليه أو كنتم المطلعين لي على ما أطلعني عليه سواكم فما هذا الحال لم ترعوا ما في رقابكم لله، قالا: يا ابن رسول الله معذرة إلى الله وإليك فيما قد رفع إليك من ابن عمّك ونحن نسألك أن تأذن له حتى يأتيك وتبين معذرته فيما قد عتبت فأسعدهما فأرسلوا له، فلما أتاه فتح الكلام بعض الجماعة ثم قال المليح: يا سيدنا أنا لك عبدٌ وخادِم وولي وأقوم من الخدمة لك ما لا يقوم غيري، ثم تصدق عليّ قول الوشاة والمبغضين، فأجابه الإمام عليه السلام: أن يا ابن عمّي لَسْت أقبل قول الوشاة ولكن إذا صارت أحوال تجدد ممّا يوهن السلطنة بأسْبابك لم يستقم أمري وأمرك، فقال المليح عند ذلك عتبنا عليك أكثر في أن شرطت لنا شروطاً لم تستقم لنا بها، قال: وما ذاك، قال: في أعطية وولايات ورسوم، قال الإمام عليه السلام: والله ما لزمت عليكم شيئاً قدرت عليه، أَبَعْد أن تممت لك [و] ثبت لك خراج نجران وأنا إلى الآن تام به، وأنت لم تُجِدْ في الإسلام شيئاً إلاَّ الضَّرر، والله ما كان يجب علي ذلك ولا يجب لك، وأنا وجدتك مخرجاً من بلدك محتاجاً إلى غيرك لا مال يعود عليك، ولا مخلاف في يدك ولا أمنٌ ذلك إلاَّ لذكر ما أخرجت أنت من العتب فيما أنت تكبر حقك عليّ، وقد بلغت أضعافه وأهل بيتك، والله إن سائر أهل بيتي كنودون لي لائمون في أثرتكم، ويرون أن ذلك حيف مني عليهم وميل لهواي إليكم إذ نهضت بِعَسْكري وشيعتي في ظلامتكم ونفيت الظلم عنكم، وأرغمت عدوكم ومكنتكم في منازلكم ورددت في أيديكم ما قد خرج عنكم، ولم تستطيعوا ارتداده، ولَسْت في قولي أمنٌ ما فعلت عليكم، لكن ذكراً لما جرى، وثوابه إلى الله ﴿**لا أسألكم عليه أجراً**﴾، وها أنتم هؤلاء لم يضرّني في اليمن معاناة غيركم وأنا من الجميع في سلوة أفَاسْتَحْقَقْتُ هذا بإحساني، قال الله عزّ وجلّ: ﴿**هل جزاء الإحسان إلاَّ الإحسان**﴾ بل قد روي عن بعض الحكماء أنه قال: أصْل كل سيئة تأتي الإنسان من حسنة، فالله المستعان،

وبعد يا أهل بيتي إذا قد عزمتم فأنا لم أخرج من الحجاز إلَّا خوف قطيعة أهل بيتي بني حسن وأنتم في القرابة أدنى منهم فأنا أنزع يدي من قربتكم وأخلي البلد كراهية لقطيعتكم، أو ألقي البلد بالأمر الذي تحاولون إليكم إذ قد علمت أنه ليس يلحقني في ذلك سخط، فأطرق المليح عند ذلك وتقدّم أخوه وابن عمّه ومن حضر معهم، فقالوا: يا سيدنا يا ابن رسول الله عفوك أكبر من غضبك ورأفتك أوسع من سخطك، وتعطفك بالجميل على الناس عامة، فكيف على قرابتك فتفضل بالعفو على ابن عمّك والتجاوز عمّا قد قام في قلبك، ويحلف لك ويتركك فيما قد عتبت عليه فيه، فأجابهم الإمام عليه السلام إلى ما سألوه فابتدأ المليح إبراهيم بن محمد اليمين فأبلغ فيها: ما بدلت ولا غيرت ولا رغمت عمّا عرفتني به من محبتك والاستقامة على بيعتك، فقبل الإمام عليه السلام عذره، وانصرفوا من عنده، وسألوه أن يصرف ولده الأمير جَعْفر وأضيافه في منازلهم إلى القرية معهم، فأوجب لهم ذلك.

فلما انصرفوا وخلا المكان قلنا: يا ابن رسول الله قد أقسم الشريف ولعلَّ ما وقع إليك فيه لم يَصْدق قال: بلىٰ صدقوا وصحَّ لي ذلك وناب لي فيه الشواهد، ولكن روي لنا أنه قال رسول الله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم «لو أذاني إنسان من أدنى هذه واعتذر إلي في هذه لقبلت»، ويرون هذا الرجل لا يقتحم علي منه حين ولى من أهل بيته، فلما كان بَعْد ذلك آداب[1] الناس قد عاود إلى الحديث والأراجيف ورفع إلى خيار[2] منه بالفساد مع تعسف في سوق صَعْدة من خدمه، فلما تظاهر ذلك وكثر عند الإمام اشتد غضبه وأرسل لبني سَعْد ومن حضر، فلما اجتمعوا دخل القرية إلى منزله في دار بني الملاح في عَسْكر كثير، فلما دخل بذلك العَسْكر من حصن الناصر اتهم بني المختار أنه يريدهم بسوء فخافوا، وأرجف عليهم السُّوقة بذلك، فأرسلوا إليه عمّهم الحسين بن المختار، هل يأذن لهم أن

---

(١) كذا تقرأ في الأصل ولعله دأب.

(٢) اللفظة من غير إعجام وخيار بلد في حاشد.

يَصلوه، فأذن لهم فلما وَصَلوا عتبوا في استماعه للسِّعايات فيهم، فقال لهم الإمام عليه السلام: يا أهل بيتي اعلموا أن الرعية أضعف من أن يأتونا ويرجفوا بما لا أصْل له، فانظروا إن رأيتم أن تستقيموا على ما بيننا من المعاهد فذلك أجمع بالجميع، وإن رأيتم كشف السوء بيننا كان أجمل من الدَّسائس والتمشي بين القرابة، فعاوَدُوا فحلفوا ما بدّلوا ولا غَيَّروا وقبل عذرهم، وراحوا منازلهم، وأقمنا مع ذلك في حُصْن الناصر مع الناصر[1] عليه السلام شكلاً من جمعة، ثم وصل الإمام عليه السلام، الحسين بن المختار، وإبراهيم بن محمد، وأحمد الرسي بلقاء الإمام عليه السلام: يا مولانا نحب منك أن ترسل إبراهيم نجران وتردّه على ولايته، وكان الإمام عليه السلام ولاه نجران، وجعل له ثلث خراجها بَعْد رفع المساكين ثم نزعه من الولاية وولاها خادِمه القائد سعيد بن سراج وأجرى للمشايخ رَسْمه في الخراج، فقال الإمام عليه السلام: اعلما أن هذه حال تفسد البلد، وليس يعود عليّ بصلاح، فقالا: إنا نخاف أن تتحرك عليك بعض الأشياء، قال لهما الإمام عليه السلام: وما يحرك ذلك، قالا: دَفْعك لإبراهيم عما طلب من هذا، فقال الإمام عليه السلام: إذا كان الأمر كما ذكرتما فلا حَيًّا له ولا كرامة، ولا يطأها إنزاله برجل، ولا يأكل منها ثمرة، مرًّا إليه يعزم على ما يجب ويبلغ في ذلك أقصى كل مبلغ، ووقع في نفس الإمام عليه السلام حين أذن أنَّ القوم قد سفكوا العداوة، فلما بلغ ذلك المليح وأخاه لم يكن عزمهما ممّا شفه الإمام عليه السلام بالعداوة في ذلك الوقت، وإنما كان ازدياداً في الطَّمع والأعطية، ودسّاً بالقبيح بلا أن يواجهها به اشتد ذلك عليهم، وعلموا أن الإمام عليه السلام ينزع ما رسم لهم من الرسوم بصعدة وغيرها ويحرمهم ما كانوا يريدون من الزيادة عليه، فلما كان ذلك نهض عبدالله بن محمد فأكب على رأس الإمام وسَأله العفو، فقال: يا ابن عمي كم هذه السَّماحة والله إني لأرغب بكم عن هذا الحال القبيح، فلا تفعلوا، فقال: أحب منك العفو عمَّا قد مضى وأكل[2] عليه وحلف له بالاستقامة،

---

(١) كذا ولعله سبق قلم صوابه: «المنصور».

(٢) كذا ولعله وأكد.

فـأجابـه، وكتب بينه وبينـه رقعة فيهـا أنهم يستقيموا لـه من الطَّاعـة على ما يجب وأنه يستقيم لهم بما قد جَعَل لهم من الأرزاق والأرفاق ما استقاموا.

فكان الأمر والخبر كذلك حتى وصله من نجران كتاب بات يَسْـري به الرسول حتى أوصله الإمـام عليه السـلام يوم الخميس لأربـع بقين من ربيع الآخـر يذكـر أن بني الحارث أجمعـوا وتحالفـوا على الخـلاف على الإمـام القاسم بن علي، وأن القائد خرج منهم بعد أن كانوا قد عـزموا على الغـدر به فصار عند يام[1] فردّ إليه الإمام في رقعة يقول: قد وصل خادمـك يا أبـا القاسم بخبر غير مبين، فإن كان الأمر على ما قد ذكر فبين علينا في كتـابك ما كان أصله ومن اقترحه ومن أجمـع مع القـوم فعجـلاً عجـلاً بالخبـر فلَسْنا والحمـد لله في قلة ولا ذلّـة يجـوز لمفسـد معهـا فسـاده، واكتب[2] إلي أن الحبر بن يحيىٰ، وكان والياً على الوادي في بلد همـدان أن يفحص له عن الأخبار ويعلمه بكون هذا الحـادث، ومن أجل مـا جرى وبـاستقامـة من هو مستقيم من أهـل الوادي، وكتب كتـاباً إلى صبـرة بـن أبي الصبـاح، وكـان قائداً مطيعاً في وادعة[3] في أعلا الوادي نسخته:

بسم الله الـرحمن الرحيم، كتـابي يا أبـا الحـارث أسـأل الله حفـظك ودفاع السُّوء عنك، هذا الواصل بك من بعد أخبار اتصلت من بني الحارث لا رعـاهم الله ولا حاطهم ولا حجبهم بخيـر ولا جـاز لهم، ولم يـأتني بهـا كتاب فاعمـل عليه، ولا أتيقن بـه في تصحيح الأمـر وقد أسـألك أن تكتب إليَّ بصحة الخبر ومن بـدا بهذه الفتنـة المهلكة للظالمين والثـواب للمؤمنين حتى أعمـل بذلـك ما يـرتق هذا الفتق ونجـزي من أساء بعمله ﴿**ولا يحيق المكر السّيِّءُ إلاَّ بـأهله**﴾ وعرضي[4] نية همدان ومن دخل مـع هؤلاء القوم،

---

(١) يام: من قبائل همدان موطنهم نجران وهم من ولد يام بن أصبا بن دافع بن مـالك بن جشم ابن حاشد بن جشم بن حبران بن نوف بن همدان «المقحفي: ٧٠٦».

(٢) كذا لعل صوابه: وكتب إلى ابن الخير إلخ.

(٣) وادعة: من قبائل حاشد الهمدانية تنسب إلى وادعة بن باشع بن حاشد، وهم يتـوزعون في جهات مختلفة منها وادعة حاشد على مقربة من خمر ومنها وادعة الشام شـرقي صعدة وهي المقصودة هنا «المقحفي: ٧٣٣».

(٤) كذا ولعله «وعرفني».

فقد بلغني عن اليامیين أنهم قالوا للقوم: شدّوا عزيمتكم فلَسْنا إلاَّ معكم، والله المستعان على الجميع منهم، ولم يعد الله إلاَّ خيراً ونصراً لأوليائه، فالله الله في عشيرتك همدان أعزلها فتنتنا والبغي علينا، فكل أحدٍ يسهل علينا، نكايته وعقوبته ما خلاهم، والله بَيْنَنَا وبينهم وهو الشاهد علينا وعليهم وكفى بالله شهيداً بين العباد، والسلام.

ثم وصل رسول يخبر بصحيح ذلك من القوم فثنى الإمام عليه السلام بكتاب إلى صبرة بن أبي الصباح بعد الكتاب الأول نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم، بعد أن نفذ إليك كتابي أسأل الله حفظك ودفاع السوء عنك بالمسألة عن أحوال الفتنة وما كان هنالك، وصل إليّ من صَحَّح لي ذلك فأنت تعرف يا أبا الحارث ما قد أوليت جميع من بالوادي وإني من أكره النَّاس لقبح يتصل بأحد من العرب، ثم قد تبين القبيح من هؤلاء القوم من غير يدٍ سيئة قدمتها، فالله على ذلك المستعان، وأنت فعيني التي أنظر بها هنالك، وأذني التي أسمع بها، ولساني الذي أتكلم به، وقد سمع هؤلاء القوم في دولتنا مرةً بَعْد مرةً، وقد ذكر لي أن الكَعْبي قد دخل معهم في هذه الدَّورة، وقد أرجو أن لا يكون ذلك فانظر لا عدمتك أحوال الناس وأصحها كما يجب الصحة حتى تستقر المعصية في موضعها، ثم كنت مجزياً كلاً عن عمله بالخير خيراً وبالشر شراً ولا يكن لجوابك بعد كشف الأمور عني وقفة.

وقد كان بلغ الإمام عليه السلام كتاب من أبي الغيث بن جعفر الطائي، فردّ جوابه أيضاً مع كتاب صبرة بن أبي الصباح نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم، أسأل الله حِفْظك ودفاع السُّوء عنك بمنّه وكرمه، وقفت عليه وذلك بعد أن وصل رسول من القائد يذكر ما جرى عليه من هذه العشيرة الناكثة الغادرة، وذكر أنه حضر مع من حضر من بني عبد المدان رجل كَعْبي فغمّني ذلك، ثم وصلني كتابك تذكر أن بني كعب[1]

(١) بنو كعب: قبيلة من بني الحارث أهل نجران.

يقولون إن بني كعب عمل على صاحبهم ليدني أصحابه من الفتنة، وقد أرجو أن لا يكون الأمر كذلك، ولكل قوم تجهل دليل على المعرفة، فإن يكن القول كما ذكرت فعجلاً ببني كَعْب معهم، ومن حضر هذا الأمر من الكعبيين، وأن يكونوا ندموا على مخرجهم من أصحابهم، فقد تعرضوا، والله يختار ما فيه الخيرة، وأما ما ذكرت من الرسالة وما خشيت في الحقل فكل ما قتلي[١] فليس فيه فساد، وأنا في عزٍّ بحمد الله أبلغ به أقصاها وأدناها وأرغم به كل عدو لِلَّه وأؤيد به[٢] كل أولياء الله وأوليائي، فعجلاً عليّ بجواب هذا الكتاب فإني أول طائع لإرغام أعداء الله وأعدائي بحول الله وقوته لا بحولي وقوتي، وقد كتبت إلى ابن هاشم كتاباً هو طي كتابك فجد لي جوابه وحصله تحصيل الرجال ولا تدعه في غمة من أمره غير بين فإن يكن الرجل على ما يعهد منه فلن يزدد إلَّا علواً وكرامة وإن يكن غير ذلك والله يعيذه من ذلك أَيَسْنا منه، ولم نشغل أنفسنا بمغرض عَنَّا، وكان في الله وفي أوليائه العوض من كل من خلا سبيل الصَّلاح، والسَّلام.

وكان نسخة الكتاب إلى المنصور بن أبي روح:

بسم الله الرحمن الرحيم، كتابي يا أبا هاشم نسأل الله حفظك ودفاع السوء عنك من بعدما بلغني بما غَمَّني ومن مدخل من ذكر من أصحابك مع غواة عشيرتك، وليس ذلك ممّا كنت أخشى من ناحيتك افتتاناً عليك وعلى رجال بني أبيك، فليس ذلك بمنكر أحضرتم من غوي من أصحابكم وأبعدتم بذلك أنفسكم من غيركم، وأبعدتم الدنس من ثيابكم عرضاً كان نقياً من الغدر والمكث[٣]، وتركتم السّيِّءَ لمن طلبه والمكروه لمن يعرض له وصنتم جانبكم وأبنتم مكانكم من غيركم، وأرجو أن لا تفعلوا غير ذلك، وأنا بكم واثق لوجوه: أمَّا أولها: فإنه لم يأتني منكم سّيِّء ولم يأتكم بحمد الله، وأما الآخر فإنكم أهل بيت في منصب يعدون في أنفسهم من

---

(١) كذا تقرأ هذه اللفظة.

(٢) في الأصل كتبت هكذا «ذا ويديه».

(٣) كذا ولعله «النكث».

الغدر، ولا يقربون الخنا، وأما الآخر فإني لم أقدم إليكم يداً سيئة تقربكم من مكروهي، فانظر يا أخي وجميع من يليك فيما يحملكم من الرأي[1] «. . .» إنكم تكذبون ثم أمر من يدعو له الحسين بن المختار عَمّ المليح، فلما وَصَل أقرأه الكتب قال: يا مولاي أنا بريء من فعل ابن أخي إليك، فقال: فلا بدّ من أحد وجهين إما كنت صاحب البلد تنزل على تحكمي[2] فخيَّره بين أمرين إما أن يصل قائده وإما أن يكره قربي وإنفاذ الحكم عليه مني فسحت له في الذهاب عني في بسط الأرض من غير أن يقصد شيئاً من مخلافي، فإن لم أكن صاحب البلد، وكان قد عزم بالمبادأة فيستقم.

قال الحسين بن أحمد: الأمر أمرك فما شئت نفّذ والبلد بلدك ومن فيه خدمك ورعيتك، قال: فامض فاعرض هذا عليه ما ذكرت لك، فلما بلغ الحسين بن المختار ابن أخيه المليح أرسل المليح عند ذلك إلى رجال من بني سَعْد، وقال لهم: أخرج من بين أظهركم، ولا تدفعوا عني، وأنا شريفٌ بينكم، وسلطان لكم، فقالوا: لا معذرة لنا يا شريف فإلَّا ما بعد أن ملكنا نحن وأنت أنفسنا بالبيعة التي في رقابنا، قال: فصلوه فأرسلوه أن خذ في بالحق ولا تقبل علي قول من لا يصدق قوله، فوصلوا الإمام عليه السلام برسالته، فاستغضب الإمام عليه السلام، فقال: لا جزاه الله خيراً ولقاه عمله، فقال للإمام عليه السلام عمّه الحسين بن المختار: فلعلَّ الكتاب كذب عليه، والناس يكذبون على الناس، فقال الإمام عليه السلام عند ذلك: يا أبا عبدالله ما لك لا تكتب إليك الفساق ويكذب عليك الناس، ويختم إليك كتبهم الناكثون والمفسدون، فسكت عن جواب الإمام عليه السلام عند ذلك. فقال له الإمام عليه السلام: فما عذري في الظّالمين عند الله، فقال له الحسين بن المختار عند ذلك: يا ابن رسول الله في منازل بني المختار حرم ذرية لرسول الله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم، وأنا أخشى أن يفوت إليهم فائت أو يرتاعوا إذا باديته، فقال له الإمام عليه

---

(١) هنا سقطت من المخطوطة أوراق لا نعلم مقدارها.

(٢) كذا في الأصل، ولعل أصل العبارة «فتنزل على حكمي».

السلام: لا أروع الحرم ولا الذرية، ولكن الله يمكن من أعدائه، وعاد الإمام عليه السلام، فأرسل إلى أهل صعدة فارتاعوا من إرساله لهم، فلم يأته إلّا رجلان من حملة السلاح، ورجلان من مشيخة التجار ولطف بينهم الإمام ولين لهم الخطاب فاطمأنوا، وقال قد حدث ما غمني وأردت أن أعتهد مرادكم وأنبهكم من ذلك، قالوا: يا ابن رسول الله ما كادنا ولا دخلنا ولا عاملنا ولا لنا علم، نحن في أشغالنا مقبلين عليها، قال الإمام عند ذلك: أنا علمت أنكم لم تعلموا ولم تشاوروا، ولكن لم يدعني الظالمون ولا إياكم وأشغالنا، وإنما أنا في شأن إستقامتكم، فقالوا: يا مولانا نحن لك رعية جميعاً فاختبرنا فصرفهم الإمام عليه السلام، وأمرهم أن يشدوا على أصحابهم ألّا يشدّ منهم شاد ولا باغ، فلما كان من الغد وصل الإمام الشريف إبراهيم بن محمد بن أحمد الرسي رسولاً من المليح بأنه يحلف ما رضي بهذا وما[1] إذاً قبله، قال له الإمام عليه السلام: دعنا يا أبا إسماعيل وكثرة النفاق والمحال فقد اتضح، ولو كان ذلك لما أرسل إلى حاكم الشرطة فعتب عليه في حبس الرسول وأخذ كتبه وتوعّده، دع عنك ما لا يصحّ، ثم اجتمع إلى الإمام عليه السلام جماعة من السعديين مع بني المختار بني عم المليح وأعمامه، فقالوا أؤمرنا في المليح بما شئت، قال: ما خبرته على لسان عمّه، قال: لا بدّ من أحد الوجهين، قالوا: فانظرنا له يومين يترتب للنقلة حيث نعرفه، فأنظرهم، فلما عزم على الذّهاب والنقلة، وصل إلى الإمام أعمام المليح وإخوته فتضرعوا إلى الإمام ألّا يخرجه من منزله ويعود عليه برحمته، وهو يتحرّى رضاه ولا يدخل فيما شاءه فلما رأى الإمام ذلك منهم وعزمه على الرَّحيل عطف عليه، وقال له: اكتب له كتاباً لا يتعدَّى ما يرسم لنا ولا يتعدَّاه، فكتب الإمام عليه السلام بشريطة الطاعة ووكل عليه الاستقامة، ولا يقبل منه أبداً صرفاً ولا عدلاً، وكان الإمام عليه السلام كذلك حتى بلغه جواب كتابه إلى بني الحارث منهم، نسخة كتابهم:

---

(١) كذا.

بسم الله الرحمن الرحيم، وَصَلَ كتاب سَيّدنا ومولانا، وفهمنا جميع ما ذكر ممّا بلغ من جهتنا ومن الخلاف، وقد كان الإمام عليه السلام ولَّى علينا خادمه من غير رضاء منا، فلما وصل بلدنا سار فينا بالجفاء وأغلظ ما يكون من السّيرة وصبرنا على ذلك، وملكنا رقابنا من ملكها سيّدنا الإمام، وكنا على أعربتم[1] حتى جاء من صبية منا ما جاء من غير مشورة ولا رضاء، ثم خرج منا هذا القائد وتبعناه وسَألناه الرجعة إلى بلدنا وأن نحبس له ونرضيه، فلم يجبنا وسامنا ما لم يطق، وكان يسير فينا بما لا يَسْتوجب، لا يسمع لنا كلاماً ولا يرعى منا ذماماً ولا يوقر منا شيخاً، ولا يوجب لنا حقاً، وقد جاءَ ما جاء بلا إختيار منا وعزّ علينا بمفارقتك، وإن كانت بلدنا غير رعية وبالله ما يقوم خيرها بشرّها ونحن نَسْألك أن تعفينا على بلدنا فإن عفيتنا شكرنا، وإن حملتنا على المكروه احتملنا ذلك وصَبَرْنا على ما كلفتنا من المكروه.

فقرأه الإمام عليه السلام فاشتد عليه ما أبدوا من الجفاء والخلاف والنكير عن الطاعة والانحراف والنكث، وقلة الإنصاف، فقال الإمام عليه السلام عند ذلك: اللهم إنهم سليل الطغاة الفجرة المبغضين لأهل بيت نبيك المشبهين لك العادلين بك، ونحن حلف الهدى من أوليائك فأذقهم العذاب الأليم وجنبهم الصراط المستقيم وانصرنا عليهم نصراً عزيزاً واجعل [لنا] عليهم سلطاناً نصيراً واختر لنا في ذلك بما ترى لنا فيه الخيرة فلا كراهية منا لاختيارك.

وكتب كتاب دعوة أهل طاعته إلى القيام عليهم والمهاد لهم، وكتب إلى ولاته يحضهم على تحريض من ولايتهم من أهل الطاعة ونهض عليه السلام من صعدة إلى عيان يوم الخميس لأربع خلون من شهر جمادى الأولى من سنة تسعين وثلثمائة سنة.

قال الحسين بن أحمد: فلما بلغ عيان وجه كتاب دعوة فرقها نسخاً إلى أقطار مخاليفه نسختها:

---

(١) كذا ولعل أصل الجملة هكذا «وكنا على ما أعربتم».

بسم الله الرحمن الرحيم، كتبت يا إخوتي أحسن الله رعايتكم وصرف عنكم جميع الأسواء وأنا واثق بالله وبكم مستجير على ما نشأ في الكفر والنفاق، وبعد إن الغَدْر والشقاق مع خبيث المواد ونجاسة المحتد أعداء آل محمد المتناسخون لبغضهم والمخالفون في كل عصر عليهم أولئك بني الحارث الأشقياء الغَدَرة الأدعياء، فإلى الله ما حكم الله من قتالهم وأوجب من استئصالهم آدعوا أولياءه واستنصروا على أعدائه واذكرهم من حكمه في الظالمين ما يقوى بفتنهم وبسط على المخالفين أيديهم، قال الله وقوله الحق المبين ﴿**ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدءُوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم**﴾[1] فعجلاً عجلاً إلى اتباع أمر الله في القوم الظالمين الذين بدلوا نعمة الله كفراً وبطراً وغدراً لا عن يد سيئة وحنث ذلك بل دعوتي في أول الأمر إلى المدخل معهم والولاية لبلدهم من قبل أن أدعوهم إلى ذلك، ثم لم تزل طبائع السُّوء تستدعيهم إلى السّواية، ولم ترد منهم سيّئة إلاَّ عفوتها وعفوت عنها، وحتى كان من أعقاب سيئاتهم قتل عمالي واستباحة ذمتي، فنصر الله عليهم بأوليائه حتى وصلوا دارهم وقبضوا أساراهم فلم أولهم في الأسر عتباً ولم أدخلهم حَبْساً، ولم أحرمهم طمعاً[2] ولا مشرباً، بل قدا[3] الله ومن عرف ذلك أني ما برزت ضيفاً كبرهم ولا اعتنيت بنزيل زائر كعنايتي[4] بهم ثم سلمت من لزمت منهم في أسرع وقت وسرحت بأجمل تَسْريح، ولم أولهم من القول إلاَّ أجمله، ولا من الفعل إلاَّ أنبله، فما استقرت بهم الأرض حتى أبدوا الخنا، وتداعوا إلى ما يعقبهم الفنا، ولم يكتفوا لذلك حتى أدخلوا من القرابة من كنت به واثقاً، وعلى وفائه معولاً، ولبث خادمي، وكانت أنفسهم إلى قتله مطلعة وأرى حيفهم بهم متصلة، ثم هبط رجل من بني عمي الحسينيين فأرادوا قتله

---

(١) الآية: ١٣ ـ ١٥، سورة التوبة.

(٢) كذا ولعله طعماً.

(٣) كذا.

(٤) في الأصل بدون نقط.

فصرف الله مكيدتهم عنه، وكذلك خادمي، وكفى الله شرّهم، فانصرف إلى هَمْدان إلى من له الولاية الأصلية والبر والفضيلة فأوفى وحاموا عليه وقاموا عليهم معه، وبعثت إلى المعذرة أذكرهم بما عقدوا لي من أنفسهم وأعتب عليهم في قبح فِعْلهم، وكان منهم غرض الفتنة عليّ وإظهار المعصية لي والنداء باد إليّ، وصرف عمالي وتبديل سنن آبائي وتبديل دعوتي للدعوة لأعداء الله وأعْدائي، وقد جرى بها الأخوة ما قد جرى واسْتَهْمَمْتكم له، وقرعت إليكم من حسن الظن بكم أوضع الرجا في موضعه منكم، فحاموا عن الأصول الكريمة والمناصب القديمة وآطلبوا بذلك وجه الله والدَّار الآخرة ولا يكن الكفرة الفجرة على باطلهم أحمى من المسلمين على حقهم، والله يوفقكم لما فيه الصَّلاح ويغنيكم بمنّه وإحسانه ﴿**يأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم**﴾[1] فانصروه ينصركم الله واذكروه يذكركم واسألوه من فضله يعطكم، فمن أول عطاياه الغنائم الجسام التي ينالها هذا السبيل منكم، ولست أنزع من رجل مغنماً ولا أخشى عليه بعد فعله مأثماً ولا أتبعه لوماً، وكيف لا أبيح من أباح ذمته، ونكث بيعته وأحلّ ماله بحنثه عليه فأبشروا بالغزو والغنائم وقتل كل غوي ظالم، فبالله فاستعينوا، وعليه فتوكلوا، وهو حَسْبنا وكفى ونعم الوكيل والموعد على بركة الله، مستهل جمادى الآخرة إلى عيان، على بركة الله وعونه.

وكان قد بلغ كتاب من الزيدي يذكر فيه ما منحه الله من النصر وأنه قد استفتح مخاليف كثيرة فردّ الإمام عليه السلام جوابه ويذكر له فيه ما قد حدث في نجران نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم، كتبت جَعَلني الله فداك عن حال سلامة بحمد موليها وخرجت من صعدة بعد نذالة بدت من ذلك القاطع إبراهيم ابن محمد المليح، ووصل خادمه من نجران ومعه كتيب[2] مكنون سره، وما

---

(١) الآية: ٧، سورة محمد.

(٢) كذا وكأنه تصغير «كتاب».

يجري بينه وبين بني الحارث الأنجاس الغَدَرة الفجرة مع عوار كان بادياً قبل ظهورنا على كتابه، وبالله لقد زهدني في الجميل والصلة ما بدا منه، ولم يعمل هؤلاء الفجار ما عملوا إلاَّ عن مشورة بينهم، وقد قيل إن ابن عمّه يوسف[١] دَخَل في ذلك الأمر، ولا أدري ما صحة ذلك، وما أشك إلاَّ أنه سيبدي كل ما خفي بَعْد هذا إن أيسوا من الناس نكولاً لأملٍ قد بلغني أن المعاملة بينهم على أن يُخالف أهل نجران، ويكون لهم مركز ببلد الرّبيعة[٢] من خولان، ولم أكذب بذلك، وكل أقاربي زنادقة عدو لله ولي، وقد أعرض وجه فتنة لا شك فيها ولا مِرْية، فهذا إن لم يكن للناس إجماع وحركة قوية، فلعل إن كان ذلك أن يشغلهم الله ويطفىء كيدهم، وقد بَدَا ما قد ترى، وأنت إمام هذا الأمر وسيف هذه الدولة الموثوق به فيما أيّدها وأعلاها فانهض في هذا الفتق فليس لي ثقة إلاَّ الله وأنت، وانهض بعزم وإجماع بلا تكذيب ولا ونا، فليس يدفع ما جرى، إلاَّ بالهمم العلية والعزائم القوية والمذاهب الهاشمية، ثم لا تَدَع في تحضيض الناس على المخرج مجهوداً فمن خرج فلنفسه ومن تأخر ممن يطول بذلك فعمل عليه، ومن نهض فأمره يزاد أربعين يوماً، واجعل مخرج الناس لقَدْر أن يستهلوا جمادى الآخرة بعيان، وإن قدرت أن تنهض صنعاء فتسبب ظهراً من الزاد والقوة من واجبنا أو دين يدانه علينا، واكتف بسوقك فالسوق يَحْمل العساكر ولم تخرج برجال وخرجت بسوق لصحبك من الرّجال أكثر ممّا يقدر، وإن كنت قد رأيت العشائر لا يناصرون إلاَّ رجال البَون ومن قبلك في اليمن، فالحزم في جميع أمورك لا تدع بلداً في مخلافك من البلدان إلاَّ هدرته[٣] وواليه، وأمرت الكل بالقوة القوية والعدة الجندية، ولا تحسبن القوم عمّا عهدت،

---

(١) هو الإمام الداعي يوسف بن يحيىٰ بن أحمد بن الهادي إلى الحق يحيىٰ بن الحسين دعا في ريدة البون سنة ٣٦٨ هـ ثم تنحى عن الإمامة للإمام القاسم بن علي العياني وتوفي سنة ٤٠٣ «انظر إتحاف المهتدين: ٤٨».

(٢) هم بنو الربيعة بن عبد بطن من أرحب بن الدعام من همدان القحطانية وذكر الهمداني أن بني ربيعة وبني صريم هم سكان بلد حرب بن وادعة وهي مناطق حول قرية حوث «سيرة الأميرين: ١٣٣».

(٣) تقرأ هذه اللفظة هروته.

مع القوم مادة هذين العبدين، ومعهم ما قبضوا من الخراج الذي كان هنالك لنا، وذكر لي أنهم رسموا على كل نخلة في الوادي دِرْهماً، وقد كاتبوا مراداً[١] ونهد[٢] وزبيد[٣] وليس يأخذ القوم أمرهم إلّا بالحزم، ونرجو أن لا يكون معهم من الله توفيق ولا عون، ومن لم يهده الله فهو ملعون مأفون[٤]، ومع ذلك فإن الناس فسلوا فلا تقال نفسك ولا من يخرج معك عن الخروج إليّ، فنحن في حال اجتماعنا نعلو من الرأي ما تحملنا، وفي الحضرة اليوم من أهل بيتك أهل الحجاز فوق مائتي رجل، لو لم ينضم إلينا إلّا ثلاثة آلاف لإقامة حرب الكفرة مع أن الناس إذا حزمت في أمورك لحقت منهم ما تحب، واعلم أن يوسف والمليح وبني الحارث، سيكونون هؤلاء يداً لا شك في ذلك وسيجران من عَسْكرنا من يريد الغَدْر والشقاق، فلا جار الله للجميع منهم، واعلم أنها لم تكن عرضت فتنة إلّا من الآن، وفي ذلك الخيرة، فإن كان لها قوم فالأمر بيد الله، وإن لم يكن الناس إليّ في سبيل الطغاة ففراقهم أقرب إلى الله من وفاقهم، ولم يخير الله لهم، مع أني لا آيس من جماعة مسلمة تجاهد في الله حق الجهاد، كما قال الله سبحانه: ﴿**يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم**﴾[٥] فعجلاً عجلاً، وشدّ فيما أنت فيه، فإن الله معنا، وقد كنت عرفتك بما طرح في أصحابي الذين استعملت في يدي الأمن من التجويز حتى غمني ذلك وساءني وأمرتك بنزعهم من العمل وأنا أعرف أنهم أصح ديانة من غيرهم، وقد بلغني أنه ولي قومٍ لا يتقون ولا يذرون وإذا لا بدّ من ولاية فيكن ولايتك لأصْحَابي لا لأَعدائي الذين يرون هلاك هذه الدولة وفسادها مع استحلال الأمانة والحرص والخيانة، فبمثل قومٍ لا من هؤلاء ولا من هؤلاء يصلحون بالعمل ويوثق بهم، واتخذ أصحابي لك أصْحَاباً لإجابتهم

---

(١) مراد قبيلة معروفة من مذحج مساكنها في مشارق صنعاء بمارب وحريب «المقحفي: ٥٧٩».

(٢) نهد من قبائل قضاعة ولهم مساكن في عسير ونجران «الصفة ٢٢٧، وطرفة الأصحاب: ٥١، وسيرة الأميرين ١٤٠».

(٣) زبيد: بضم الزاي هم حي من خولان صعدة، انظر المقحفي: ٢٨٨، والصفة ٢٢٧.

(٤) أي ناقص العقل.

(٥) الآية ٥٤، سورة المائدة.

ومحبتهم واجعلهم لك طلائعَ، وكذلك صنعا فقلل مؤنتها وأعرابها، واعلم أن صاحب شرطة صعدة حدث مته[1] على من يرتفق في السوق ووفر كل شيء يقدر عليه، فلا قوام لما نحن فيه إلَّا بهم، ولا قوام لهم إلَّا بما يستخرج لهم، ولا خروج للأشياء إلَّا بالثقات الأمناء والكفاة الأتقياء، وأنا أسألك بالله لا سألت من سوء عن أعدائي فإذا عرفت بهم فانظرهم بعين العداوة ولا تخصّهم منك بعناية، وانظرهم بالعين التي هم بها، ولا تمكنهم من رأيك ما يخونوا بك فيه ولا من سرك ما لا يُستأمنون عليه، وتضم[2] بذلك عمّن لا يضرك ولا ينفعك وآبسطها لمن فيه النفع والضر، واعلم أن زمانك[3] هذا أكثر الأزمنة منافقين، وأقله موافقين، ووصل كتاب سيدي الأمير أدام الله عزّه بما يسر ويبهج ولله الحمد على ما منحه من النصر وَوَصَل ذلك بأمثاله إنه على ما يشاء قدير، وقد وجهت بالكتاب ساعة قرأته إلى صعدة ليغيظ الله به من هنالك من أعداء الحق، والله معك، وهو عونك وكافيك ما يهمك، وقرأت عليك السلام كثيراً طيّباً.

وكان يوم الاثنين لثمان خلون من شهر جمادى سنة تسعين وورد إلى الإمام عليه السلام، وهو بعيان ركب من عُرفاء[4] عنز بن وائل[5] ممّا يدانون الخمسين رجلاً للزيارة له وللدخول في طاعته فأقاموا عنده يومين بعيان، ثم صرفهم إلى صعدة وأمرهم بالمقام هنالك، وأمر خزانه بالعناية بهم والكرامة لهم.

ولبث بعيان أياماً ينتظر ما يرد إليه من أعلام اليمن وعزمهم على النهوض معه لجهاد أعداء الله، ووضع كتاب الله دعوة وتحريضاً لأهل الطاعة والبيعة على الجهاد في سبيل الله والقيام على أعداء الله نسخته:

---

(١) كذا ولعله «منه».

(٢) كذا ولعلها «يدك» كما يتضح من السياق.

(٣) الأصل: رمايك.

(٤) عرفاء: جمع عريف وهو رئيس القوم «معروف».

(٥) عنز بن وائل بطن من العدنانية وهم بنو عنز بن وائل بن قاسط بن أفصى بن دعمى بن حديلة ابن أسد بن ربيعة بن نزار، انظر نهاية الأرب معجم قبائل العرب ٢ : ٨٤٦.

بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿**الحمد لله الذي خلق السَّموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون**﴾[١]. أما بعد فإن الله لم يخلق المكلفين إلاَّ ليعبدوه، ولم يأمرهم إلاَّ ليطيعوه، فقال وقوله الحق المبين: ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلاَّ ليَعْبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين**﴾[٢] فلما خلقهم الله لعبادته ابتلاهم في ذلك ليظهر أهل طاعته فيميز البلوى بين المطيعين والعاصين حتى أبان كلاًّ بذاته كما قال ذو الجلال في محكم آياته ﴿**الٓمٓ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين**﴾[٣] وكما قال تعالىٰ: ﴿**أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مسَّتهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب**﴾[٤] ولقوله: ﴿**ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب**﴾[٥] فبفتنة البلوى ميز الله بين عباده فأبان أهل طاعته بالصبر على ما ابتلوا فيه وأهل المعصية بارتكاب ما نهوا عنه من معاصيه، فكاد المطيع أن يعدم لقلته واتبع العاصي الكثير لكثرته فقلَّ ذلك المؤمنون وكثر الكافرون فلم يعذر الله القليل عن أداء مفترضاته، ولم يسر عن العاصين ما وجب عليهم من عقوباته، فهم كما قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿**ليهلك من هلك عن بينة ويحيىٰ من حيَّ عن بينة وإن الله لسميع عليم**﴾[٦] ثم إنكم يا أهل القبلة ومن يجمعه لستم الملة على آثار من مضى من المؤمنين والعاصين فللحق منكم طالب الاتصال للدنيا دون الآخرة، والآخرة منكم طالب بلا عزيمة، والدنيا تَسْتدرجكم كاستدراجها لمن فتن بها، فبأي الحزبين منكم نَعْمل، وعلى أيهما نعول،

---

(١) الآية: ١، سورة الأنعام.
(٢) الآية: ٥٦ ـ ٥٨، سورة الذاريات.
(٣) الآية: ١ ـ ٣ سورة العنكبوت.
(٤) الآية: ٢١٤، سورة البقرة.
(٥) الآية: ١٧٩، سورة آل عمران.
(٦) الآية: ٤٢، سورة الأنفال.

أبقومٍ قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور، ولم يراعوا خالقهم ولم يخشوا معادهم وجعلوا الدنيا وما فيها معتمدهم مع استحلال المظالم واستحلال الباطل والمساعدة على ذلك والزّهد في الصَّلاح والتكالب على الدنيا والتشاح، فهم لا يذكرون الله، وإن ذكروا به، ولا يخافونه وإن خوفوا به، لم يتبعوا أمره وما يجدونه ظاهراً في كتابه، فالعجب لقوم منتحلين الإيمان بالله ولا يطيعون أمره، ولا يتبعون سنته ولا يخافونه ولا يخشونه، أيظن أولئك أنهم مؤمنون أو أنهم من عذاب ربهم ناجون هيهات هيهات، هلك أولئك ورب العرش العظيم، كما هلك الأولون وسيتبعهم الآخرون، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ألا فهل من مؤمن محق أو مُسَاعد موافق ينصران على المخالف المفارق للذي أبدا للحق صفحته وأظهر للناس مخالفته أين من يعتقد محض الإيمان ويحدث به نفسه، يثبت بنفسه قبل بدأنا للتحسبة، فلا عرّفه الله وجه محمد ولا نجاه في يوم القيامة من غضبه إلا ويُبدي لي أحد وجهه وهو في وهم من مقامي، فإنه لا قوام للحسبة بذوي وهم، ولا علو إلاَّ بأولي العزم ألا وقد داريت بأهل اليمن منذ وليتموني عليكم فأطلت المداراة، ولم أقم أحكام الله فيكم حتى تكلَّم في ذلك المتكلم، ولم أسر حق سيرة بينكم لعدم مزية لقوم الحسبة على أهل الباطل منكم حتى الآن حين تناهى الباطل وبان أهله وساعد كل امرىء من شاكله، فهل لنا من ذوي شكل يعتمد عليه أو من آنس بنفسه يعمل عليه، ولا مقام لمحق على باطل بين من لا يناصر ولا يستعان به على أولئك، ألا وليعلم من يتبعني منكم لدنيا أو لآخرة أنا لا نلحق الدنيا إلاَّ بالآخرة، ولا نلحق الآخرة إلاَّ بالدنيا، ومن دون ذلك نحن لا نجاوز إلاَّ بالصَّبر على طاعة الله واتباع أمره، والقول في ذلك ما قال النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم «من طلب الدنيا فأتته الدنيا والآخرة ومن طلب الآخرة نالها وانقادت إليه الدنيا صاغرة»[1] يصدق ذلك من قوله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم قول الله عزّ وجلّ: ﴿**ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه**

---

(١) لم أجده.

من حيث لا يحتسب﴾[1] وقوله: ﴿وأْمر أهلك بالصَّلاة واصْطبر عليها لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى﴾[2] ثم اعلموا رحمكم الله أن الله ابتلا بإنفاق أموالكم في سبيله وبذل أنفسكم للقتل والقتال دون حريمه، وصلاح بلاده وعباده، ولم يجعل لمؤمن أن يأخذ على قتاله أجراً إن لم يعطه زال عنه فرض الجهاد بل قال وقوله الحق المبين: ﴿يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله آثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلاَّ قليل إلاَّ تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويَسْتَبدل قوماً غيركم﴾[3] وها أنتم في وقت ذلك فلا تنسوا ما أمركم الله ولا تبخلوا بما رزقكم الله عن الإنفاق في سبيله، وقد علمتم من قوله الصادق قوله جلّ وعزّ الآية: ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم﴾[4] فأي تجارة تربح بائعها مثل هذا الربح الذي ينال فيه سبعمائة أضعافه أذلك والحمد لله غير موجود في أي دنياكم، ولا مستفاد في مكاسبكم ولا معلوم مثله عند أحد منكم، فهل فيكم لهذه التجارة طالب يبذل اليسير الحقير من ماله لينال الكثير الجزيل من ثواب ربه، والله يقول وقوله الحق: ﴿ولا ينفقون نفقة صغيرةً ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً إلاَّ كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون﴾[5] فلا تزهدوا رحمكم الله في عمل يكتب لكم فيه ضعفي نفقاتكم وكثيرها فيقطع ما لا تحصون عدده من الأودية التي لا يتجاوزنها في سبيل ربكم، فليس ما وعدتم على ذلك بقليل ولا العجز فيه بمثيل فسارعوا إلى أفضل أعمالكم قبل حلول آجالكم وفوت آمالكم، وذروا طول الغفلة عنكم، فما بعْد الكفر إلاَّ الضَّلال، وقال سبحانه معرفاً بالمؤمنين واصفاً لهم بأكرم صفاتهم: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا

---

(١) الآية: ٢ ـ ٣، سورة الطلاق.
(٢) الآية: ١٣٢، سورة طه.
(٣) الآية: ٣٨ ـ ٣٩، سورة التوبة.
(٤) ٢٦١، سورة البقرة.
(٥) الآية: ١٢١، سورة التوبة.

بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصَّادقون﴾[1] أجل صدق الله ورسوله أن أولئك المؤمنين الذين بذلوا أنفسهم وأموالهم ولم يبخلوا عن القربات إليه بالمضنون من الأنفس والأموال وهل يجود بماله إلاَّ من سمح بنفسه وصيّرها لحكم ربه فكونوا رحمكم الله بأولئك مقتدين ولآثارهم سالكين تنالوا من ذلك الخير ما تنالوا وتبلغوا في الآخرة ما هم بالغون، وقال وقوله الحق: **﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾**[2] أما والله لا ربحت صفقة من فاتته هذه التجارة واعتاض منها الخسارة، وها نحن قد رغبناكم «. . .»[3] في مواضعها قلنا فيكم مدة من دهرنا نرجو جوابكم دَرْك ذلك ولا تزدادون إلاَّ بُعْداً ممّا نرجو إنفاذه بكم، فعلى حكم الله وسنّة نبيه صلّى الله عليه وعلى آله وسلَّم بايعناكم وإليه فيما اختلفنا نحاكمكم، والله يصلحنا وإيَّاكم بأحسن الصَّلاح ويوفقنا لما يحب ويرضى إنه على ذلك قدير ونعم المولى ونعم النّصير.

قال الحسين بن أحمد: فوجه بهذا الكتاب إلى جميع طاعته وبيعته، وكان ليلة في أيامه هذه قاعداً في مجلسه يَسْمر مع أوليائه وشيعته يسألونه من حلال الله وحرامه وجميع أديانهم، فيفتهم ويفيدهم، فذكر بعض إخوانه، فقال: يا ابن رسول الله عَيَّب الرافضة في جوابك في مسألة الغسل من الجنابة، فقالوا ليس حجتك فيه قوية، وكان متكياً فاسْتوى قاعداً وقال: أشكو إلى الله أن يكسر علينا ويدعي الباطل علينا في قولنا جهال الأمة، فما منهم عالم بالحكمة يوما إليه، ولا منهم فَهْم يعتمد بالمعرفة عليه، في أفانين الكلام وتأويل الأعلام أفلا أردت على أن يقول له فيكتسوا[4] ذلك الجواب، وتدحض حجته ويبين للردّ والاحتجاج موضعه، لا والذي نفسي

---

(١) الآية: ١٥، سورة الحجرات.

(٢) الآية: ١٠ ـ ١١، سورة الصف.

(٣) هنا ما يوهم السقط في أسفل الصفحة من الكتاب ولكن بعد التمعّن يتضح أن الكلام متناسق والله أعلم.

(٤) كذا في الأصل ولعله فيكتبوا.

بيده إنه لجواب من كتاب الله وسنّة نبيه صلّى الله عليه وعلى آله وسلَّم لا هزله ولا جوابه الذين سبيلهم سبيله في تكذيبه وطغيانه لا يفيدون[1] على فكّه ولا ينتصرون من وقوعه أكثر من التكذيب والجحد والمكابرة كفعل المريب، كما قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿**فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون**﴾[2].

قال رجل من أصحابه يقال له علي بن الحسين بن رعيل: يا ابن رسول الله قد سمعنا منهم من التكذيب والطَّعْن علينا وعليك ما نسأل الله النصر عليهم في ذلك، والحكم فهو خير الحاكمين، قال الإمام عليه السلام: استجاب الله يا أبا الحسن منا ومنك.

قال الحسين بن أحمد: وذكر بعض الجماعة ما يجري من الفتن في مخلافه، وهل يمكنه كف ذلك والتسبب لاطفايفه[3]، قال الإمام عليه السلام: اعلموا أن ما كان من نبي ولا إمام إلاَّ وهو مقرون بالفتنة، روينا في ذلك عن السَّلف عليه السلام: أنه ورد في الخبر أن لقمان عليه السلام أرسل إليه خالقه رسلاً من الملائكة، فقالوا له: يا لقمان أرسلنا إليك ربك نعلمك أنه يجعلك نبياً فقال لهم: ألي الخيار في ذلك، فقالوا له: نعم فقال: إني لا أريد النبوة قالوا: لم ذلك يا لقمان قال النبي لا ينفرد من الفتنة وأنا لا أطيق ذلك ولا أختاره إذا خيرت، قالوا: فلما علم ربّه كراهيته لذلك عوضه من النبوة الحكمة فبلغ في الحكمة مبلغاً عظيماً عند الله وعند خلقه، فروي عنه في بعض حكمته أنه كان في بني إسرائيل ملك جبار قد بلغ في التجبّر أن جَعَل في ترتيبه إذا ركب لم يقم بين يديه إنسان إلاَّ قتله رجاله قدامه قد أمرهم لذلك، فلم يكن إنسان يقدر يكلمه ولا يعظمه ولا يعترضه لشيء من الكلام بين يديه إذا ركب ولم يكن يراه أحد غير خاصيته إلاَّ إذا ركب، فكان من حكمة لقمان عليه السلام موعظته لما أراد وعظ

---

(١) كذا.

(٢) الآية: ٣٣، سورة الأنعام.

(٣) كذا في الأصل ولعله «لإطفائه».

ذلك الجبار أن أخذ جمجمة إنسان بالية فجعلها بين يديه، وقعد على الطريق الذي يسيرها هذا الجبار إذا ركب فركب الملك، فلما قاربه نظره على ذلك الحال فجرى رجالته الذين يقتلون[1] الناس بين يديه لقتله على الرسم الذي كانوا عليه، فكفهم عنه لما رآه كذلك، وكان قد سمع بحكمته، وكان يعرفه فلما صار حذاه أوقف ثم قال له: ما حملك أن تقف بين يدي وقد علمت أنه من مثل بين يدي بَعْد أن أركب أني أقتله؟ فقال له: اعلم أني وجدت هذا الرأس، ثم وقفت أنظره فذهبت بي الفكرة والنظر إلى أن جرت بي، قال: وما نظرك فيه، قال افتكرت كيف خلق من نطفة ثم من مضغة ثم في تَصْويره جنيناً ثم في حال طفولته في حال ضعفه، ثم في حسن صورته على صاحبه وكماله، ثم في انعزاله منه، ثم في مصيره بالياً على هذا الحال، ثم إلى ما يصير بعد ذلك، فأبلغ في الموعظة في قلب ذلك الجبار، ووقعت منه موقعاً فتاب وأناب، وعاش آخر عمره من أهل النسك والتوبة من بني إسرائيل.

وكان الإمام عليه السلام مقيماً بعيان في هذه الأيام إذ وصله من المليح إبراهيم بن محمد المختار أمور قبيحة من معاملته للسّفهاء وتضربه على الإمام فأوجب رأي الإمام عليه السلام أن وجه إليه عمّه الحسين بن المختار وأخويه يحيىٰ وحسين ابني محمد، وجماعة من أشياخ وادعة على أن يكشفوا حاله ويعضلوه في نفسه، فوصلوه، وكان جوابه لهم: إن كان الإمام يريد أن يخلّي صعدة وأعمالها ونجران فهذا مخلاف لنا ويقتصر على اليمن خليناه، ولم ير منا إلاَّ خيراً، وإلاَّ فلا أقبل غير ذلك، فراودوه على الصَّلاح، فلم يجبهم إلى ذلك، فانصرفوا، وركب معهم إلى الإمام عليه السلام أخوه الأمير عبدالله مخاطباً في رضاء الإمام والدّخول بينه وبين أخيه متبرئاً عنه إن لم يقبل عنه الإمام ونهض الإمام عليه السلام يوم الأربعاء من عيان لثلاث عشرة باقية من شهر جمادى الأولى سنة تسعين وثلثمائة سنة، وأمر بني سلمان وليس في حضرته حينئذ غيرهم أن ينهضوا بنهوضه إلى

(١) اللفظة مطموسة في الأصل.

مَذَاب فسار معه منهم شكل من خمسة عشر فارساً وتأخر الرجل لكن عزم نهوض صعدة وكان عزمه استراقاً إلى مذاب ومعاودة إلى عيان، فلما أن صار ذلك النَّهار في مسيره إلى مكان يسمّى الخاط[1] بين مذاب وعيان لقيه في ذلك الموضع من نهض إليه من صَعْدة بخطاب المليح وأصحابه الذين معه فأخبره السفراء ما واجهوا وبلغه كتاب من بعض أنصحائه بصعدة: أنه قد شهر المعصية وأبان الخلاف، وقد عزم على قبض البلد، فأراد أخوه الأمير عبدالله خطاب الإمام عليه السلام وولده جعفر، فابتدا للإمام الأمير عبدالله، فقال له: يا سيدي إني قد طال ما سترت أشياء قد انكشفت، فقال له: يا سيّدي أنت مخيَّر مني بين ثلاث إما أن تدخل مع أخيك في غيّه فلست أقول لك تَعْتزله لأنه أخوك، وإما أن تلزم منزلك وتقبل على ما يعنيك، وإما أن تنتصر لبعض البلاد وذلك أحب الأشياء إليّ، وقام الإمام عليه السلام عجلاً غاضباً فسأله التوقف لأن يخاطبه فأبى ذلك فاعتذره عن القعود وركب فرسه، وقدم على حاله حتى صار في مذاب، فلما وصل هنالك، أوجب رأيه أن يتم آخر نهاره إلى صَعْدة ففعل، وكتب عند ذلك إلى من بعده من سفيان أن يتبعوه إذا قرأوا كتابه، وأمر أن يجمع من بمذاب من العرب وينهض بهم بنهوضه وسار آخر يومه[2] فوصل صَعْدة في العشاء الآخرة، ووصل معه شكل من أربعين رجلاً من خدمه وشيعته ومن نهض معه من بني سلمان وأهل مذاب منهم خمسة عشر فارساً وآخرهم رجاله، فلما أن صار في الحصن أرسل بعض خدمه إلى السُّوق أن يؤخذ له من عند خزانه علف لدوابه ودواب أصحابه لليلتهم، فأخرج لهم شيء قليل وتعسّف على خدمه بعض خدم المليح ومن هو منوط من أهل السُّوق له وللحسن بن محمد يخدمه وصاحبه، فأرسل الإمام عند ذلك إلى مشايخ من بني سَعْد فأصبح عنده منهم أشياخ، وكان بالباكر وأرسل الإمام عليه السلام إلى أهل صعدة تجارها وعوانها أن يَصلوا الحصن إن كانوا على طاعته،

---

(١) لم أجده وفي الصفة ٢٣٥ خاط واد ساكنة بني عامر الغورية من الحجر.

(٢) أورد هذا الخبر باختصار ابن جرير صاحب تاريخ صنعاء: ١٠٧ بتحقيقنا.

وأرسل لهم بخاتمه أماناً لهم فلم يصل منهم أحد كراهية له وبغضة له، وإسناداً منهم إلى المليح، والحسن بن محمد، إلَّا ابني عبد الواحد لأنهما كانا منقطعين في محبة الإمام، وكذلك عمّهما محمد حضر معهما فمكث الإمام عليه السلام في مخاطبة الأشياخ السعديين ومشاورتهم في الرأي، وأمر ابني عمّه الحسن بن عيسى وحسان بن إسحاق الرسّيّين أن ينهضا فيدخلا القرية ويطلعا أمور الناس فدخلا القرية فنظرا الناس يجتمعون إلى دار المليح ودار الحسن بن محمد، ونظرا الرتبة من أهل القرية فقلبا رؤوسهما على فرسهما خارجين من القرية فخرجا من باب الحدبة ونظرا ناشئة[1] يمشون خلفهما، فلما أن خرجا من الباب سَمّروه بالمسامير، وإذا في الأسواق المنادون الملك لله وللأميرين المليح بن إبراهيم بن محمد والحسن بن محمد، وقد أمرا أن لا يعترض في دولتهما أحد ولا يعرض لمال أحد في هذا السُّوق.

فوصلا إلى الإمام عليه السلام بهذا الخبر فنهض خارجاً من الحصن على قدميه وأَمَرَ بمن كان في الحصن أن يخرجوا ويَسْتعدوا، ولم يكن عنده إلَّا النفر الذي أتوا معه من عيان، والضيف الذين عنده من الحجاز بنو أبي الطيبُ الحسيني وخدمه، والرجال العشريون الذين وفدوا عليه فهَبَطوا كلهم وأقعد في الحصن أربعة رجال يوثقون أبوابه ويحفظونه.

قال الحسين بن أحمد: فلقد خرج الإمام عليه السلام عجلاً على قدميه حتى لقيه[2] خادمه في فناء الحصن بفرسه فسار حتى صار باب الحدبة في غربي صَعْدة فألفى الباب على ما ذكر لنا أبناء عمّه فأمر به وكسر فاتلقا[3] عليه أحد القتال، ودخل هو وأصحابه فقال في ذلك أبو الفلاح يرتجز حين خرج الإمام عليه السلام من الحصن:

نحن مفاتيح الدروب والزبر ... والمنجنيقات لها نحن الحجر
كم من قتيل قد صرعنا لم يحر ... يشهر عينيه وقد راع البصر

(١) كذا في الأصل ناسئة بالسين المهملة.
(٢) في الأصل «لقه». (٣) كذا في الأصل.

نحن الذي نوردها خير وشر   إذا تَلَظَّت مثل نيران الحفر
يقودنا الطاهر مولانا الأغر   القاسم المشهور يدعى مشتهر
صلَّى عليه الله خَلّاق البشر

وقال أيضاً بَعْد ذلك في مكانه:

قد علمت ذات وشام حففا   كأنه الشهد الذي فيه الشفا
أتى حماة الدين أصحاب الوفا   نكفيك ما همّك يا ابن المصطفى
إيماننا والبيض تبدي ما خفى   من كل من عاند أو من خالفا
نروي السنان والحسام المرهفا   ونترك الطير عليهم عُكّفا
يا حجة الله بك الحق اكتفا

وقال أيضاً عند كَسْر الباب:

نهوي مع القاسم في دهم الظلم   كبارق القبلة يهوي لم ينم
نتم بالعهد ونافي[٢] بالذمم   والسّمر في إيماننا يرعفن دم
والقاسم المنصور فينا كالعلم   يحكم بالحق ويجزي من ظلم

فأمر بكسر الباب أصحابه فكسروه، ودخل منزله في دار بني الملاح، ودخل معه أصحابه، ثم أمر أبا الفلاح أحمد بن عبدالله القاعي أن يسير في أسواق صَعْدة ومعه جماعة من أصحابه وينادي بالأمان في الأسواق، ويأمر الناس بالسَّكينة وينهى بعضاً عن مضرة بعض، ففعل ذلك، فبينما هو يدور في الأسواق ويصيح بالأمان بأمر الإمام عليه السلام إذ عدا عليه وعلى أصحابه جماعة المليح والحسن بن محمد الذين معهما من خدمهما ومن مال من أهل القرية إليهما، فهزموهم إلى دار الإمام عليه السلام، ولحقوا أبا الفلاح في أعقاب الناس فقتلوه رحمه الله، ووصلوا إلى الإمام عليه السلام بعلم ذلك، وأن الناس قد انهزموا فقال: اصبروا قليلاً فأتاه رجال من أصحابه، فقالوا: اركب وآخرج إنه ليس معنا أحد يدافع به هؤلاء

---

(١) كذا والرجز من شعر القبائل في ذلك الوقت.
(٢) نافى: نوفي وهو من عامية ذلك الوقت.

القوم، قال: اصبروا قليلاً حتى أتاه من أعلمه أن أهل صعدة حملة السلاح والمليح والحسن قد أحاطوا بالدار وليس عاد المخرج إلاّ من باب بني الملاح وعاد أصحابك السعديون والشرفاء وخدمهم يستأذنونك تخرج إليهم فلبس درعه و (١) مغفره، وإذا أصحابه لازمون له الطريق لمخرجه من الدار، فلما خرج وهم على ذلك الحال فقلبهم إلى القرية وجعلهم فريقين ففرقة وهم العنزيون وأمرهم يلزموا الشارع الذي يَسْلك فيه دار بني الملاح إلى السوق وبالقتال فيه من قاتلهم، فلزموه، وقاتلوا فيه، وكفوا إذ ذلك، وجعل قتال من معه في الشارع الذي يسلك فيه من المدبغة إلى دَرْب الحدبة، فترابط القتال هنالك، وكان مقاتلاً ضنكاً ضيقاً على الإمام عليه السلام وأصحابه، وذلك أنهم كانوا يقاتلون في بطون هذين الشارعين وحزب المليح والحسن في بطون الشوارع ومن فوق الدور المشرفة على المقاتل، فقاتل أصحاب الإمام عليه السلام واجتهدوا، وحرض الإمام عليه السلام ذلك النهار على قتال(٢) الباغين ونادى بأعلا صوته من كان يطلب الجهاد فقد حضر اليوم فأخذوا في جهاد هؤلاء الباغين، فحمل إذ ذلك حزب المليح والحسن على الإمام وأصحابه وأرهقوهم من فوق السطوح بالنبل والحجارة فانهزم أصحاب الإمام عليه السلام قليلاً ورجعوا عن مقاتلهم فثناهم الإمام عليه السلام للعطفة وحمل بنفسه، فقاتل حتى رجع إليه أصحابه وحمل معه ولده علي فلحق إنساناً منهم فضربه فرمى برأسه وأبلى ذلك النهار مع أبيه في القتال، وشهر منه ذلك النهار ثبات جنان وانطلاق لسان بالتحريض والذبّ عن أبيه ثم ترابط القتال قليلاً ثم تزحزح أصحاب الإمام عليه السلام للغرة ثانية وولوا فثناهم للعطفة، وحمل فرمى بنفسه وفرسه أوصاد القوم فهزمهم وحده هزمة إلى وسط السوق، ورموه بالنبل والحجارة فأحصنه الحديد إلاَّ أنه شكا ألم جسمه بعد ذلك، وحمل خلف للإمام عليه السلام من أصحاب(٣) ولده علي ويحيىٰ بن داؤد الأمير أبي الطيب، وعبد الرحمن الحمزي فدفعوا مع الإمام، ووقع يحيىٰ بن أبي

---

(١) بياض في الأصل.

(٢) نسخة جهاد «من هامش الأصل».

(٣) بياض في الأصل.

الطيب بين الإمام عليه السلام وبين القوم، ونهاه الإمام عليه السلام عن المباشرة بنفسه للقوم وثبت الإمام عليه السلام في موضعه، وزجر فرسه إلى التقدم فنفر فرسه لما أصابه من النبل والحجارة في أول النهار فلما رأى الإمام عليه السلام المكان غير منصف له ولا لأصحابه فيه القتال انصرف خارجاً من القرية، ووقف في المقاتل وأمر أصحاب الخيل والعدد أن يقفوا معه، ويكون الرجل والمقاتلة بين أيديهم خوفاً عليهم من كرة القوم عند خروجهم.

وذكر ذلك النهار عن عبد الرحمن الحمزي لأحسن بين يدي الإمام عليه السلام، فلما خرج الإمام عليه السلام وأصحابه أمرهم بقلع بابي درب الحدبة ففعلوا ذلك، وأباح على الباغين بذلك القرية وعاود حصن الناصر عليه السلام بجماعته.

فلما أن صار في حصن الناصر وصل عند ذلك غارة المحربيين، وقد كان الإمام عليه السلام أرسل إليهم في الليل فقصدوا للقتال من شامي صعدة من درب السَّائلة ففتح لهم أهل صَعْدة وحسبوا أنهم لهم نجدة فلما دخلوا معهم داخل القرية أنشبوهم القتال فلما رأى ذلك المليح إبراهيم بن محمد والحسن بن محمد ونظرا أن من أتا من نجدة صارت في حزب الإمام أيقنا بغلبة الإمام فسألا خولان الصحابة فأخرجهم المدلهم بن الفحيش ونفر معهما من القرية وانهزما نجران وقعت الغارات في القرية في النهاب، فنهب سوق صعدة ودورها خلا دور الشرفاء بني المختار ودور بني يحيىٰ، وأمر الإمام عليه السلام ولده علياً ومن معه من أهل بيته فحاموا دونها ومنعوا عن نهبها، وكذلك دور بني الملاح وما يليها أمر الإمام عليه السلام من منع منها، ورام الإمام عليه السلام منع الناس من النهب فلم يكن معه أحد يمنعهم من ذلك فوقف الإمام عليه السلام في حصن الناصر، وخرج القرية كل من كان معه إلَّا نفر قليل من خاصته، فمنهم من يَنْهى عن النهب ومنهم من ينهب، وأتاه من العَسْكر ممّن قال له لا يمنع الناس من دور بني المختار ودور بني يحيىٰ، فهم قاموا بالبغي في وجهك

وجنوا الجناية عليهم وعلى الناس، قال: يا إخوة العرب ما إلى ذلك سبيل ليس في دورهم إلاَّ حرم لنا وذرية لرسول الله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم، وإن بغوا وجنوا السوء لم نخلفهم إلاَّ بالصِّيانة كذلك لو أسْعدت لمنعت من القرية عن الرعية كلها، فنهبت القرية من ضاحي النهار إلى وقت العَصْر من آخر ذلك النهار، ثم ترادى إلى الإمام أصحابه والشرفاء ومن بنجد جماعة فركب الإمام عليه السلام ومن حضر معه في العَصْر آخر النهار، ودخل القرية وأمر من يصيح بالأمان، وأخرج من وجد من في القرية من أصحاب المطامع وكفّ الناس عن النهب، وأمنوا وأمر بردّ أبواب الدروب، وإغلاق الدور المنهوبة، ووكل من يحفظها ويحوطها وأرسل لخولان كلها وأخذ منهم الأذمة[1] على صيانة القرية وحفظها، وكان من قتل في ذلك النهار من أصحاب الإمام عليه السلام بعد أبي الفلاح الشريف علي بن إدريس الحسني، وعبدالله بن يوسف ابن هام الهمداني، وقتل مولى خثعمي رحمة الله عليهم، وكان القتل في أصحاب المليح وأهل صعدة تسعة رجال وذكر أنه كتم[2] غيرهم، والله أعلم.

قال الحسين بن أحمد: فأتى الإمام بعض من نهب من القرية شيئاً، فقال له: يا ابن رسول الله قد صار معي هذا وأتى بمال أخذه فخذ مني خمسة، قال: ما آخذ منه شيئاً، قال أفتحرمه علي فقال: لا فراجع الإمام عليه السلام بعض أصحابه، فقال: يا ابن رسول الله بما أوجبت النهب لأمتعة هؤلاء الرعية من أهل هذه القرية وأنت تعلم السيرة في أهل القبلة، فقال له عند ذلك: قد دخلت هذه البلد مراراً كثيرة بعساكر عظيمة، فأما السفر الأول منها فأتيت وهم عُصَاة ففتحت البلد وصنتها، وسرت فيها السيرة في أهل القبلة، ثم تابعوني ودخلوا مع المطيعين في طاعتي فأتيت وهم لي رعية فصنتهم صيانة الرعية، ثم أتيت في سفري هذا فقاموا في وَجْهي ونصبوا لي مع هذين الباغيين تجارهم بالدراهم والعون وفقراءهم

---

(١) كأنه جمع ذمّة «معروف» قال في القاموس الذمام جمعه أذمة.

(٢) في الأصل «كنتم».

بـالقتال والمـدافعة مـع البـاغيين، وذلـك بعـد أن أرسلت إليهم يتنصلوا من البغي وأهله، فلم يفعلوا ذلك فأصابهم ما أصابهم بما كسبت أيـديهم، وقد حـرّضت في عـزلهم القبيـح فكـرهـوا ونحّـوا[1] من أرسلت إليهم بـأمـاني وسألتهم أن يخرجوا إليّ فامتنعـوا، ومـالـوا مع أهـل البغي عليّ فلحقهم إذ ذلـك ما لحقهم والله يقـول عزّ وجـلّ: ﴿**وإذا أردنـا أن نهلك قـريـة أمـرنـا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً**﴾[2]، ﴿**ومـا أصابكم من مصيبـة فبمـا كسبت أيـديكم ويعفـو عن كثيـر**﴾[3] ويقـول عـزّ وجـلّ: ﴿**وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقهـا رَغَداً من كـل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف**﴾[4] ومع ذلك فلم أحب نَهْب القرية ولا إباحة الرعية ولم يكن بغيهم علي ومعي من أنفذ به ما أريد من أهل الطَّاعة، ولو كانوا معي من أمنع بهم لمنعت بهم بغي الباغين حتى لا يحدث في البلد ما يوجب النَّهب فاعلم ذلك، إنما كان بغيهم كما تـرى أنها للأخ في حال عدم مني للأعوان فنصر الله عليهم بقوم لا خـلاق لهم، فلم أجـد أحداً أدفـع به هؤلاء العـرب عن نهبهم وأذائهم، ولـو كـان بغيهم عليّ وإن أجـد من أنفـذ بـه الحكم عليهم لأدبَّت الكفـرة بـالسيف والسـوط والحبس والغرامة فاعلم ذلك، ومع ذلك فلو كانوا منفردين هؤلاء الذين بغوا علينـا عن الضعفاء والأطفـال وأهل التعفيف لمـا كرهت لهؤلاء الـذين بغـوا علينا سفك دمائهم، وقبض أموالهم لأنهم قـد خبثوا عن الأمـوال فاستـوجبوا القتـل بالبغي والعـدوان، وأما كـراهتي لأخماس[5] مـا نهب فللشبهـة التي تعـرض في نفسي أنه مـا لا يؤمن أن يكون قـد نهب معـه مـال من لم يَبـغ علينا، وأما إحلاله لمن نهبـه، فلكون أهـل البلد يداً واحـدة علينا ولأنـه لم يبـن ولم ينعزل كاره للبغي علينـا فنعرفـه، فنسأل الله التَّـوفيق لما ينجي من

---

(١) في الأصل «نحو».

(٢) الآية: ١٦، سورة الإسراء.

(٣) الآية: ٣٠، سورة الشورى.

(٤) الآية: ١١٢، سورة النحل.

(٥) الأخماس: جمع خمس وهو حصة الحاكم من الغنائم.

سخطه في معاشرة هذه الأمة الضالة المضلة، ونسأله العون على ما صعب علينا من الأمور.

ثم إن المليح إبراهيم بن محمد والحسن بن محمد جعلا انهزامهما طريق نجران، وصارا هنالك، ثم إن المليح طلع منه إلى بني سَعْد من خولان عيب، يقول لهم إنهم غدروا به بعد أن عاملوه على فتنة الإمام عليه السلام وأخنوا في معاملته وعهده، فاشتد عليهم ذلك من فعله وفعل ابن عمّه الحسن بن محمد، فكتبوا إليهما جواباً لما بلغهم منهما وأتوا بذلك الإمام فأقرأوه إياه واستأذنوه[1] في إرساله، نسخة الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم كتابنا إليكما يا سيدينا أطال الله بقاءكما وأتمّ نعمكما ورفع الأسوا على نفسكما عن حالٍ جميل، والحمد لله على كل سبيل، وبعد فإنه لا يزال يصلنا من الكلام ما لا يدفع صحته إنكما تقولان وتشكوان إلى كل عرب أنّا[2] جماعة بني سعد غدرنا لكما وأخلفنا وعدكما واختنا في معاملتكما وأنا قبضنا منكما دراهمَ على ذلك، وأوقعناكما بغرور وجعلتما ذلك ناموساً استدعى من يسمع لقولكما واستغراق المال وثق بإنفاق ماله في بَغْيكما لا جبر الله ما له عليه وجَعَله داعياً للمكروه إليه، وحاش الله أن يكون ذلك منا أو ثنيانه علينا ويكون لكما بعد العهد الذي في رقابنا ورقابكما للإمام القاسم بن علي صلوات الله عليه، وأما نحن فعلى الوفاء بذلك والقيام به والحوطة له بالأموال والأنفس والله على ذلك عوننا، وأما المكروه والغدر بذلك العهد فمنكما ومن سلك سبيلكما، وعلى طريقكما وقلّ رأيكما ودخل مدخلكما، وقد أحلَّ الله المكر السّيِّء بأهله وبان، فإن كان ذلك منكما صحيحاً فما نظنكما رعوى[3] وانظرا أن تأمرا برفع من عندنا لكما من الأموال والحريم فليس عادنا لكما موافقين ولا مجاورين، وأما ما تذكران من الساعة في قبض الدَّراهم منكما وغير ذلك فلا ستر الله

(١) الأصل: آستأدبوه.
(٢) الأصل «أنانا».
(٣) رعوى: ارعوى الرجل عن القبح والجهل كف عنه ورجع.

عليكمـا إن سترتمـا أحداً في قبض درهـم إلَّا شهرتمـاه على رؤوس الملا، لكن جعلتما ذلك ناموساً لأن[1] نفرا من قد ساعفكما وتوهمـا على من ركن إليكما، وحَسْبنا الله وكفى ونعم الوكيل، والسلام عليكما.

ووصل عند ذلك إلى الإمام كتابٌ من القائد[2] يذكر فيـه أن فرقـاً من نجـران قـد أحسّ ميلهم إلى المليـح وبني الحـارث، ويشكــو استقـامــة الأحلاف وبطن من يام يقال لهم مذكر[3] وكذلك شاكر[4] وثقيف[5].

فردّ الإمام عليه السلام جوابه نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم، وصل كتابك أطال الله بقـاءك ووقفت على جميـع ما ذكـرت، ولم يخط[6] الصواب في إطـلاعك إلينـا ما يحـدث لأن تعمل بحسب ذلك وما يوهمون به وما يرجفـون فلا يـروعنك رِعـاعهم، فإن ذلك من شدّة ما يجدون فسدوا أنفسكم وجميع من متعلق بـطاعتي بالنـاحية فـوربّي محمود مشكـور لأملأنَّهـا خيلاً ورجـلاً بَدواً وحَضْـراً، ولأجتهدن في قليعتهم وقليعـة من قـد أطمعـوه من أهـل الغـدر والنكث ﴿**وسيعلم الـذين ظلموا أي منقلب ينقلبون**﴾[7] قد أتاني رسول من نهد يستأذنوني في الغـارة عليهم، وعرضوا أنفسهم للنجدة فإيـاكم والهلع والفزع، وقبـول الأراجيف، فوالله ما كنا على مثل ما نحن عليه من العزّة والطاعة فأبشروا وأسْفروا فوالله لا كان لهم ناصـر والبريـة معكم والله خير لنـا ولكم، والحمدلله وصلّى الله عليه وعلى آله وسلَّم تسليماً.

قـال الحسين بن أحمد: ثم عـزم بالنهـوض اليمن من صَعْدة بجميـع العَسَـاكر، فنهض من صعـدة يوم الأحـد لخمس خلون من جمـادى الآخـرة

---

(١) في الأصل هكذا «الثن نعرا من».
(٢) يعني به سعيد بن سراج عامل الإمام على نجران.
(٣) مذكر بن يام أنظر الإكليل ١٠: ٨٨.
(٤) من قبائل نجران «سيرة الهادي: ٦٦».
(٥) من قبائل نجران «سيرة الهادي: ٦٦».
(٦) في الأصل «يحظى».
(٧) الآية: ٢٢٧، سورة الشعراء.

سنة تسعين، ونهض لنهوضه من كان في حَضْرته من الشُّرفاء بنو أبي الطيب والحسين بن مسلم وأمسى آخر نهاره بمذاب فأقام به سَبْعَة أيام، ثم انحدر طريق الجوف فأمسى آخر نهاره بالمراشي[١] ولقيه هنالك أبو سَلمة الدهمي، وأشياخ من شاكر وأتوا معهم بكتاب من المليح إبراهيم بن محمد المختار يدعوهم إلى طاعته ويشكو إليهم فِعْل الإمام به، نسخة الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم كتابي يا إخوتي وعشيرتي أطال الله بقاءكم وأدام عزّكم الصدر، وأنتم أيها الناس العشيرة والأخوة أعزكم الله أخوة وعدة وقد كنت يا أبا سلمة أعزّك الله أشاهد أحوالاً تجري بيننا وبين القاسم بن علي وتجنباً وتعسّفاً يتعسّفنا في غير جرم كان منا ونحتمل ذلك ونقول لعله يعود إلى جند[٢] ويختبر الناس ويعرف إطاعتهم فنعامل كلاً بما يستحقه فلم يكن ذلك إلَّا أظهر النفاق والغدر، وكان منه ما بلغكم أعزكم الله من تلف بلدنا ونَهْبها وإخرابها، وطلب سَفْك دمائنا وانتهاك أحرامنا[٣] وقدر أنه يظفر منا بحال ممّا هو يؤمله فلم يصادف إلَّا ما قبح وجهه وأزال جده وقتلت جماعته وفلّ حدّه واهتزم عَسْكره وجنده، وحال الله بيننا وبينه فلم يصب منا أملاً وخرجنا سالمين من غدره وخبره، وشكونا إلى كافة همدان ولم يمنعنا علم الله من المصير إليكم إلَّا أن دَوَابنا كانت معفاة في أهلنا، ثم جاهد الرجل بعتبه فوجب علينا ونحن واثقون بمحبتكم والعصبية معنا، ونحن نسألكم بسط العذر في تأخرنا عن بلدكم فنحن إن شاء الله تعالىٰ صائرون إليكم أحد النهارين ولسنا معولين بعهد الله إلَّا عليكم فانظروا ما يكون منكم في ذلك والسَّلام عليكم، فأما أخويكم أعزّكم الله من كهلان جميعاً فقد غضبوا معنا وحلفوا لنا ونزعوا أيديهم من طاعة هذا الغدَّار الجاهل بحقّ الله وحقوق العرب، وأنتم أولى من نصر وأقام معنا فأنتم العشيرة والعدة، ونحن وإياكم عَظْم لا مَفْصل فيه من قديم الزمان، وليس من كان آباؤه مع

---

(١) المراشي: جبل مقابل لبرط من جهة الشرق «المقحفي: ٥٨٠».
(٢) كذا ولعله «خير».
(٣) جمع حرم «معروف».

آبائكم وأسْلافه مع أسْلافكم مثل من لم يكن لـه قديم مـع قديمكم، ونحن وأنتم أخوة ورفقاء ومتشابكون في كل معنا وأسفاً[1]، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

نقلنا ذلك من خطّ المليح حرفاً بحرف، فقـرأها الإمـام عليه السـلام على من حضـره، وقال لـلإمام أبـو سلمة وأصحـابه: يـا ابن رسول الله قـد وصلنا هذا الكتاب ونحن لك على أتم ما يكون من الـوفاء بعهـدك والطاعـة في كل الأمور لك، ووصلنا هذا الكتاب ولم نر بأن نخفين[2] وصوله عنك، ولم نر له جواباً إلاَّ أن تأمرنا بذلك، فقال: الصَّواب ما رأيتمـوه والله يثيبكم على طـاعته ويثبتكم في السَّعي في مـرضاتـه، ونهض حتى صـار بغـرق[3] ونـزل من خارج القـرية وأصحـابه والشـرفاء، وكـانت تخرج ضيـافة الإمـام والشرفاء من عنـد بني الدَّعّـام وتجري مؤنـة العَسْكر من الخـراج من خزانـة الإمام عليه السلام، ثم إن الإمام جَمَع مشايخ بكيل كلهـا وشاورهم، فقـال لهم: يـا إخوة العـرب وبقـايا الإسـلام قـد علمتم مـا نحن عليـه وأنتم من الطاعة لله والقيـام في سبيله جبراً وبـدئاً[4]، فمن ذلـك أن عشائـركم، وكل من يتصـل بي منكم واختلفوا إليّ وسـألوا في القيـام حتى ساقتني الضـرورة إلى اليمن، فلما صرت باليمن جعلت نفسي بينكم ومنزلي في ديـاركم دون عشـائـركم، وجعلتكم خـاصّتي دون غيـركم، ثم قـد أدَّى من الأحـوال إليّ بسبب بني عمي بني المختـار هؤلاء مـا قـد بلغكم ثـم لم أجـمعـكم إلاّ لمشورتكم أن تكونـوا على العهد الـذي بيني وبينكم والنصيحة والـطاعة لله ولي جَدَّدتم البيعة وقمتم فيمن قدح في الإسْلام، وإن كان عزمك غير ذلك فبينوا إليّ ذلك، فلسْت أعتمـد من العرب على أصْلح منكم حتى أنـظر في رأي يحملني، وأجـابوه: يـا ابن رسول الله لا نسْتبـدل بطاعتـك غيرهـا ولا

---

(١) كذا.

(٢) كذا.

(٣) غرق: هو ما يسمى الآن بسوق دعام وهو موضع بـالجوف الأعلى «المقحفي: ٤٨١ وسيـرة الأميرين: ١٤٤» وقد سبق ذكره.

(٤) في الأصل هكذا «خبرا وندئا».

نتخذ لأنفسنا من الأهوى ما يضرّها، بل أنت سَيّدنا وإمامنا وابن نبينا فـآمرنـا بما شئت، فأمرهم بتجديد البيعة فَسَارعوا في ذلك، وأمر بقبض الأيمان من الجميع.

ونهض من غرق يوم الاثنين لعشرة أيام باقية من شهـر جمادى الآخـرة ونهض معه من أشياخ بكيل جماعـة، وقد كتب إلى الـزيدي أن يجمـع من كـان قبله من الرَّعـايا والجنـود فيما بعـد من المخلاف أو قـرب وتلقـاه إلى وَرْور[1] يوم الخميس لسَبْع باقية من شهر جمادى الآخـرة فأمسى آخـر نهاره من غدوته من غرق في مكان في الجـوف يسمّى المناحي[2] وكـان من الغد ونهض يـريد وَرْوَر فـالتقته صنـاف[3] كلها في هـران[4]، واجتمع بين يـديه منهم جيوش كثيرة ويَسْـألوه أن يـوجب لهم في منزلـه عليهم بِعَسْكره ففعـل فتنـاكر بنـو بحير[5] وبنـو الخـراش[6] في منـزلـه، وطلب ذلـك الكـل منهم فأصْلح بينهم أن جَعَل منزله في دار جشيم بـن الحسن وذلك أن جشيم هذا كان من بني الخراش وأخواله بني بحير، فكان في مـوضع الـوساطـة، وكان أيضاً من وجوه القوم وعرفائهم، فسمع القـوم كلهم بذلـك، وكان من الغـد ونهض في لقـاء الزيـدي والعَسْكـر إلى وَرْوَرْ، وكـذلـك أنـزل معـه جميـع الشرفاء ونزل الإمام عليه السلام بالقرية بدار رجل من قريش يسمى هـارون العمري، ووصل الإمام عند ذلـك كتب من سلاطين المخـلاف يَسْألـونه أن يعزلهم ولاية الزيدي ويجعل الوالي مكانه على صنعـاء، والمخلاف غيـره، فأراد الإمام عليه السلام إسْعَافهم خوفـاً من مضارهم فشـاوروه[7] على ذلك فرآه كارهاً وساخطاً لما عرض عليه، وقال للإمام عليه السلام: إذن لا دخل

---

(١) وَرْوَر: بفتح الواو وسكون الراء: جبل وواد في بني جبر بنـاحية ذي بين شمـال شرق قـرية ذي بين «الحجري: ٢١٩، والمقحفي: ٧٤٣».

(٢) المناحي: واد وبلد في الجوف على شط وادي الخارد «المقحفي: ٦٣٠».

(٣) صنـاف: حي من همدان من بكيـل من ولد صنـاف بن سفيان بن ارحب «منتخبـات شمس العلوم: ٦٤».

(٤) هران: بلد وواد من عزلة هران ناحية ذي بين قضاء عمران «سيرة الأميرين: ١٥٨».

(٥) بنو بحير «انظر سيرة الأميرين: ١٠٢».

(٦) في سيـرة الأميرين: ١٥٨ «بنـو الحراس» بـالحـاء المهملة وفي الإكليـل الخـراش بـالخـاء المعجمة والشين المعجمة أيضاً «الإكليل ١٠: ١٣٨».

(٧) كذا ولعله «فشاوره».

لك بعدها في خدمة، وعلم بذلك الجند، وكانوا في الحضرة فكرهوا ذلك، وقالوا: لا نرضى علينا غير ولاية الزيدي، وأتى إلى الإمام عليه السلام من يتنصح له، فقال: إن هؤلاء السَّلاطين لم يَسْألوك نزع الزيدي إلاَّ مكيدة منهم لأنه رجل شهم حازم في أمره، وقالوا: إن الدولة لا تَزْداد بولايته إلاَّ قوةً وعلواً وإذا وليت غيره لم يقم قيامه لخيرتهم له ولغيره، فأثبته الإمام عليه السلام على ولايته ووصَّى الجند والرعية بطاعته وصرفه لمخلافه وأمره بتحصيل الناس للغزاة إلى نجران لمُسْتهل شعبان سنة تسعين وثلثمائة فانصرف الزيدي إلى صنعاء فلما رأى السَّلاطين الإمام لم يسعدهم إلى ذلك أظهروا عليه العتب، وقالوا: عاملناك على أنك لا تحملنا على أمر نكرهه فأرسل إلى الزيدي يراوده في ذلك وقد هو بصنعاء، فلما رأى الزَّيدي الأمر قد كثر عليه من الإمام عليه السلام في النَّزع، وقد كان أتت إلى الإمام كتب من العنسيين يسألونه الطلوع بلدهم والنظر في أمورهم، وكاتبوا الزيدي أن يكون مقدم الإمام إليهم، فَسَرَى[1] الزيدي ليلته فأصبح بنجد[2] هران بجانب بلدهم واستخلف على صَنْعَاء بعده، وأرسل إلى الإمام أن ينظر في مخاليفه فلما بلغ بلد عنس اجتمعت إليه عنس كلها، وسألهم البيعة فقالوا: لك أم للإمام فقال: للإمام وأنا رسوله إليكم، وواليه عليكم فقالوا: فأبن كتابه بخطه إلينا، فقال لهم الزيدي اكتفى عليه السلام بمعرفتكم بصحابتي له وخدمتي، فقالوا: لا بدّ من الكتاب من الإمام بخطه فأرسل رسولاً إلى الإمام يعتذر إليه في نهوضه بلا أمره ولا تعريفه بذلك، ويذكر له ما واجه من القوم، فأرسل إليه الإمام عليه السلام كتاباً يعنفه فيه فِعْله، ويقول: أنت فصاحبي[3] ولا أحداً مما يسرّك يداً وأنت فتنت في بلد عنس ولا تحدث في المخاليف حديثاً ولا تطلب من أحد[4] فتنة ولا معاملة حتى تشتور عليّ ما يرضي الله عزّ وجلّ منا فله تبارك وتعالىٰ مسيرنا وتصرفنا واجتهادنا وبذل أنفسنا، وكتب له بخطه منشوراً إليهم أن يطيعوه ويولوه عليهم فهو وليّهم ومقدمته إليهم فبايعوه للإمام وقبلوا ولايته، فلما صار

---

(١) في الأصل «فسر». (٢) في الأصل «بنحد».

(٣) كذا. (٤) في الأصل «من أحداً».

هنالك كاتبه ولاة اليمن وسلاطينه وبايعوه للإمام وعاملهم من غير أمر الإمام ولا مشاورته وأعانه سلاطين اليمن بالأموال واتسعت ولايته هنالك باسم الإمام عليه السلام والدَّعوة لهم له.

قال الحسين بن أحمد: فأصلح الإمام عليه السلام أمور أهل المخلاف ونهض بهم مستهل شعبان وأذن جميع أهل الطاعة في المخاليف أن يصلوا عياناً لعشر تخلو من شعبان بالنهوض إلى نجران فوصلوه إذ ذلك من البونين ومَخَاليفه شكل من مائتي فارس ورجل كثير وكسر بعض أضداد الإمام من السّلاطين الجند والرعايا عن الغزاة معه إلى نجران، فنقل عسكره من جند البونين وراودوه وخرج معه كافة بكيل وكثرة وادعة، ونهض من عيان في عساكره يوم السبت لثلاث عشرة خلون من شهر شعبان من شهور سنة تسعين وثلثمائة فأمسى بمذاب، وكان قد زرع بمذاب قضباً كثيراً وأمر بجزازه علوفةً للعساكر فكفى العساكر علوفةَ تلك الليلة وزوّدهم لسفرهم، وكان من الغد ونهض فأمسى صَعْدة فأقام بها ثلاثة أيام يبيت عَسْكره وأمر أهل طاعته جميع قبائل خولان بالتأهّب للنهوض مَعَه لغزاة نجران، وأرسل إلى أهل طاعته بالحجاز أن ينهضوا للقائه إلى نجران، وكان له عليهم والٍ رزين بن أحمد بن يعقوب الهمداني، وكان ولّاه الحكم في بديء ولايته والتصرّف في الخراج وَجَعَل السَّلاطين عرفاء العشائر، ثم فل حدّهم في ذلك، ولم تستمر العشائر معهم وناكروا صاحبه رزين بن أحمد في الخراج وفيما رسم لهم فنهض رزين بن أحمد وجميع سلاطين العشائر من أهل ولايته، وهم وادعة ويام وسنحان[1] وجَنْب[2] حتى وصلوا حضرة الإمام بصَعْدة، وسأل رزين بن أحمد الإمام أن يعفيه من الولاية وأن يجعله خادماً له في حضرته، وقال: أنت تعرف انقطاعي في صحابتك في الحجاز وفي اليمن، وأنا أريد بذلك وجه الله وقربك أقرب إليّ ما يُرضي الله عزّ وجلّ، فقال له الإمام عليه السلام: أولياء الله تحملوا أمور الله ولا أعفيك من

---

(١) هم سنحان عسير وهم سنحان بن عمرو بن حارثة بن ثعلبة من قضاعة وبلدهم هنالك «سيرة الأميرين: ١٢١».

(٢) جنب: حي من اليمن من مذحج «منتخبات شمس العلوم: ٢٢».

الولاية والخدمة في مثل ذلك، فقال له رزين بن أحمد عند ذلك: الأمر لك ولا أمر لي دونك، قال الإمام عليه السلام: فإني قد نزعت كل يد من السّلاطين مع يدك ووليتك جميع البلد أحكامها وجميع خراجاتها، والقيام على ما خالف الأمر منهم واستفتاح بلد من لم يكن في طاعتنا، وجعلنا هؤلاء الذين كانوا معكم عونك وتبع أمرك فشمّر فيما وليتك وعليك بالحزم وافتقاد من تولّى من تحت يدك وآمرهم بالعدل على الرعية، ورسم الإمام عليه السلام رسوماً في الخراج لهؤلاء العرفاء يرضيهم وصرفه وآتاهم، وكان ذلك في مُسْتهل شهر صفر سنة وثمانين سنة[1] [2]، فلما أن أتت غزاة نجران هذه وجمع العَسَاكر أرسل إلى رزين بن أحمد أن يلقاه إلى نجران بأهل ولايته ويحشدهم في ذلك ويزودهم من عدم الزاد، وكتب إليه كتاباً وأمره أن يقرأه عليهم، نسخته:

بسم الله الرحمن الرَّحيم، كتبت إليك يا أخي أسأل الله حفظك ودفاع السوء عنك كتابي هذا بَعْد أن وعدنا عَسَاكرنا المنصورة لغزاة نجران وأمرناهم بالنهوض والحال بنا جميل، وربنا الحمد بعد أن كنت قد أنفذت إليك نسخة كتاب الدَّعوة لأهل الطاعة على هؤلاء الباغين أهل نجران وأمرتك في كتابي هذا من الأمر بما وقفت عليه، وتقدمت إليك في الاستعداد وتخدم للرجال الأنجاد في اللقاء إلى نجران فتنتظرنا يا أخي أحْسَن الله توفيقك، وكان في كافة الأمور معينك، أنت تشد وتحزم في أكتاف الجماعة والتجهيز معك لما قدرت عليه من الزاد والنفاعة ولا تزهد في رجل واحد يستحقه فإن أهل الحجاز عرب أولو حفائظ ونجدة وصبر على المكروه فحرضهم على الخروج أشد التحريض وذكرهم ما عقدوا لله ولنا في رقابهم من العهود، وما يجب عليهم من الوفاء بذلك، قال الله عزّ وجلّ ﴿**وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً**﴾[3] وحذرهم ما يلزمهم من الحنث

---

(١) كذا في الأصل ولعله وهم من الناسخ لأن الكلام على حوادث شهر شعبان سنة تسعين وثلثمائة.

(٢) بياض في الأصل.

(٣) الآية: ٣٤، سورة الإسراء.

بـأمـوالهم وأزواجهم وممـاليكهم ويصيبهم في أنفسهم، وتحثّ عليهم من سخط ربهم إذا تـأخّروا عن إجـابـة دعـوتنـا لجهلة الفجـرة البـاغين الكفـرة ﴿**الـذين بدّلـوا نعمة الله كفـراً وأحلوا قومهم دار البـوار**﴾[1]، ولم يـراعـوا حـرمة رسـول الله وحرمتنـا وغَدَرُوا في ذمّتنـا وأنكروا حقّنـا وكفروا إحسـاننا وقالوا بالبغي من دون البرية في وجوهنا وأعلمهم ما ينالون من الغنـائم التي يغنمـونها والعـطايا من بعـد ذلك ثـواباً لفعلهم، وبعـد ذلـك ثـواب الله في الآخرة الجزيل وعطاؤه الجليل الذي وعد به من جاهد في سبيله وبـاع نفسه حيث يقـول عزّ وجـلّ: ﴿**إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأمـوالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشـروا ببيعكم الذي بـايعتم به**﴾[2] الآية وعـرفهم وأوقع عنـدهم كثرة شكـري لهم واعتدادي بهم وثقتي بـطاعتهم واعتمـادي عليهم في وفـائهم وصحبتهم، والله يـوفقـك ويتـولى عـونك، وقـرأت عليك السـلام كثيراً طيباً، والموعـد لك على نجـران يوم السبت أحد وعشرين يوماً خالية من شهر شعبان عرف الله الجميع منـا بركـة هذه الغزاة وأرغم بها جميع أعدائه.

ونهض من صَعْـدة يوم الخميس فـأمسى ظهر الـركب ونهض من الغد وأمسى في أعْلا وادي نجران بـالتريـة، وكان من الغـد فنهض فنزل البقيـرة قبال قرب الهجـر فضرب مضـاربه بعسـاكره وأمـر الناس الثبـات والاطمئنان ولقيه هنالك رزين بن أحمد بقبائل الحجاز في عسكر كثيف من وادعة ويام وسنحـان وجنب، واجتمعت عساكـر الإمام خيـلاً كثيراً ورجـلاً كثيـراً يكـون الخيل شكلاً من خمسمائة فارس، والرجـل خمسة آلاف فنـزل الإمام عليـه السلام البقيرة ولم يشعر في آخر نهـاره إذ شدّ من عَسْكـره خيل ورجـل من خفان الناس وطماعهم وأهل الجهل، فصاح الإمام عليه السلام فلم يسمعوا لنَهْيه، فأمـر من يردّهم فلم يـطيعوا وتمـارى بهم اللجاج في عصيـان الإمام عليه السلام حتى نشبهم القتال على باب قـرية الهجـر، فَسَأل الإمـام بعض

(١) الآية: ٢٨، سورة إبراهيم.

(٢) الآية: ١١١، سورة التوبة.

من حضره: أتأذن للناس في مادة من قد خف للقتال وشدّ إلى القوة، فكره ذلك وقال: لن أكون تبعاً للسّفهاء في رأيهم ولا للناعقين من أهل الجهل في غيّهم، فثبت القتال قليلاً، ثم لما لم يروا الإمام لحقهم ولا أمدهم من العساكر أحداً زادوا العطفة فولّوا راجعين إلى موضع الإمام بَعْد أن لاحموا القوم، فحمل في أعقابهم أهل نجران واغتنموا توليهم فصارت هزمة، فقتل منهم نيف وعشرون رجلاً، ووصل الإمام عليه السلام هزيم الناس فغضب من معصيتهم وخلاف أمره منهم، وثور عند ذلك آخر نهاره منقلباً فبات بالأرباط في بلد شاكر في أعلى نجران ونهض من الغداة، فبات بعسكره ليلة من دون صعدة وأمسى ليلة الثاني فصرف العساكر إلى بلدانهم، وكثر عتبه على من عصاه من عَسْكره، وغار[1] في تثبت ولاته ومخاليفه في شهر رمضان، فلما أن قضي عند رمضان نهض طريق اليمن وزار على جميع أهل ولايته وحضّ أهل الطاعة بقصيدة من شعره يقول فيها:

إذا خذلتني حاشد وبكيل … وحمير حاش العزّ وهو خذيل

حتى وصل شبام حمير وجمعهم واستنصر بهم وأرسل إلى كل سلاطين اليمن ممّن كان مسالماً معاملاً وسألهم المعونة فأعانه ابن أبي الفتوح[2] بخيل ورجل أرسل فيهم أحد بني عمّه، وكذلك المنتاب أرْسَل معه رجلاً وأعانه بمال، وكذلك عبد الحميد صاحب حبل تيس أعانه بمال وخاطب الجنود بنفسه والرعايا ولم يَعْذر أحداً في المخرج معه وَوَعد الناس نصف شهر ذي القعدة من شهور سنة تسعين وثلثمائة سنة، فاجتمع إليه عَسَاكر عظيمة جميع قبائل همدان وحمير وصلوا إليه عيان بالسوق معه والعلوفة من مخاليفه ونهض من عيان فأمسى مذاب، وخلف ما كان فيه من القضوب[3] والعساكر، وزوّدهم ما وجدوا من علوفته، وصار إلى صعدة

---

(١) كذا ولعله «وعاد».

(٢) هو أسعد بن أبي الفتوح (انظر أخباره في تاريخ صنعاء لابن جرير الصنعاني: ٩٥ بتحقيقنا).

(٣) اللفظة بدون إعجام ولعلها هكذا، والقضوب هنا جمع قضب وهو البرسيم علف الماشية (معروف).

وأقام بها يومين وجمع خولان فخرجوا في عساكره، وأرسل إلى رزين فلقيه بأهل الحجاز فدخل نجران في عساكر لا يتعدّ[1] ذكر من وقف للخيل بعدها أنها طلعت فوق ألف فارس، وأما الرجل فلم يعتدوا، وقَصَد بهم البقيرة، وأمَرَ الناس بالسّكينة والوقوف تلك الليلة، فلما كان من الغد عزم أن ينهض بعساكره أسفل نجران تحت الهجر، وأراد أن يأخذ بلدهم من أسفلها، وهو يَقْطع نخيلهم ويهدم ما هنالك من الحصون، فاعترض لهم في الرأي مشايخ من عَسْكره، وقالوا له: يا ابن رسول الله تأخذ القوم القتال، وكان فيمن اعترض له ربيح[2] بن حماد من البون من صليت[3]، وقالوا: يا مولانا معك عساكر لا ترد ولا تغلب ولا تثنينا[4] عنهم ولا تمنعنا من قتالهم.

قال الحسين بن أحمد: قال الإمام القاسم بن علي عليه السلام: فلما رأيت الناس كلهم كارهين لرأيي ويحبون القتال أجبتهم إلى ذلك واتبعت في فعل رسول الله[5] صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم حيث أراد التحصن بالمدينة والقتال فيها فكره أصحابه، وقالوا: لا نقاتلهم إلَّا نادراً من القرية ولا يرون إنا احْتجبنا منهم تجدد عديتنا[6]، فأجابهم إلى ذلك، وهو يعلم أن رأيه كان أعز له ولهم فرجعوا بعد ذلك لما تبين لهم إفك رأيهم يَسألونه أن يقيلهم[7] بعد ما خرج فلم يجبهم إلى ذلك، وكذلك قد علمت إفك الرأي في مسألتهم في تعجيل القتال ولكن أسْعدتهم لما اختاروا، فقسم النّاس فجعل فرسان البون ومقاتلتهم على باب قرية وكانوا أكمل عسكره عدداً وأقواهم جنداً، وجعل حمير وقبائل العرب ممّا يلي البقير[8]

---

(١) كذا ولعلها يعتد كما سيأتي.

(٢) ذكره صاحب تاريخ صنعاء: ١٢٩ بتحقيقنا وفيه زنيخ.

(٣) صليت: بلدة خربة في وسط البون «صفة: ٢٢٠».

(٤) كذا واللفظة خالية من النقط وربما قرأت هكذا: تقنيناً.

(٥) كان ذلك في غزوة أحد أنظر سيرة ابن هشام ٣: ٤٦.

(٦) كذا.

(٧) كذا واللفظة مكتوبة هكذا «يعتلهم» وأصلحناه من عندنا.

(٨) يحقق إذا كانت هي الأبقور المذكور في صفة جزيرة العرب: ٢٢٥ من بلاد خولان صعدة وإن كانت المعركة هنا في نجران، فيحقق.

والأحـدود(١) وظلّ القتـال من أول النَّهار إلى آخـره حتى فرض عليهم درب الهجر مفارضـاً كثيرة وقتـل منهم قتل كثيـر، وقتل ذلـك النَّهار من أصحـاب الإمـام حرب بن نقصـان(٢) على باب بـرر(٣) وقتل معـه من سائـر العَسْكر ثلاثة رجال، فلما كان آخر النهار، نهض الإمام عليه السلام بعساكره أسفـل نجران وأقام بها ثلاثة أيام يقطع نخيلهم ويهدم حصونهم ويستظهر بنصر الله عليهم، وأمر النجارين فعملوا دَبَّـابة على عجـل لتحملها، يـريد أن يـدخل تحتها الرجال، وهم يقاتلون عند حائط قرية الهجر لهدم حائطهـا بالـدبابـة، فلمـا كان يـوم الثلاثـاء في عقب شهر ذي القعـدة من سنة تسعين وثلثمـائة سنة، نهض الإمام عليه السلام لقتالهم على القرية ومعه الدبابة مفصلة على الجمال فدبّت لقتالهم من ناحية البقيرة وأمر بنقله فحطّ وانتخب عمارتـه مع النقل من حذا البقيرة، وكان أبـو عفير اللَّعـوي فيه طعنـة من القتال الأول، فكان في عمارته الإمام عليه السلام، وأمر الإمام إقامة الدَّبابـة وهو في فنـاء قرية الهجر، وإذا عسكره كالمكذبين عن القتال فحرض الناس ونشب الناس القتال وأصْلح الدبابة وزحف بها للقتال، فهو كذلكم هو ومن معه نـاصح لله ولرسوله، إذا الناس في حضحضـة وهزيم وخـالط أبا عفيـر وأصحابـه الهلع من الخوف، فثور العمارية وانهـزم بها، فـظن عند ذلـك جميع العسـاكر أن الإمـام قد اهتـزم حيث انهزمت عمـاريته، وكـان ذلك سببـاً لهزيمـة جهّـال الناس، ثم لم تستقر بعد ذلك أقدام الناس عن الهزيمة، فولَّى الناس جملة وحمل بنو الحارث على الإمام عليه السلام وعلى أصحابه الذين عند الدبابة فقتلوا منهم رجلهم، وقتلت الخيل، ونادى الإمام الناس بالثبات فلم يسمـع له إلاَّ أولـو حفارط(٤) قليل مثـل أبي النار المـرهبي، ورجال معـه، فإن أبـا النار هذا أحمى أعقاب الناس في الهزيمة الأولة، وشهد له ذلك النهـار بلاء

(١) كذا في الأصل بالحاء المهملة وفي معجم المقحفي: ٢٠، الأخدود بالخاء المعجمة موضع في نجران وهو الذي حدّه الملك ذو نـواس الحميري وأحـرق المتنصرين فيـه ويقع شـرقي وادي نجران.

(٢) كذا في الأصل ولعله يقظان.

(٣) كذا وربما قرئت هكذا: قرر.

(٤) كذا ولعله حفائظ.

لم يشهد لغيره ولجعفر بن الإمام القاسم بن علي وكذلك أبلى في الهزيمة الآخرة مع الإمام عليه السلام، وجاهد الإمام عليه السلام في ذلك النهار جهاداً عظيماً وذبّ على أعقاب عسكره حتى سلم من ذبّ عنه، وتعقب معه على أعقاب الناس إبناه جعفر وعلي، وابن أخت له من الرسِّيين يسمّى الحسين، وخادمه عامر بن غياث، فظلّ هو وإياهم على أعقاب الناس وهو طلق اللسان ثابت الجنان، ثم لحق أصحابه هؤلاء الذين معه شيء من الهرج والمرج لما أحاط بهم إذ لم يبق غيره بهم وغيرهم فألحوا عليه في الإسراع بالاهتزام فزجرهم، وقال لهم: إن كنتم قد جبنتم فاذهبوا وإلاّ فسيروا وآسكنوا فهذه مصارع آبائكم من قبلكم، فلما انقضت الوقعة، قال: ما منعني أن أهتزم باهتزام الناس إلاّ أن يقول أصحابي فرَّ إمامنا ففررنا وأردت إثبات الحجة عليهم بالكون في أخراهم، وذكر الحارثيون أنهم طعن فيهم ذلك النَّهار طعنات وشهدوا له بشدة الصبر والبأس، وقتل من عساكر الإمام وجهاً، ولم يهتزموا وجهاً واحداً اهتزم بعض السهل وبعض خيلاً من يماني نجران يسمى ملوطاً شكل من سبعين رجلاً فيهم من الأشراف رجلان أحدهما ابن عمّه الحسن بن عيسىٰ بن عبدالله، والآخر علي بن حمزة من سائر بني الحسن، وقتل جماعة من شيعته رحمهم الله تعالىٰ منهم إبراهيم ابن همّام، وعبدالله بن أبي سهيم، وعمار بن أحمد، وكان هؤلاء من أقدم أصحابه هجرةً إليه، وأكثرهم حرصاً فيما يرضيه رحمة الله عليهم، وصار الإمام بصَعْدة فدخل عليه بعد أن قعد في مجلسه في دار بني الملاح بعض أصحابه فقال: يا ابن رسول الله سمعنا من يشمت عليك حين هزمت من أهل صَعْدة فقال: لا يغضبكم ذلك ولا يغمكم فلم تزل الرَّعايا تخالف[1] على سلاطينها وحيناً يكسرون عساكر سلاطينهم وحيناً يظفر بهم وليس ذلك شيئاً ينقص ديننا الظالمون أجلوا علينا ولم يَصْبروا للجهاد معنا، وهم بذلك ألوم وعذاب الله لهم عذاب عظيم.

وقد روي: أن بعض الجنود عامل أهل نجران على أن ينهزموا بعَسْكر

(١) الأصل «تخاليف».

الإمام عليه السلام ودَسّوا لهم شيئاً من حطام الدنيا، والله أعْلم بما روي عنهم فأما ترك القتال، فقد فعلوا وتولوا عن إمامهم وخذلوا، وعند ذلك أغضبه أقوال الناس فكتب كتاباً نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمدلله رب العالمين الحمد لله الذي أسْعَد بهدايته المهتدين وأيّد بنصره المطيعين نحمده على إحسانه علينا ونجل عليه الثناء لاتصال نعمته بنا، ونشهد أن لا إله إلاّ الله شهادة موقن بوحدانيته معتضد بالدَّليل على ربوبيته، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم، أما بعد يا أهل اليمن فإنا لم نتعرف إليكم بما قد عرفتموه منا لكنا قد نعرفكم بما لم تحيطوا به علماً ألا وقد ضمنا وإياكم أمر لو لم يكن قد جمعنا عليه ولا نسبنا إليه لكان في ذلك بشير لنا ولكم، وصيانة تشملنا وتشملكم، وقد أصبحنا الآن وأمسينا على أقبح ما أمسى عليه قوم وأصْبحوا، ومنا من يظن أن ذلك هين وهو عند الله عظيم وعند جميع خلقه، فبماذا تعتذرون إلى من تلقون أم من المعتذر عنكم عند من لا يشاهدون، هيهات والله ذلك أمر معدوم، إن مسيركم ومن يعرف باسمه ونسبه منكم، قد سارت بذكره الركبان، وهتف بعلم مخرجه في جميع البلدان، وكما قد ذكر مسيركم شهر إجماعكم، فسيذكر ما فعلتم وبما فعل بكم، أفترضون يا كافة ولد قحطان ومن يرمي من قريب وبعيد بالأعيان ويسمع لأفعاله بالآذان، أن يتحدث عنكم في جميع مناكب الأرض بأن قد ردّ كافيكم وسري بكم ومن ينظر إليه منكم أصوات قوم من دونهم جَدَر قد هدمتموه وأبحتموه وعشرون فارساً استولتكم فألقتكم خفافاً بأجمعكم مرتدين على أدباركم ناكصين على أعقابكم غير مستنكرين لفعالكم ولا بمفكرين فيما حلَّ بكم لهذا فعال قوم يهتدون لواضح سبيل أو يستدلون على الله بدليل، هيهات هيهات أتنتبهوا رحمكم الله من هذه النومة الثقيلة وأفيقوا من هذه الغفلة الطويلة ثم انظروا وفكّروا فإنكم تجدون حين تفكرون وتدرون حين تنظرون أن قوماً في حصنهم متحرّرين وعشرين فارساً ممن يرذلون لا يطردون فوق ألف فارس ودون خمسة آلاف راجل، وليس ذلك ممّا يتعارف

الناس بينهم بل أيقنوا أنكم لا تؤتون إلّا من قبل أنفسكم وفي سيّىء[1] نياتكم وقلب رعيتكم في خالقكم وفيما رغبكم فيه من جهاد عدوكم، فلما علم ذلك خذلكم فكنتم كما قال عزّ من قائل: ﴿**إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده**﴾ الآية[2] لأن ذلك والله عدمناه وسنعدمه فيما بقي إن يكن جهادنا لله وفيه إذ كأنكم لم تجدوا فيما نزل الله في كتابه أنه لا ينصر إلّا من نصره وذلك قوله عزّ من قائل: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم**﴾[3] فهل تجدون لله وعداً بالنصر إلّا من نصره ألا وقد تعلمون قِلَّة الرَّاغب منكم في نصر الله فهل من توبة تعتاضون بها ما أضعتم وتريدون[4] بها ما فوّتم فلم تفوتوا أنفسكم قليلاً إنكم في حال من فاتته الدنيا والآخرة وحسن القالة المأثورة، فاتقوا الله وعودوا إليه واستغفروه من ذنوب أذهبت نهاكم، وفوتت آخرتكم لدنياكم، إنكم وليتم القوم الدّبر إلى غير فئة تحيزتم إليها لأني فئتكم التي تجوز التولية إليها، فلينظر كل منا إلى متحيزه فمن أصابه فقد نجا، ومن خالفه فقد ضلَّ، وهو أو هو كما قال عزّ وجلّ: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره إلّا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضبٍ من الله ومأواه جهنم وبئس المصير**﴾[5] فالراجع وحكم الله عن القتال إلى فئته غير مولٍّ فالناجون منكم عند الله من ارْتد إليّ، والهالكون من كان مولياً بين يدي، لأنكم فئتي التي أتحيز إليها، وأنا فئتكم التي تتحيزون إليها، ألا والأقرب عمّن تاب من دينه أو رجع إلى فئته ولو من بعد بلوغ مستقره فاحضروا جميع أنفسكم جميع النية الجميلة[6] وتوبوا إلى الله فإنه يقبل التوبة ويعفو عن السَّيئة ويضاعف

---

(1) في الأصل «شيء».
(2) الآية: ١٦٠، سورة آل عمران.
(3) الآية: ٧، سورة محمد.
(4) كذا ولعله «تردون».
(5) الآية: ١٥ ـ ١٦، سورة الأنفال.
(6) في الأصل الجملية.

الحسنة، والله يقول وقوله الحق: ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾[1] فارغبوا رحمكم الله فيما يحييكم من الله ويفيدكم ثوابه ويجنبكم عقابه، ألا ولا يزهدنكم في التوبة والعودة إلى الله ما أنتم عليه من المظالم المتقدمة وتريدون أن لا يغفر لكم وأنتم عليها، ولستم إلاَّ كمن ألقاه نبيكم صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم على المظالم فلما تابوا وأقبلوا لم يضرهم ذلك وتاب الله عليهم، فثبوا وأقبلوا وأصلحوا يغفر لكم ولا يَسألكم عن سالف أعمالكم، ألا وقد جرت هذه المحنة ودنا من الناس فرقة، فهل فيكم بقية تسمع بها منكم أنية[2] جميلة تحدث لكم فلا تطلقوا حبلكم من أيدينا، أو ولا بقية ولا مطمع فيكم فيئسنا[3] ذلك منكم فالله يقول وقوله الحق: ﴿وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾[4] فردّوا علينا من الجواب ما نعمل عليه وبه منكم، واعلموا أنكم إن عطفتم لطاعة فلن تزالوا معنا في محنة وفتنة فلا تجعلوا بعدها المقام لنا معكم خَطْباً تذموننا بعده، فليس لما نحن فيه فواق ولا نسوم ولا لذة، ولا تكونوا من الذين قال الله فيهم: ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة﴾[5] فلست بعد الذي جرى أجبي لأحد درهماً وأنفقه عليه وهو جالس في بيته ولا ننفق على أحد إلاَّ على من سار في سبيل الله ففي حال المسير ننفق الجبايات، فإن وافقتموني على هذه الشريطة فها هنا لكم وبين أيديكم، ومن بعد الانتصار ممّا قد جرى عليّ وعليكم أجعل لكل من يخدمني في سبيل الله ما يقوم بفرسه ومرامه سلاحه، وإن فتح الله وزاد الخراج زدنا كلاًّ بقدر خِدامه في الإسلام، هذا مِنَّا إذا وقعت الاستقامة منكم، وإن وقع اختلاف وقلة الاستقامة وقلّ عون الجماعة فلن يتم لنا ولكم المراد ولن تؤول بنا وبكم الأمور إلاَّ في الفساد، فأجمعوا على ما

---

(١) الآية: ٢٢٢، سورة البقرة.
(٢) كذا.
(٣) كذا تقرأ هذه اللفظة.
(٤) الآية: ٣٨، سورة محمد.
(٥) الآية: ١١، سورة الحج.

أفدتم إمَّا بصرف عن هذا الأصْر، وإمّا بمدخل فيه على ما قد شرطنا، واعلموا إن وافقتمونا على ما قد نذكر بدا معكم البيعة من يومنا هذا وأكدنا العهود بيننا وبينكم، وإن كرهتم ما عرضنا عليكم ولن تكرهوا ذلك كلكم، عاملنا من يقع الوفاق بيننا وبينه وأمسكنا عن خلطة من لم يوافقنا على ما يحملنا وإياكم، وكتابنا هذا فإلى من حضر من كافة ولد قحطان ونحن نكتفي بمن حضر عمّن غاب إذ الحاضرون وجوه الناس والنائبون عمّن غاب منهم، فأجمعوا رحمكم الله على رأي يحملكم فها أنا حاضر معكم إن وقع اتفاقكم على ما يقيم العز في الدنيا والآخرة، وإن لم تتفقوا على ذلك فلا يُلحقني أحد منكم لائمة فلست بمقيم على هضيمة الدّين، ولم آت اليمن معتاشاً ولا مرتاشاً إنما أتيته لأدرك بأهله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووضع الأشياء في مواضعها، فإذا عدمت ذلك منكم وفيكم ففرض المقام عني ساقط واللوم لغيري مخالط، ولست أملك إلاَّ نفسي وما أحترز به في يدي، ولَسْت أضلّ السَّبيل إلى الله والله لا يضيّع أجر من أحسن عملاً، والسلام على من اتبع الهدى، والحمدلله أولاً وآخراً كما هو بالحمد أولى، وصلّى الله على سيدنا محمد المصطفى وعلى من طاب من عترته وزكا.

قال الحسين بن أحمد بن يعقوب: فلما رأى الإمام عليه السلام خذلان عَسْكره وقلة ثباتهم على الجهاد معه ترك نجران وأهلها إلاَّ من أراد منهم طاعته مثل الأحلاف ووادعة وأهل الطاعة من يام وشاكر فالتزم بهم وخلا بني الحارث منتظراً لنصر الله عليهم، وكان عنده في حضرته محمد ويحيىٰ إبنا الأمير أبي الطِّيب منتظرين لهبوطه تهامة وفتحها وذلك أنهما سألاه أن يوليهما ساحل عثر[1] فأوجب لهما، فلما رأيا خلاف عَسْكره وقلة عزمهم في الجهاد معه استأذناه في الانصراف إلى بلدهما إلى أن يفرب نصر الله لإمامهما وابن عمّهما، وبلدهما واد في شاطىء مكة، فأذن لهما الإمام عليه السلام وزوّدهما وأصحبهما ما قدر عليه، وثبتت الولاية في

---

(١) في الأصل عثير. وعثر: مدينة تهامية مندرسة على شط البحر الأحمر بين حرض وحلي «المقحفي: ٤٢٨».

مخاليفه وقوّم أحْوال أهل طاعته، وسأله أهل اليمن أهل مخلاف صنعاء أن يولي عليهم ابنه جعفر بصنعاء وراوده في ذلك السلطان أبو جعفر أحمد بن قيس، وكان بها والٍ للزيدي، وكان من تحت يده، وكان ابن قيس يكره ولاية الزيدي له في غزاتي نجران هاتين الأخيرتين، واستغار باليمن وأهله أكثر العتب عليه، وحمل الناس بين الإمام وبين الزيدي السعايات، وكثر خلاف الزيدي للإمام في جميع ما يأمره من الأمور التي تصلح بها الدولة وتحسن بها العاقبة، فيفعل الزيدي بذلك ما يوافقه لدنياه ويستحسنه هواه ممّا خالف أمر الإمام، ثم إن ابن أبي الفتوح كان معاملاً للإمام عليه السلام معاهداً فخرج الزيدي من ذمار بعنس إلى مخلاف أسعد بن أبي الفتوح إلى الهان فلقيه أسْعَد فاقتبلا للقتال فدافعه أسعد عن مخلافه فقهره الزيدي وهزمه من الهان(1) وملكها وولي فيها دعار ذماراً فجمع العساكر الكثيرة إلى الزيدي مخلاف ذي(2) جرة، فلما علم بذلك أسعد من فعله أرسل إلى الإمام لَيَسْتغيثه، ويسأله أن ينهى عنه الزيدي، فكتب الإمام عليه السلام إلى الزيدي يسأله الإمساك عن أبي الفتوح ويذكر له أن بينه وبينه مسالمة، وأنه كما رجع عَسْكره من نصرته إلى نجران فلم يَنْتهِ الزيدي لنهي الإمام، وخرج ببلدانه فأضرب حصونها وقطع خضرها(3) وهزمه من محله، وهدم حصنه وشرده، وعظمت ولاية الزيدي عند أهل اليمن وأمسك الإمام عن أمره ونهيه وأظهر العيب عليه في جميع أفعاله والتزم الإمام بمخلافه مخلاف همدان وخولان وثبت ولاته.

بسم الله الرحمن الرحيم، **قال الحسين بن أحمد**: ثم إن الزيدي سأل الإمام أن يلقاه إلى بعض مخلافه حتى يعتذر إليه ويشاوره فيما يَعْلو من أمره ونهيه بَعْد هذه الأشياء كلها، فردّ الإمام عليه رقعاً يقول فيه: يا ابن

---

(1) الهان: جبل في آنس ينسب إلى قبيلة الهان بن مالك من قحطان وبه يعرف مخلاف آنس.

(2) ذو جرة: هو الاسم القديم لما يعرف الآن ببلاد سنحان وبلاد الروس واليمانيتين من خولان العالية بالجنوب من صنعاء، وبها قرية تعرف بذي جرت هي اليوم أطلال. «انظر المقحفي: ١١٩».

(3) يقال: قطع خضراءها أي سواد القوم ومعظمهم.

عمي قد وليتك لأن تفعل ما تفعل بأمري ثم عملت برأيك، وأنا فحيث تعرف فصلني أن أجبت، وكنت تريد صلاحاً ورتقاً لهذا الفتق الذي فتقت، وكان الإمام عليه السلام إذ ذلك[١] بمذاب فنهض الزيدي من اليمن حتى صار بصنعاء وأرسل رجالاً من وجوه العشائر وبعض أهل محبة الإمام إلى حضرة الإمام إلى مذاب يتوسَّل إليه ويسألونه أن يتفضل على الزيدي بلقيته إلى بعض بلد همدان يعتذر إليه الزيدي بأنه يخاف السلاطين أن يمكروا به، وإن سار في عسكر كثير إلى مذاب أغرمه وأضرّ به، فأسعف الإمام مسألته ونهض حتى صار بوَرْوَرْ بمخلافه من بلد بكيل، فنهض الزيدي من صنعاء وكان لقاؤهما بمدر[٢] بمشرق هَمْدان، فسلم على الإمام واعتذر إليه وأبدى له القبول لأمره والطاعة في كل الأمور له، وسأله أن يطأ معه صنعاء ولم يكن الإمام قبل وطئها ذلك، فأسعده إلى ذلك ونهض معه صنعاء.

وكان دخوله لها في شهر محرم سنة إحدى وتسعين فلبث الإمام عليه السلام ليلتين ورسم للزيدي ما يفعل ونهاه عن عداوة ابن أبي الفتوح وأمره بإطلاق مخلافه له، مخلاف خولان ذي جرة وراود ذلك والتزم الزيدي بالهان ورسم لابن أبي الفتوح منها مالاً يحمله إليه، وخرج الإمام عليه السلام من صنعاء، وكان طريقه الرحبة[٣] ثم طلع مطرة[٤] بلدان عذر فوطئها، وسألوه ذلك يتباركون بوطئه بلدهم، فأضافوه وعسكره وبرّوه، ولبث عندهم ليلتين، وثبت في بلدهم واليه عليهم، ونهض من عندهم فأمسى بقرية تسمى دثينة[٥] ونهض منها فأمسى بمدر، ثم منه إلى وَرْوَر ونهض من وَرْور إلى الجوف، وجعل طريقه إلى عيان ونَهَض من عيان إلى مذاب، ثم وصله من عولته[٦] بترج وهو بوادي مذاب من وطن سفيان من أقاليم صَعْدة

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) مدر: قرية من عزلة الخميس ناحية أرحب شرقي ناعط «السيرة المنصورية: ٦٣٧».

(٣) الرحبة: هي القاع الفسيح الممتد من الروضة في شمال صنعاء حتى بلد أرحب «السيرة المنصورية: ١٣٢».

(٤) مطرة بفتح أوله وكسر ثانيه بلدان نهم وأرحب «الصفة: ١٥٤».

(٥) لم أجدها وهي غير دثينة المعروفة وفي الصفة ٢٥٧ الدثينة: ماء في بلاد رحابة.

(٦) كذا ولعلّه غولته بالغين المعجمة وهي غولة عجيب بلد الإمام ومستقره.

كتب من بلد خَثْعَم من الحجاز بعد كتب وصلت قبلها عدة، يشكون إليه اختلال الأحوال بهم وإزم الزمان عليهم ومَعْصية أهل الطاعة لديهم فعزم بالنهوض لإصلاح أحوالهم وإصْلاح ما يشكو ونقلتهم إن رأى نقلتهم عند وصولهم ذلك، فعزَّز بكتاب إلى أهل بيعته وطاعته وجميع مخاليفه باليمن يَسْألهم الصحابة والمسير معه بإطلاع ذرّيته أو نقلتهم، وَوَضَعَ الكتاب وأمر أحمد بن الحسين أن ينسخه نَسْخاً إلى جميع من سمًّى فيه من القبائل، نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم، قد علمتم أيها الإخوان والأولياء تولّى الله كفايتكم، وأثبت بالتوفيق هدايتكم مكان أهلي وذرّيتي وطول غيبتي عنهم، ثم قد تواترت كتبهم إليّ وكثر عتبهم عليّ في طول غفلتي عنهم، وقد خفت من الله المأثم في ذلك فلم [يعد][1] بَعْد الذي قد شكوا من أحْوالهم من معذرة أعتذر بها ولا يعذرني بها غيري، وقد عزمت بَعْد الخيرة من الله على المسير إليهم واطلاع[2] أحوالهم وأحوال أهل بلدهم ولا معذرة لي في إهمالهم بَعْد ما قد عقدوا من رقابهم[3] وما قد يلزمني من افتقادهم، ثم تعاللت نفسي وتسامحت مسيري بغير صحابة منكم ولا الزيادة لجماعتكم، وخشيت أيضاً أن يكون في ذلك عتب عليّ وعليكم ونقص لي ولكم فأوجب الرأي ما قد ذكرت أن أسأل كافة[4] بني بكيل وحاشد وحمير وخولان الصحابة من كل حي تنفذ بغير كل حي من يخرج منهم على سفرهم ليشركوا بذلك في الثواب معهم، ويخلفوهم بالكفاية لأهلهم وأموالهم يكون كفايتهم في الزاد علينا وبرّهم عند المرجع فيما يجري على أيدينا من مال الله جَلّ اسمه لكل حي في بلدهم ما أجعل لهم، وأفضل من ذلك ما لا يذمونه من الله سبحانه ومن ثوابه الباقي، وحسن خلافته الجميلة بمن فصّل

---

(١) زيادة من عندنا.

(٢) الأصل «أطلا».

(٣) كذا في الأصل وقد تقرأ رقاهم.

(٤) كذا في الأصل.

جناحي، ويكثر بي وجماعتي، فانظروا في هذا الوجه نظراً أشكركم عليه ويثبتكم الله فيه، والله لا يضيّع أجر المحسنين، والحمد لله رب العالمين، وموعدي من يجب دعوتي ويحب صحابتي يوم الجمعة آخر جمعة من شهر جمادى الأولى عرفكم الله بركته وما بعده من الشهور والأيام، وبلغكم أمثاله وقابلكم فيما بعده بالسّعْد والرحمة.

وجعل في كل كتاب إلى بطن من بطون هذه القبائل عدةً من سألهم صحابته، سأل السلمانيين[1] في كتابهم خمسة فرسان وعشرة رجالة، وسأل الخيوانيين في كتابهم أربعة فرسان وعشرة رجالة، وسأل ولد سعد من وادعة أربعين راجلاً، وسأل بني ربيعة أربعة فرسان وعشرة رجالة، وسأل بني صريم أربعة فرسان وستة رجالة، وسأل صناف[2] خمساً من الخيل وستة عشر راجلاً، وسائر أرحب ونهماً كذلك، وبيوت أهل البون والخشب وحمير وخولان صعدة، ورسم على كل عدة قليلة ليخف عليهم ذلك ويجتمع من كفى معه في السّفر، وأقام بمذاب أياماً حتى بقي من الشهر أربعة أيام، ثم نهض إلى عيان للقية من دعا وصحابته، وكان يأمل أن يجتمع من دعا ورسم من العد مائة فارس وخمسمائة راجل، فحصل معه من حمير وهمدان نيف وستون راجلاً ممّن رغب في صحابته وأراد وجه الله، منهم من بني سلمان، جهم بن الحسن وجعفر بن الكباس، ورجل من أهل بلدهما يقال له يحيىٰ بن الحسن الورد، وحصل من أرحب ثمانية رجال، ومن غدر شعب[3] رجلان يقال لهما ذويد ورشيد، ومن خيوان: أربعة عشر رجلاً فيهم خُطيب، وكُليب بن زيدة، ويعقوب بن إبراهيم، وأبو الحسين بن سالم وآخر أصحابهم، وثلاثة رجال من بني معمر[4] ووادعة، وبني عبد يعقوب[5] بن الحماس، والمعمريين وحصل من البون من القاعين: ستة رجال وخال الحسن بن علي وأخوين له وأحمد الثغري ومحمد بن علي

---

(١) بنو سلمان انظرهم في «الصفة: ١٦٤».

(٢) سبق ذكرهم.

(٣) غدر شعب: في بلاد غدر أنظرها في الإكليل ١٠: ٧٩.

(٤) انظر نسب بني معمر من وادعة في الإكليل: ١٠: ٩٠.

(٥) كذا ولعله عبد يغوث انظر الإكليل ١٠: ٩١.

وعبد الأعلا بن عمران، ومن صليت: أحمد بن خالد، وكان من أهل حضرته والسَّابقين إلى طاعته والمهاجرين إليه، ومن السّواد: بني الوادعي، ومن ريدة: أربعة رجال من بني شبرمة إسحاق ومحمد ابني عبدالله، وأبي الفتوح بن غشام وذويب بن عبدالله، وحصل من الصَّيد: خمسة رجال معاد ومحمد ابني إبراهيم بن قرمد وهمدان بن سلم وحسين بن عبد الملك من صحة[١] وأحمد بن خطيب، وحصل من الخشب، محمد بن أبي جعفر وإبراهيم بن أحمد من أثافت[٢] ومن حمير: رجل من حلملم ورجل[٣] صابني من وادي نسيم[٤]، وستة رجال من أهل بيت مردم[٥] أحمد بن سكران، وأبو الخير بن عواض، وأبو الجهم بن سلامة، وجسار ابن سلمان وإسماعيل بن ضلع، ومن الأصبح[٦] جميل بن أحمد بن جميل، وعواض يوسف بن سكران، ورجلين من بيت معدي كرب من الشرق، وهؤلاء من سوى خاصة الإمام عليه السلام ممّن لا يزال في حضرته، وكان أهل حضرته عليان وخيران ابني همام من الحوائط، وزريق ابن عمّهما، وعباس بن عبدالله من قاعة[٧] وعلي المعلم من سعيرة[٨] ومالك بن أبي الحسين من الحائط[٩] وأحمد بن دواس من خولان والدمينة رجل وادعي، وإسحاق بن سعيد من حاز[١٠] وصبرة بن جعفر من شاحذ[١١] ويعقوب القاري المولى ورزيق بن أحمد بن يعقوب وكان والياً له بنشان[١٢] فاستدعاه فنهض معه، فلما لم يَحْصل مع الإمام عليه السلام

---

(١) لم أقف على هذا البلد وفي الصفة الصحخ بالخاء المعجمة «صفة جزيرة العرب: ٢٥٧».

(٢) في الأصل أثاقب، وقد سبق.

(٣) اللفظة خالية من النقط ولعله ممن ينتسب إلى أبي ضاب من رحا بني منبه الأرحبيين الإكليل: ١٠: ١٧٥.

(٤) في الصفة وادي نسم «صفة جزيرة العرب: ٢٨١».

(٥) كذا ولعله بيت ردم. (٦) اللفظة بدون إعجام.

(٧) قاعة: حصن وبلدة غربي عمران وأخرى من ناحية العشة بقضاء حمر «المقحفي: ٥٠٤».

(٨) لم أجد هذا البلد. (٩) لم أجده.

(١٠) حاز: قرية في ناحية همدان على طريق قاع المنقب.

(١١) شاحذ: عزلة من ناحية الرجم وأعمال الطويلة بالغرب الجنوبي من كوكبان (ولعلها المقصودة معنا نفسها). (١٢) اللفظة خالية من النقط سوى الشين فيحقق هذا الموضع.

إلاَّ هؤلاء النفر القليل تقالهم، ولم يجد بداً من السفر دفعة إلى ذلك من خشية المأثم في تضييع ذرية رسول الله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم، فلما نهض إلى صَعْدة يأمل أن يأخذ من خولان من يكثر جماعته ويصل جناحه، وكان نهوضه يوم الاثنين لثلاث خلون من شهر جمادى الآخرة، فنزل آخر يومه بوادي مذاب، وأقام به ليلتين يدبر أمور ضيعته وعمارة حصنه، ويوصي بذلك وكلاءه وخدمه.

ثم نهض إلى صعدة يوم الأربعاء ونزل بها آخر نهاره، وسأل خولان من آمل منهم فحرصوا وجهدوا، وكان الناس في جميع اليمن في أول حَطمة[1] وغلا سعر وقلة علف، وكل مشغول بنفسه إلاَّ من آثر الإمام عليه السلام وطاعته على الدنيا، فاجتمع مع الإمام من خولان كلها وأهل الغيل مصحبين له أربعة وثلاثين رجلاً وثمانية أحدهم رماة من بني بحر بخزنة ومؤنة، ولقيه من نجران أربعة رجال يبغون ما عند الله من صحابته عبدالله ابن نوح، ويحيىٰ بن سليمان، وعليان وعلي إبني محمد الطيب، فتقال[2] الجماعة كلها وأكثر خيرة الله في السفر والتأخر، فهو كذلك إلى أن ورد عليه رسول من ولده علي بن القاسم من ترج يَعد عليه ما قد لحقه وإخوته وأصحابه وجيرانه من المضرة وجفا أهل البلد، ويذكر مع ذلك أن المغيرة ابن بدر عدا على إخوته في حصن لهم من غير ذنب قدموه إليه فقاتلهم فامتنعوا منه فأرسل بخاتمه يذمّ لهم ويخرجوا إليه فيقبضوا ذمامه، فهبطوا آمنين لشره، فلما حصلوا بين يديه قتلهم وغدر بهم، وهو طاعة للإمام وأهل بيعته، فاستغضب الإمام عند ذلك فعزم على السفر على أي حال لنقلة أولاده، وكان كل مقامه بصعدة خمس ليال وخرج مبرز لسفره إلى مكان حقل صعدة يسمّى المحروقة، فنزل به وأخذ في المسير في سفره يوم الثلاثاء واستخلف ولده سليمان على صعدة، وقلّده جميع أمور مخاليف خولان، وكتب له كتاب عهد بما يسير به في الرعية من حسن السيرة واتباع

---

(١) الحَطْمة: السنة الشديدة لأنها تحطم كل شيء.

(٢) تقالهم بتشديد اللام أي رآهم قليلاً.

البصيرة لم نثبته في السيرة لأنه كان خلفه بمنزله في صعدة يوم خولف عليه بها، ثم توفيت حرمته فضاع في منزلها فلم يقع له نسخة غير أنه قريب من العهد الذي كان لعلي أخيه، وكان وصوله إلى أولاده، وهم من بلاد خثعم في أسفل بيشة ووادي ترج حصن بناه بأسفل وادي هرجان[1] يوم الجمعة لتسع باقية من شهر جمادى الآخرة، وكان وصوله بأصحابه، وقد قطع الزاد بهم، وكان المغيرة بن بدر قد ولّاه الإمام عليه السلام قبل هذا كله يوم مهاجرته من الحجاز إلى اليمن، فكان قد استظهر في ولايته بالأموال والهيبة على أهل البلد، فلما غدر في أخويه وخاف الإمام عليه السلام حالف العرب وأعواض لم يكن له استقامة على طاعة الإمام.

قال الحسين بن أحمد بن يعقوب: فوصل الإمام عليه السلام بأصحابه فأثبت منهم من يطلب شراء الطعام وعلف الدواب، فوجد التجار ومن يطلب عنده قد استرهبهم المغيرة وأوعدهم ألَّا يبيعوا من عسكر الإمام ولا يشتروا إلَّا بعدما يأمرهم، فامتنع أهل البلد من البيع والشراء في العسكر، فلما بلغ الإمام عليه السلام ذلك اشتد غضبه وجمع مشايخ أصحابه وأهل الرأي منهم وشاورهم، فأجابوه بأن الرأي ما رأيت يا ابن نبينا وسيدنا وإمامنا لم نصحبك إلَّا لنصرك ولم نبد معك حتى أيقنا بما يلحقنا في سبيل الله، ونحن لأمر الله وأمرك مسلمون لأنفسنا، فقال لهم الإمام عند ذلك فإن الرأي انصرافنا من ساعتنا هذه بهذه الذرية وعاد فينا الرّوح وفي دوابنا ونلكع هذا الفاجر الغدّار وبلده حتى نستظهر على إنفاذ حكم الله فيه، وإذا لم ينجح لنا زاد هذه البلد الظالم أهلها تبلغنا في طريقنا من ركابنا وما قلّ من زادنا مع الصبر والاعتصام بعون الله ربنا، فقالوا: أنفذ ما أردت فإنا تابعون فعزم على ذلك، وبلغ المغيرة عزمه وغضبه، واشتد خوفه من غضب الإمام عليه السلام فنهض إلى حضرة الإمام حتى ألقى بيده ونفسه إليه، وكان الإمام عليه السلام في قلة من الأعوان والأنصار، فلم ير إلَّا قبوله وتحسين الأحوال معه إلى أن يفتح الله، وهو خير الفاتحين، فلما

---

(١) كذا في الأصل، وهرجاب آخره باء موحدة واد يصب بوادي بيشة «الصفحة ٣٧٧» وقد سبق ذكره.

وصل الإمام أبدى الطاعة وأكثر المعذرة في خطئه على أخويه ومنعه لأهل البلد من بيع عسكر الإمام وبذل المعونة والزاد للإمام وعسكره، بعد أن سأل الإمام عليه السلام أن لا ينقل ذريته وأن يخلف علياً ولده معه فلم يجبه الإمام عليه السلام إلى ذلك، فاستعان الإمام عليه السلام منه ومن أهل بلده بالتافه، وبلغ به عسكر الإمام إلى بلد سَنْحان وسأله أن يوليه البلد ويجعل معه طليعة على خراجه وأحكامه فأسعده الإمام عليه السلام إلى ذلك، وكتب له بذلك كتاباً وأخر معه جعفر بن النجار حاكماً وعاملاً في الخراج، فعتب على الإمام عليه السلام بعض أصحابه المهاجرين، وذلك بعد أن أوجب له بعد ولايته أن يسير الإمام عليه السلام بعسكره إلى بلد خثعم لقوم يقال لهم بني ساول[1] بعقوبتهم بي[2] على خراج كان عندهم، وكان عتب من عتب على الإمام عليه السلام من أصحابه أن قالوا: يا ابن رسول الله من أين وجب علينا وعليك أن تسير لقوم في قبضة من طعام غلّوه وأحَقّ بالعقوبة منهم من قَتَل صاحبك والمهاجر معك وقتل جار أولادك، وقتل أهل بيعتك ظلماً وعدواناً، ومن أين حلّ لك أن تؤتي رجلاً قد كان غدره وعصيانه وفساده في أهل طاعتك، وكان جوابه عند ذلك أن قال: يا إخوتي أما ما ذكرتم من مسيري إلى هؤلاء الذين قد سألني هذا الرجل المسير إليهم فأسْعدت ذلك، ولم أكن لأعزم عليه لبعض ما أراد من الصّلاح لي ولكم وللإسلام، وأما ما ذكرتم من توليتي على رعيتي من قد بان بما ذكرتم فاعلموا أني لم أفعل ذلك جهلاً بما فعلته، أما الرعية فلو كانوا إليّ رعية لانقادوا لحكمي وأطاعوا أمر الله فيَّ لكنهم بغير ذلك، فلم أولهم إلاّ من لا يحب لهم الخير كما لم يحبوا لأنفسهم، ولا رأيت ولايته أصلح للعيب باستقامة الولاية في بلد خثعم لأن رفعها من بلد خثعم ممّا يسر الظالمين وأنا أحب ما أغاظهم، ووجه هو أشد من ذلك ما أنا وأنتم عليه مشرفون المخافة، فأمرت أن يستتر الأمر بيننا وبينه، لما نحن مدفوعون إلى مساعدته ومنافاته[3] فننهض ولنا هيبةً عند العرب، وليس منادٍ لنا يسوء على

---

(١) كذا ولعله ساوان: قبيل من بني صبارة من أرحب الإكليل ١٠ :١٨٧.

(٢) كذا. (٣) في الأصل ومتافاته والشكل من عندنا ولعل ما أثبتناه هو الصواب.

ما نحن عليه من قلة الأعوان والإيصال من الزاد، فرأيت نثبته حتى يأتي الله بنصره ونحوز من الأمور ما يعود بصلاح الإسلام، فنجري الحسبة فيه وفي غيره من الظالمين، فبان عذر الإمام لأصْحابه وذهب الشك من قلوبهم.

وكان مقامه بهرجان في ثبات سفره ستة أيام، وكتب إلى المغيرة بن بدر كتاب عهد بالولاية له للبلد، بعد عهد كان كتبه له آنفاً في مستبدأ طاعة خثعم له نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب كتبه القاسم بن علي للمغيرة ابن بدر بما قد عقد له من الولاية أعراض تبالة وترج وبيشة والمعمل والبقيع، ولأه القاسم بن علي على جميع هذه المخاليف يسير في ولايته بالعدل والصّلاح والمناصفة بالحق بين من عقد له ولايته، والله يقولُ وقوله الحق **﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾**[1] وقد جعلت على كافة من عقدت عليه بيعتي من أهل هذا المخلاف أن يكونوا طاعته وأعوانه ما أطاع الله ولم يخرج من طاعته ولم يعقد أمره بغير أمري، وجعلت لمن اتبع أمري من كافة مقدمي بني عامر أرباع خراج بلدانهم يرفدون منه ضعفاءهم ويستعينون بذلك على نوائبهم، وجعلت لمن تقدم لطاعتي من قريش ما قد راسمتهم عليه بخطي وأجريت من استقام في الطاعة من رجال شهران[2] بجميع الأعراب مجرى بني عامر[3] في بلدانهم وأجريت رجال سنول[4] إذا استقاموا للطاعة وتصرفوا مع مأموري تصرف عشائره مجرى من رسمت له من قريش، وجعلت للمغيرة أن يُحارب من غلَّ خراجي أو دافع عنه من استأمنه عليه عمالي، وأما بوادي خثعم ومن قد كنت رسمت له لأن يكفوا عن المطيعين سفهاءهم وأن يضمنوا أذاهم وأن تكون أيديهم مع أيدينا على

---

(١) الآية: ٩٠، سورة النحل.

(٢) شهران قبيلة من سراة بيشة وترج فيما بين جرش وأول سراة «صفة جزيرة العرب: ٨٨».

(٣) بنو عامر: من شمال بلد خولان «صفة: ١٣٦».

(٤) كذا في الأصل.

من تعدّى الحق، فمن وفى بذلك من الشرفاء فليؤد عامل الخراج ما رسم له من تحت يد المغيرة بن بدر، ومن لم يف بما عوهد فلا حق له قبلنا ولا واجب له علينا، ومن خرج من أهل تبالة[1] ورجال شهران من طاعتي وخلع بيعتي فلا فتنة على المغيرة له ولا لوم عليه في ترك جريانه.

وكان نهوضه ورحيله يوم الخميس لأربع باقية من جمادى الآخرة وسار في طريقه فأحسن الله صحابته وحملانه وعونه على القاصر من الزاد من عسكره وأولاده وقلته حتى من عدمهم لذلك أمر ليلتين لحق الناس فيهما الضر، فأمر براحلة من كتائبه لعسكره لمن أرمل وأصابه الضرّ، ووصل الفيض[2] بلد سَنْحان، وكان معتمده هنالك على رجل كان قد هاجر معه وولّاه بلده يقال له موسىٰ بن جبير، فجمع عشيرته وسألهم عونه على ضيافة عَسْكر الإمام وذرّيته وتبليغهم، ففعلوا وبات ببلدهم ليلةً.

روينا منه تلك الليلة، وقد برز إلى صحراء بعيداً من منزله الذي نزله فصلّى بأصحابه الظهر والعصر، وقعد يتسانا[3] صلاة المغرب والعشا، وقعد حوله أصحابه يتحدثون ويسألونه فيما يحتاجون إليه في حلالهم وحرامهم ومعرفة خالقهم، وكان في الجماعة رجل بدوي قد تبع الإمام عليه السلام من أرض خثعم فردّ الإمام عليه طرفه عليه السلام وقال له: يا شيخ أتعرف ربك فقال: يا ابن رسول الله نعم، قال: فأين هو، قال البدوي: في السماء، فقال الإمام للبدوي: فأين كان قبل أن يخلق السماء، فقال البدوي عند ذلك: أما هذه المسألة فلا تمتحني بها فلست أحسنها، فردّ عليه الإمام: أن يا شيخ العرب لم أرد امتحانك ولكن أريد هدايتك، قال البدوي: فما يفيدني يا ابن رسول الله، فقال له عند ذلك: يا شيخ إن الله خلق السموات والأرض وما بينهما فخلق السماء فأسْكنها الملائكة وخلق الأرض فأسكنها بني آدم وخلق الهواء فأسكنه الجن لأن الجن خلق خفيف، والهواء خفيف وإن الله كان ولا مكان ولا يحتاج إلى مكان واحد أحد لا

---

(١) تبالة: بلدة عامرة كانت مركز ناحية خثعم من عسير وتقع بالغرب من بيشة.

(٢) الفيض من نجران «صفة: ١٦٣».

(٣) كذا واللفظة بدون إعجام.

شريك له ولا مثيل، ولا هو يحب الفساد ولا يريد ظلماً للعباد، فقال رجل من الجماعة: يا سيدي هذا البدوي لا يطلب التعليم ولا يطلب إلَّا الدنيا، فردّ عليه الإمام أن لا تفعل، فإن هؤلاء البدو إذا عزم الإنسان منهم على تقوى الله، كان له في ذلك عزم ونية وبصيرة.

وروى عند ذلك رواية عن رسول الله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم قال روينا عمّن روي عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنه كان خارجاً من المدينة في ركب من الصحابة فلقيه بدوي يسير راحلةً ضعيفة فعرض للنبي يريد أن يهديه للحق ويؤمن به فتدافعت ركاب أصحاب النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم، وقد أوقف له النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم فَصرعن راحلة[1] البدوي فسقط فرفع من تحتهن ميتاً، فأوحى الله إلى نبيّه صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم يعلم نية ذلك البدوي في طاعته، فأمر النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم بأن يحفر له قبر ويؤمر له بكفن، وصلَّى عليه وتولَّى النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم إدخاله قبره فلما مكّنه في لحده صرف وجهه عنه، ولما فرغ سأله أصحابه لم صرف وجهه عنه، فقال إني صرفت وجهي عنه حياء من الحور إذ كن يبتدرن[2] إلى فيه بأنواع ثمار الجنة، فبات الإمام عليه السلام أحسن مبيت بالفيض[3]، وكان من الغد وأصبح أصحابه ومن افترق للمساء في الحصون عند أهلها فأتوا إليه وأتى إليه بطون سنحان، وسألوه أن ينزل غولته في بلدهم ويقيم في بلدهم والياً رزين بن أحمد أو من شاء لأنه كان أوقفه عن الولاية بعد هزمه نجران الآخرة، فسألوه أن يعيده والياً عليهم ويقيمه عندهم ففعل الإمام عليه السلام ذلك، وجعل ولايته بلدهم وبلد جنب وبلد يام وبلد وادعة فاستخلفه في الجميع وكتب له كتاباً نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم، قد يا أخي يا أبا العباس استحقك[4] الله

---

(١) الأصل: راحلته.

(٢) الأصل: يبتدن.

(٣) الأصل: القبض بالقاف المثناة وأثبتناه من الصفة.

(٤) كذا ولعله استخلفك.

ووليتك هؤلاء العرب لخيرتهم لذلك ومحبّتهم له، فسر فيهم بالعدل ما اجتمعوا على ذلك، ولا تغلظ في الأمور بهم وآبذلهم من كلامك أَلْيَنَهُ، ومن فعلك أحسنه، فإنهم بوادي، وقد قلب الله قلوبهم لطاعتنا، وسهل طاعتهم لعوننا، ونحن اليوم في حال يخل بالإسلام، من خذل الخاذلين ونكوث الباغين، وفساد الناس أجمعين، فلسنا نسير إلاّ بالبقية حتى يلحقنا الله نصره ويعزّ أمره، فما استقاموا فارخ معهم الأمور على الميسور وألطف الأمور، وإذ رأيتهم قد ثقل عليهم أو على بعضهم طاعتك وكراهية سيرتك، فانهض إليّ منهم ولا ترهم عتباً ولا غضباً حتى يحدث الله أمراً يعزّ به المسلمين وتقوى به عزائم أهل الدين، والسلام عليك ورحمته وعلى جميع إخوانك.

ثم نهض فنزل بلد وادعة فلقيوه بالترحيب والتقريب له ولعسكره وافترقوهم إلى حصونهم فأكرموهم أفضل الكرامة، فنهض الإمام عليه السلام فأمسى من بلد وادعة مكاناً يسمّى غمدان فبات به وبات الناس مقوين[1] من الزاد.

ولقد كان الإمام عليه السلام في ذلك السَّفر يشاهدنا منه ما يرونه من الفضل والمواساة، لقد كان يأتي الضعفاء والمساكين فيختلطون بعسكره لما مسَّ الناس في الحجاز من الحطمة والقلة، فأمر أن يمنعوا مع العَسْكر، وكان ينفق على نيف وسبعين من الضعفاء، وكان مع ذلك ربما يكون الطعام بين يديه وبين يدي أصْحَابه وأكلانه وهو في مضربه، فيسمع أصوات الضعفاء يَسْتطعمون، فيقول: يا أصحاب صبرنا من هذا الطعام وإطعامه هؤلاء الضعفاء ثوابنا بذلك الجنة، قوموا فارفعوه إليهم فيرفع إلى هؤلاء الضعفاء ويطوي هو وأصحابه، وكان بعد أن قطع به وبأصحابه الزاد ولم يجد ما يعمهم به ما يأكل من الطعام إلاَّ قدر ما يقيم به روحه، وربما يطوي ليلةً ويوماً ثم يؤتى بطعام فربما رفع منه الشيء اليسير إلى فيه، فربما قال: ارفعوا هذا إلى بعض من قد رأيتم لحقه الضر، فيقول له أصحابه: فنرفعه ونعيد إليك ما تأكل، فيقول: لو أردت أكلاً لأكلته، ولكني حيث

(١) كذا.

ليس أجد ما يعمر هؤلاء الجماعة أو آسيهم بنفسي حتى أكون في مثل أكثرهم ضرة، ونهض الإمام عليه السلام من غمدان دلجة في ثلث الليل الآخر فأمسى في بعض بلاد خولان، وكان من الغد وأمر بالرحيل وذلك اليوم يوم الاثنين لسبعة خالية من شهر رجب من شهور سنة إحدى وسبعين، وكان قبل أن يخرج إلى بلد خثعم لأولاده، ولّى على بلدة همدان مع الزيدي ولده جعفر، وولّى على صعدة ولده سليمان، فلقيه ابنه سليمان في ذلك النهار يوم الاثنين في عسكر من بني سَعْد وأهل صعدة، وكانوا أهل اليمن قد يئسوا من رجعة الإمام من الشام[1] ففرحوا بقدومه فرحاً شديداً، وسألت بنو سعد الإمام عليه السلام أن يضيفوا عَسْكره وينزل في بلدهم ذرّيته، فأجابهم الإمام إلى ذلك، وافترقوا وأكرموهم أفضل الكرامة، وبات الإمام عندهم، وكان من الغد يوم الثلاثاء ونهض الإمام عليه السلام في أصحابه ومن التأم إليه من خولان، فدخل صعدة الإمام عليه السلام فأقام فيها الثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة والسبت يتفقد في ذلك أحوال البلد ويُصْلح منها ما فسد، وكان أكثر حمول أهله أكريات[2] ووعد بعض صحابته إحساناً، وكان مقامه ينفد جميع مواعيده ويصلح جميع أموره.

ثم نهض يوم الأحد لثلاثة عشر يوماً خالية من شهر رجب، ونزل بعض أولاده بالحقل عند بني سعد، وحمل معه بعضهم إلى ضيعة مذاب، وأمسى من صعدة مذاباً، ونهض من مذاب من الغد إلى عيان، وصرف صحابته إلى أهاليهم وأذن لهم من عيان، ولما أذن لهم دخل إليه منهم رجلان وذلك محمد بن جعفر من الخشب وعلي بن الحسين بن أبي رغيل فقالا: يا مولانا بما تأمرنا وبما ينجينا من شر الظالمين في بلدنا وشماتة العدو بحالنا، فقال لهما عند ذلك: آعلموا أني قد خبرت أهل بلدكما وغيرهم فما الكل إلاَّ يد في التظافر على إطفاء نور الله وعداوة أولياء الله ولا نجاة منهم إلاَّ بالهجرة عنهم والاعتزال، فإن لم يمكن بنفسه وماله

---

(١) الشام: هنا الحات الشمالية.

(٢) أي بالأجرة ولا يملكون ما يحملهم.

وأولاده فبنفسه وأولاده قالا: وإلى أين نهاجر، قال: إلي نادمت[1] سقطت الهجرة إلَّا أن يقوم من يستحق المقام لا أدري إلى أين يهاجر إنسان عن موضع الظلمة إلى موضع عزلة، وقد لزمت الناس الهجرة كما وجبت عليهم الفروض بعد هجرتي عن قومي واعتزالي عن داري الذي أخرجني منها الظالمون ولا نجاة لمن لم يتبع طريقي بنفسه وماله وولده، فإن لم يمكن بنفسه وماله وأولاده، فبنفسه وأولاده فإن لم يمكن فبنفسه وأولاده ولم يطق فنفسه، فإن لم يطق لعذر يعلمه الله إما لعوقة أو دين يعوقه أو ضعف عن حال بني به ففَيْنة من زمانه على قدر الطاقة، فكان أحد الرجلين له غولة وطنه وهو ابن أبي جعفر فأذن له الإمام عليه السلام يطلع أولاده وبعد إذا أطاق وأعانه بشيء لأولاده إلى بلده، وكان أحدهما لا أولاد له وهو علي بن أبي رغيل فلم يأذن له، فقال للإمام عليه السلام: ليس يطردني منك إلَّا عدم المأكول، فقال: المأكول يعدمه من لم يطلبه ما الذي تأكل إذا انصرفت مني، قال: أتحرَّف لمعاشي وأكِدّ له، قال: فإن تحرفك وكدك وأنت غائب عني لكن ذاك وأنت بحضرتي وأنت مع ذلك مؤدّ أكبر الفروض، قال: فإن قطع بي حال، قال أواسيك بنفسي وجميع من يتصل من المؤمنين لما فضلت وبقصد ما قصرت، وقعد عند الإمام عليه السلام على ذلك.

وبلغت الإمام عليه السلام كتب من الأمير ابن قحطان في مقامه بعيان في هذه الأيام بعد وصوله من ترج، ويذكر له في كتابه ما أجحف بأهل اليمن في جميع من يتصل به من مخاليفه من الفتن بينه وبينهم، فوضع الإمام إلى كافة حمير المفاتنين لابن قحطان كتاب دعوة، وكتب إليهم كتاباً مع ذلك يسألهم أن يجنحوا للسلم وموادعة أميرهم ابن قحطان نسخة الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم، سلام عليكم أيها الأخوة الأبرار والعشيرة الأخيار فإن أخاكم القاسم بن علي يحمد الله إليكم حمداً كثيراً يوجب

---

(١) كذا.

المزيد من رحمته ويدفع المكروه من نقمته، ويَسْأله أن يصلي على خيرته من بريته محمد النبي ومن طاب من عترته، وبعد تولّى الله رعايتكم وأثبت فيما يرضيه هدايتكم فإنا لا نجهل ما أنتم عليه من كرم لا يصون[1] والفضل الجليل حتى قد دعانا طلب ما عند الله إلى الكون في بلدانكم ورجاء[2] العون لكم فيما قدمنا له وإبداء أنفسنا لطلبه إذ كنتم عندنا من أرجاء ولد قحطان إذ لكم السبق إلى الإيمان والفوز بالرضوان، وقد وافق وصولنا من جرى[3] بينكم وبين أميركم فساءنا ذلك ورجونا أن يكون منا واسطة جميلة تصلح ذات بينكم وتلم شعثكم، فلما وصلتنا كتب مشيختكم أوجب الرأي التوقف لإقبال سلطانكم، فلما تمّ المراد بإقباله إلينا وعقد حبله بحبالنا ندبنا ابن عمّنا القاسم بن الحسين الزيدي يتوسَّط أموركم والإصلاح بينكم فذكر أنكم اتخذتموه خصماً وابتعدتم من سلطانكم، ولم تجروا صاحبنا مجرى السَّفر وأجريتموه مجرى الخصماء، وليس ذلك مرادنا فيكم ولا قَصد لكم، وإنما كان مدخله معنا كمدخل مشيختكم من مدخله، ثم قد جرت الأحوال بما لم تشاركونه والفوائت لا ترتجع إلاَّ بالدنو من الصَّلاح وها أنا أعرض نفسي عليكم سفيراً متوسطاً فإن جنحتم لذلك لا ملت عن الحق ميلاً ولا جعلت لي عن سبيله سبيلاً، ولا كنت لمن عند[4] عنه ظهيراً، وإن لم تجنحوا له ولا نعيذكم من ذلك فلا حجة لكم علينا، ولكم خطوط قد كتبتم فيها ومنافع أنتم عليها، ولسنا نقصر بكم عن ذلك فأسْعدونا بالقبول في الجنوح للسّلم تسلموا ونسْلم، والله يقول وقوله الحق: ﴿**وإن جنحوا للسلم فاجنح لها**﴾[5] والله يوفقكم وإيانا لما فيه صلاح شأنكم وشأننا، وقد كانت لنا رسالة ألقيناها إلى العرب وإليكم لتقفوا عليها، وأنا الزعيم بما ضمنت من القيام فيها، فانظروا ذلك وردّوا من الجواب ما نَعْمل بحسبه، والله

---

(١) كذا.

(٢) الأصل: رجال.

(٣) كذا.

(٤) كذا.

(٥) الآية: ٦١، سورة الأنفال.

يوفقنا جميعاً لما هو أولى به، وهو حسْبي ونعم الوكيل والحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

ووجه مع كتابه إليهم هذا كتاب الدعوة إليهم الذي نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمدلله الذي علا علوّه عن العالمين وقهر سلطانه الخلق أجمعين نحمده لاستحقاق محامده ويحل عليه الثناء لما هو أولى به، ونسْأله أن يصلي على النبي وآله، أمَّا بعد: فإن لله نِعماً تجل عن الجزاء وتكبر عن الإحصى، أولها إيجاد من خلق من خلقه للنعمة عليهم لا لحاجة منه إليهم إذ خلقهم خلقاً سوياً وركبهم تركيباً حسناً بهياً[1] ثم قرن ذلك من العقول بما يدلهم عليه ويعرفهم لمنافع ما يتصرفون فيه، ثم أكمل الحجة على من خلق برسله إذ بعثهم مبشرين بحرمته ومحذرين ومنذرين لعقوبته فلم يذر الخلق مهملين ولا بالجهل معذورين **﴿ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم﴾**[2]، ولم تزل البرية مع عموم نعم الله عليهم وترادف آلائه لديهم للنعمة كافرين وللرسل جاحدين ولما أوجب الله مضيعين، وبذلك أخبر الله عنهم، فقال وقوله الحق: **﴿وهمّت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق﴾**[3] وقال: **﴿كل كذب الرسل فحق وعيد﴾**[4] وقال لنبيه صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم **﴿فإن كذبوك فقد كُذِّب رسلٌ من قبلك جاؤوا بالبينات والزبر والكتاب المنير﴾**[5] ولم يذرهم سبحانه من رسله مع علمه تكذيبهم لإثبات الحجة عليهم والنجاة لمن يحب النجاة، فقال وقوله الحق: **﴿لئلَّا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾**[6] وقال: **﴿ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك﴾**[7] الآية ولم تزل الدنيا مذ بعث الله آدم صلوات الله عليه رسولاً

---

(١) الأصل: نهيًا.

(٢) الآية: ٤٢، سورة الأنفال.

(٣) الآية: ٥، سورة غافر.

(٤) الآية: ١٤، سورة ق.

(٥) الآية: ١٨٥، سورة آل عمران.

(٦) الآية: ١٦٥، سورة النساء. (٧) الآية: ١٣٤، سورة طه.

في ذرّيته مضبوطةً[1] بالأنبياء وذراريهم التالين لآثار آبائهم الهادين بهديهم العافين لآثارهم قرناً بعد قرن وأمة بعد أمة حتى ختم الله بنبينا محمد صلوات الله عليه وآله وسلَّم الرسل، وجعل ملّته خير المِلل، وأمته خير الأمم فقال: ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**﴾[2] الآية وقد جعل الله لنبيكم صلوات الله عليه ذرية من ابنته وسليل أبوهم[3] ابن عمّه وأول مؤمن به وأعظم أصحابه عناء في جهاد أعدائه، وأعلمهم بما أتى به فيه، يقول النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم: «أنا مدينة العلم وعلي بابها»[4] وفيه يقول: «علي أقضاكم»[5] وفيه يقول يوم غدير خم لأصحابه: «معاشر الناس ألسْت أولى بكم من أنفسكم، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه اللهم والِ مَن والاه وعادِ من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله»[6] وفي ابنيه الحسن والحسين ابني بنت رسول الله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم يقول: «الحسن والحسين إمامان قامَا أو قعدا» فهذا من قوله صلوات الله عليه تعرفه كافة العلماء، ثم قد أتى من دون ما أومى إليه رسول الله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم من اختلاف أمته ما قد أتى من أدوال الخلفاء لمقامه وذريته من ذلك بمعزل وهم هداة البرية وسفن النجاة، ألا ثم اعلموا يا كافة العرب ومن يتصل بدين الإسْلام من العجم أن القاسم بن علي أحد ذرية نبيكم ومن يدعوكم إلى طاعة ربكم فأجيبوا داعي الله يغفر لكم من ذنوبكم ويخرجكم من عذاب أليم، وله القربا من رسول الله صلَّى الله

---

(١) في الأصل مظبوطة.

(٢) الآية: ١١٠، سورة آل عمران.

(٣) كذا.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك والطبراني وابن عدي والعقيلي عن ابن عباس وجابر «شمس الأخبار: ٩٦». ولشيخنا العلامة علي بن محمد بن يحيىٰ كتاب في هذا الحديث بعنوان دفع الارتياب طبع أخيراً.

(٥) انظره في كشف الخفاء ١: ١٨٤.

(٦) أخرجه الترمذي: ٣٧١٣، وأحمد بن حنبل ١: ٨٤، وابن حبان: ٢٢٠٢، والطبراني ٣: ١٩٩.

عليه وعلى آله وسلَّم والعفة عن محارم الله، والعلم بكتاب الله وسنّة رسول الله إلى ذلك يدعوكم وعليه يحملكم وبه يأمركم ولكم عليه أن نحقن دماءَكم إلاَّ بحق يجب عليها وأن نقر أموالكم إلاَّ من حق يقع عليها، وأن نضع أموال الله التي قسم لكم في مواضعها وأن يصلح ذات بينكم ناهون[1] شأن[2] فإن امتنع من ذلك ممتنع قاتلته حتى يفيء إلى أمر الله كما أمر الله بذلك نبيه صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم إذ يقول وقوله الحق المبين **﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾**[3] فهذا الذي لكم علينا، ولنا عليكم أن تتقوا الله فينا وتعرفوا لنا حقنا، وقد أتينا من نبيكم صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم، وأن تطيعوه فيما أمركم الله من مودتنا فإنه يقول لنبيه صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم **﴿لا أسألكم عليه أجراً إلاَّ المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حُسْناً﴾**[4] ولنا عليكم أن تطيعونا ما أطعنا الله فلا طاعة لمن عصى الله، وتجنبوا محارم الله، وأن تكون أيديكم مع أيدينا على من خالف حكم الله، وأن تؤدوا جميع ما فرض الله عليكم في أنفسكم من الجهاد في سبيله والمعونة على ذلك بأموالكم والأداء لما يلزمها من واجب زكواتكم وللصِّير بكل حق يجب لله عليكم من القصاص والحدود وجميع ما أتى الله فيه من الأمر والنهي، اللهم إن لهم علينا الوفاء بما وعدناهم من أنفسنا إن هم وفوا بما يلزمهم لنا وأنت الشاهد علينا بما نقول وكفى بالله شهيداً بين عبادك، ومن شكَّ فينا أو دخل في قلبه قول المفترين علينا فأصر على ذلك ولم يختبرنا ويفتش[5] عنا فالله الحكم عليه والشاهد بيننا وبينهم يوم نصير إليه **﴿ثم توفى كل نفس ما**

---

(١) كذا.

(٢) كذا.

(٣) الآية: ٩، سورة الحجرات.

(٤) الآية: ٢٣، سورة الشورى.

(٥) في الأصل ويفيش واللفظة بدون إعجام.

كسبت وهم لا يظلمون﴾[1] عباد الله الذين للآخرة خلقوا وللدنيا ابتلوا، ألستم بأولي أعينٍ ناظرة وآذان واعية وقلوب ذكية تستدلون بها على من عمر في الدنيا أكثر من عمارتكم ونال منها أكثر من منالكم قل أن تبقى عنه بذلك بعد طول النصب وذوات الشعب، وحوى ذلك من لم يتعب عليه وناله من لم ينصب فيه، وأنتم كأولئك تكونون وشيكاً ما على الدنيا تزولون، وإلى الآخرة تصيرون، وعلى الجنة والنار تعرضون، واجعلوا طلبكم للدنيا من حلها واسلكوا للآخرة من سبيلها، ولا تغتروا بالدنيا وأهلها فلكم مغرور خَدَعْته، وواثق بها صرعته، ومفتون بها أهلكته، ألا وأنكم في أوان فتنة من انتصب لها أوثقته ومن طأطأ عنها لحصته[2] ولن يسْلم منها إلَّا من اعتصم بحبل الله ووصل حبله بحبال أوليائه الذين يتمسكون بالكتاب ويخافون يوم الحساب، عباد الله إنا نجد فيما لدينا من الآثار أن الفتن تكرس في جراثيم العرب حتى لا يقال ثم يبعث الله قوماً يجتمعون من مناكب الأرض كما يجتمع قرع الخريف هاه هاه فهنالك يحق الله الحق ويميت الباطل، فكونوا رحمكم الله ممّن يجتمع في الحق ولا تكونوا ممّن يجتمع في الباطل فإنا نجد في الأثر عن النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم أنه قال «لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيسومونكم العذاب ثم يدعوا خياركم فلا يستجاب لهم» حتى يبلغ الكتاب أجله ثم يكون الله المنتصر لنفسه وما انتصر لنفسه من أمة [إلَّا] أهلكها بعذاب من عنده، فاحذروا رحمكم الله عذابه واجعلوا أنفسكم حزبه فإن حزب الله هم الغالبون، وقد أعذر من أنذر، والسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد خاتم النبيين وآله الطيبين.

قال الحسين بن أحمد: وكان قبل نهوض الإمام عليه السلام إلى ترج لنقلة أولاده قد وصله اختلاف في ولاية صَنْعاء وما يجري من مأمور الزَّيدي

---

(١) الآية: ٢٨١، سورة البقرة.

(٢) كذا.

فيها وفي مخاليفها من الميل على بعض الرعية واتباع الأهوى فيما يجري من الحكم والقضية وتغيّب الزيدي إلى مخاليف ذمار وقلَّ نظره فيها واشتغل بما لديه، وكان مع ذلك قد استند إلى شيء من حب الدنيا، وأهلها، وعند ذلك سأل الإمام عليه السلام أشياخ من همدان وأميرهم أبو جعفر بن قيس ابن الضحّاك أن يولي عليهم ولده الأمير جعفر بن الإمام القاسم بن علي فأوجب لهم ذلك ووجهه إليهم ففرحوا بذلك ونشطوا لِولايته فخرج الجند في لقائه إلى رَيدة والرَّعايا فدخل صنعاء في عدة من الخيل خيل الجنود والرَّعايا والرِّجل، وكتب له الإمام القاسم المنصور بالله عهداً يسير به في ولايته نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم، وكان ذلك في جمادى الأولى من شهور سنة إحدى وتسعين وثلثمائة أَسْتوهب الله النجاة والهدى ونعوذ به من الضلال والرَّدى وهو اللطيف الخبير أمر بما إليه دعا ومنع ممَّا عنه نَهَى، فقال وقوله الحق: **﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾**(1). أما بَعْد يا بُنَيَ فإن أسهل مرتقى ترتقيه وأسْهل عملٍ تعانيه وأجزل مطلبٍ تبتغيه تقوى الله سبحانه وتعالىٰ والعمل لطاعته، فاسْتشعر ذلك ما استطعت ولا تطلبن غيره ما بقيت، ثم اعلم أن كل امرىء لا يمتحن إلَّا بنفسه ولا يعرف إلَّا بعلمه فقد ملك تصريفها ما ملك نفسك حين يدعوك إلى ما يرد لك وانهها عمّا يقبح نسبته إليك، والله يقول وقوله الحق المبين: **﴿إن النفس لأمَّارة بالسُّوء﴾**(2) ويقول مادحاً لمن نَهاها عمّا تدعوا إليه من السَّيء وتأمر به من القبح **﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى﴾**(3) هذا والعيون إليك ناظرة والأنفس لفعلك مطلعة فاحذر من ناظر إليك لا تراه ومحص عليك لا تخشاه، ولو لم يكن ذلك من البشر إلَّا من الملائكة

---

(1) الآية: ٩٠، سورة النحل.
(2) الآية: ٥٣، سورة يوسف.
(3) الآية: ٤٠، سورة النازعات.

الموكلين بك، وأقرب من أولئك ربٌ لا يخفى عليه خافية، وهو يقول وقوله الحق المبين **﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلاّ لديه رقيب عتيد﴾**[١] فكيف وأنَّى تكون نجاتك من رب يعلم ما تخفي وما تبدي وتعيد، وأملاك بحركاتك قد وكلوا، وعباد أحرص عليك من الموكلين بك فبين مطلع بحقيقة ما أنت عليه وذي بغضا[٢] يهوى الظّهور على عوراتك والسّعاية بذمامتك والطعن على من نسبت عليه من آبائك ممّن كل ذلك فاحرس نفسك واملك إربك ولا يضيعن النسيان عقلك فيؤول بك ذلك إلى فتح الذّمامة وكثرة الملامة والدَّناءة عند الخاصة والعامة، لرب ما أخفى المرءُ بعض ما يعابُ من فِعْله فأدرك علم ذلك في تصرفه وخلطة من تتصل به، فابعد بنفسك عن مخالطة أهل الرّيب كيلا تنسب إليهم وَيُنَاط فِعْلك بفعلهم، وقد قال النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم «الناس إلى أشكالهم أميل»[٣] وقال بعض الحكماء.

وقارن إذا قارنت حراً فإنما ... يزين ويَزْري بالفتى قرناؤه

وممّا يدل أيضاً على ما يخفي المرء: لسانه فاحفظ لسانك ما استطعت فإن اللسان يؤدي ما في القلب كما تؤدي الأرض نباتها، وقد قال بعض الشعراء:

وإن لسان المرءِ ما يكن له ... زمامٌ على عوراته لدليل

فاحذر يا بني من قول يدل على ظهيرك ويعرف بما في نفسك، وتوق من الأصْحاب من يشنعك صحبته، وتضعك مقارنته، ولربما أراد ذلك مع قبح القالة في الدنيا والآخرة، وفي ذلك يقول الله وقوله الحق فيمن يجير في يوم القيامة **﴿يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً﴾**[٤] الآية وقال عزّ وجلّ:

---

(١) الآية: ١٦ ـ ١٨، سورة ق.

(٢) كذا.

(٣) لم أجده.

(٤) الآية: ٢٨، سورة الفرقان.

﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوٌ إلاَّ المتقين﴾[1] يا بني فبالمتقين فتمسّك ولآثارهم فاسلك، فإن ذلك زين لك في حياتك، ونجاة لك بَعْد وفاتك، ولن يدلك المتقي إلاَّ على التقية، ولن يأمرك إلاَّ بالأفعال المرضية، ومن كان كذلك حسنت صحبته وحملت مقارنته، ونسبت الحكمة إلى من داناه، ونظره بعين الوقار من يراه، وقد قال النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم: «الناس في أشكالهم أميل» وقال صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم: «من عرف بالحكمة نظرته العيون بالوقار»[2] فكن حكيماً يا بني يراك بتلك العين الرفيع والدنيء وإياك ثم إياك الميل إلى عرض الدنيا، واطلب حاجتك بدَداً ولا تطلبها معاً فيثقل عليك حملها ولا يتهيأ لك نيلها، واجعل طلبك من خالقك ونيل يدك، وتعفف عن الناس وسؤالهم، فإن ذلك أقضى لحاجتك عند خالقك وأعظم لقدرك عند من يَعرفك بذلك ولربما طلب المرءُ مَطْلباً يدني به ولم يتصل منه بمحبوبه فيبقى ملوماً محسوداً، وذمّاً باقياً مذكوراً فتوق هذا الفضل ثم توقه فإن به رفعة الرفيع وضعة الوضيع، فاغتنم كسب الرفعة وتجنَّب أسْباب الضعة، وليس من شيء يوجب الحمد والثواب إلاَّ والنفس له كارهة، ولا من يوجب الذمّ والمأثم إلاَّ وهي إليه مسارعة، فاستغن على نهيها عمّا تهواه بالصَّبر واجعله لك شعاراً. فوشيكاً ما تحمد عنه ويَسْهل عليك مطلبه، ودع العجلة واحذرها، واحترس منها فإن الإنسان خلق عجولاً وعلى العجلة فطر الإنسان وهي مقودة إلى المضار والعصيان، وهي فطرة ملك البشر تَصْريفها ولذلك نُهُوا عنها، وعليك يا بني بالأناة ثم عليك بالأناة ثم عليك بالأناة، فإن المتأني لا يذمّ عاقبة الأناة ولا يقدر عليها إلاَّ من يصبّر نفسه عنها، وما يذمّ ذو أناة قط، ولا أناة عن برّ ولا عمل صالح، وإنما الأناة عمّا تدعو إليه النفس من المضار فادرأ بالأناة العجلة وبالصبر الجزع، وبالحلم الجهل، وبالديانة المعصية قال تعالىٰ: ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر﴾[3] يا بني ابدأ

---

(١) الآية: ٦٧، سورة الزخرف.

(٢) لم أجده.

(٣) الآية: ٤٥، سورة العنكبوت.

بنفسك فاهدها من الدنس وابعد من أهل الأدناس فإذا قهرت نفسك، وكنت لها غالباً عمّا تدعوك إليه من المضار فحق[1] وأيقن أنك مستغلب من نويت غَلَبته من عدوٍ وتدرأ عنك شرّه أو فعْل يحبس[2] بك ذكره أو ناء يمل بساجره[3]، وأنت مع ذلك فمنوط بالناس ومحتاج لكفاءتهم، غير مأمون عليك من مضارهم، ولكل منهم منزله وباب يدخل منه فالعالم يحتاج لعلمه ولن تنله منه إلَّا بتقريبه والاتصال به والإصغاء لقوله والتعظيم لقدره والإيجاب لحقه، وكذلك أهل البصائر بالأعمال الدنيائية[4] فأنزل كلاً منهم منزلته لحاجته إلى دلالتهم على ما يعرفون، فإن كنت المريد لمعرفة ما عرفوا نلت ذلك منهم، وإن لم ترد ذلك لنفسك عرفت منه ما يعمل لك العاملون فلم يجر عليك ما يجر على الجاهلين بالأشياء فيما لا غنًى لك به عنه من الصنايع الدنيائية، وسائر الناس من بعد من ذكرت ثلاث طبقات: فهم السَّلاطين واتباعهم لنائل الدنيا وبهم يُستعان عليها، والفقراء الذين لا مهنة لهم إلَّا طلب ما في أيدي الناس من حق يجب لله عليهم أو نائلٍ يطلبونه منهم، وكل فاعز[5] منك بسبب حاجتك إليه، أما السّلاطين فيحتاج إليهم إن كنت ذا مسألة لهم وحاجة إليهم وإذا كنت رعية لهم يخشى من جورهم وما تخشى الرعيَّة من مثلهم، أو كنت سلطاناً تطلب كطلبهم، وأيّما ما كنت فيه فالحاجة تسوقك إليهم، إن كنت طالباً لرفدهم فلن تنله إلَّا بالإيجاب لهم والإجلال لمقاديرهم من حسن الثناء عليهم والأدب الذي يقرب من مثلهم، وإن كنت رعية كنت محترساً ممّن يقرب إليهم بالسّعاية مسعداً ممّا يوجب العقوبة منفرداً إليهم بالاستقامة محبَّباً بالخدمة مدار بالحق أسيهم ومن الأنوال يَسْعَى بكل قولٍ وفعلٍ إليهم، وأفضل من ذلك الابتعاد عنهم وعن مضارهم، وأسْلم في الدين، إلَّا أن الضرورات تسوق المرء إلى ما لا يشاء، وإن كنت سلطاناً فحاجة السَّلاطين إلى السَّلاطين كحاجة

---

(١) كذا ولعله فحقق.

(٢) كذا ولعل صوابه «يحسن».

(٣) كذا انظر هذه اللفظة.

(٤) كذا ولعله «الدنيوية».

(٥) كذا ولعله «فاغر».

الظمآن إلى الماء والأرض إلى دارَّة السّماء، فإياك أن تعادي سلطاناً ولو ضعف سلطانه، وتباديه ولو بانت مظلمته، يا بني لا تكن عنه بمعزل ولا لن تأمن مع ذلك ضره وادرأ مكروهه بجميل توليه أو كرم يغلبه، ونفع السَّلاطين يقدر ضرهم ولهم في ذلك ما ليس لغيرهم، وجملة الناس عائدون إليهم إما لخير لديهم وإما لشرّ يخشى منهم، فانظرهم بهذه العين تسلم وتنل من خيرهم، واحذر أن يجد أحد منهم إليك سبيلاً وتنسب إلى مكروهك وعلّق مسألتك من يتوسل بهم إلى ذاتك حتى لا يجدوا عليك مَعتباً ولا على مرادهم فيك فإنك إذاً يظفر إذ ذلك مرادك وتقرب من محبوبك بمنّ الله وعونه، وأما أعوان السَّلاطين فلك منهم حَذوٌ، إذ كنت سلطاناً فأنت تحتاج لصلاحهم وتسْتعين بسلطنتك عليهم أو بهم فابسط لأوليائك جميلك، ووسّع لهم خلقك وقرّبهم بجهدك فلا غِنًى لك بهم، وأما عامة الناس ومَسْكنتهم فآتهم حقّهم وصونهم فالواجب عليك صيانتهم، فاعلم أنك الفقير إلى دعائهم وثنائهم وثواب الله فيهم فتسبب لذلك بجهدك، يا بني وأفضل ما تسمى به نفسك وتشهرك به من عدوك الوفاء بعهدك والإنجاز بوعدك، وقد قدمت من القول ما أن عملت به نلت مرادك وآثار غنمك بالظفر بطلبتك فلا تعرض من ذلك صحفاً[1] ولا تدع عنه ظهراً فإنه مقدمة لما رفعت إليك، وضرب فيهم التباس بالناس، فلو كنت الذي لم تكن إذ كنت الذي لم تذكر لكان في ذلك سلامتك من الذنوب وأهلها إلى أحسنت طاعتك لله سبحانه وتعالىٰ لكنه قد ساقك ما ساق آباءَك[2] من الضرورات التي لم يجدوا عنها معدلاً ولا لمن دفعوا إليه من الناس بدلاً، واستعن بالله واستقم لنفسك بقبول موعظة أبيك، واعلم أن الدنيا سريعة الزَّوال، وجميع ما فيها إلى انتقال، وليس للموت أجل معروف ولا يوم موصوف فيعمل لذلك ويستعدّ له وإنما موافيك بغتةً، فأحذرك أن يلقاك على غير أهبة[3] فتكون من الهالكين، واعبُد ربّك حتى يأتيك اليقين، وكن

---

(١) كذا في الأصل ولعله «صفحاً».

(٢) الأصل: وأنايك.

(٣) الأصل «هة».

لـلأقربين وصـولاً وعن السيء رحولاً، وبمعـروفك منيـلاً، ولأذائهم حمولاً، فإن ذلك ممّا يريك منهم ويكف عنك كثيراً من سيئهم، والله يوفقك لبرّهم، والصبر عليهم، فلذلك فالزم تسمَّى وافيـاً وتكون ثقـةً ماضيـاً، وبَعْدُ يـا بني فقد وليتك من صنعاء بلداً عاملني عليه مختاره أحمـد بن قيس بلا إكـراه[1] مني لـه ذلـك، ولا طلبـة فيهـا إليـه، بـل عـاملني اختيـاراً منـه لمـواصلتي وصحبتي، فعـاملني، فعامله وفـائها[2] فـارعـه بتلك[3] العين وقـوّ عـزيمتـه بحسن عشيرتك والإصغاء لرأيـه وترك أقـوال المنتصحين به والإصغـاء لهم، فلم يـدخل معنـا أحـد مـن الملوك بمثـل مَـدْخله، ولم يُـوالنـا أحـدٌ بمثـل موالاته، فأقمه في النصيحة مقامي فاتخذه نصيحاً فقد وجدته صحيحـاً، ولا تستبد في بلده ورجاله برأي من دونه فلذلك حـال تحمد عـاقبته، ولا تعـدم منفعته، وأنت فصائر إلى رجال قد جروا في الميـادين، وفلسوا السَّـلاطين، ولا تغتـر بإقبـالهم عليك واحتـرز منهم تحرزاً لا يجـدون فيه سبيـلاً إليـك، وذلـك فلا تخـرج من خراج بلدانهم دِرْهمـاً فما فـوق على يديـك، واجعل لـذلك أمنـاء منهم ومن العـامـة، واجهـد نفسـك في استخـراج الـواجبـات وإضافتها إلى الأمناء ولا يكن أمراً إلاَّ فيما يرسم لك منها فإن أحداً لا يجـد في يديك ما تذم عليه ما لم يصر في يدك ما هو صائر إليهم من يـد غيرك، وإن أراد ذلك منك مـريد كنت بمعـزل بما ينسب إليـك فيه الخيـانة ويخلق عليك عرضك ويستند منه إليك ما لا يحسن، فهذا وجه آعرفه وحصله، ولا تـر رأيـاً غيـره، فإن طلبـك أحد مـا ليس في يدك ظلمـك، وكـان عـذرك قائماً، وإن صرفته بجميل لم يشفعك وعلم عذرك، ووجه آخـر فإنـك تصير إلى بلدٍ قـد وليتـه من قبلك والٍ هـو لـك شقيق في النسب والفضـل لمن يفضـل، وقد أولى أهله جميـلاً صانهم فيـه، وعفَّ عن أمـوالهم ونـزَّه منهـا نفسه فعلم عند ذلك قدره وارتفـع ذكره، وجـلّ خطرُهُ، ثم إنـك إن سلكت بهم غيـر ذلك السَّبيـل آذوك ونقصوك، وقـلّ انتفاعهم بـك وانتفاعُـك بهم،

---

(١) الأصل «أكره».

(٢) كذا والأصل بدون إعجام.

(٣) الأصل «بتك».

وأعلا ذلك من لا تحب أن يكون له العلو عليك فاستعمل القنوع بما قسّم الله لك تكن معظماً متبوعاً، والله يوفقك لذلك ويعينك عليه، وقد كان لابن عمّك سيرة عيب عليه، وأنت فتنظر أتعين أباك ويؤمن إليك بمثل ما يؤمن إليه وتنظر ما يكون منك، فليس الناس بالملاينة والملاطفة ولا تسر فيهم بالشدة، واجعل شدتك إذا شددت وأسعدك على ذلك الأعْوان الكافون أخذ الحق من بعد البينات التي لا تدخلها الشبهات، وما أتى من دونه فله الأعوان فخذه منهم منه بما يوجب سيرة الوقت من الحبس والأدب، ومن وجب عليه قتل فاحبسه من قبل أن تسلمه لصاحب الظلامة وقتاً، لعلَّ في ذلك ما يحدث لصاحب الحق جميله، ومن قتل واشتبه أمره فاحبسه وأطل حبسه ولا تقتل أحداً بشبهة، ومن قتل في قتل قد وافقه متقدماً فلا تقتل به واحبسه حبساً طويلاً حتى يكون خلاصة بيد طالبه، وكذلك في حقوق الناس في الأموال فاحبس فيها حتى يتبين الحق لصاحبه أو يجري العفو منه، وعليك بالأناة والوقوف عند الشبهة، وقد قال النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم «المؤمنون وقّافون عند الشبهات» واصرف الخصوم إلى القضاة فإذا قضوا قضية فاستظهر بالأناة في إنفاذها وآمر بعرضها على الفقهاء وإذا وقع الاتفاق فأنفذ ذلك، وإن لم يقع فآردد ذلك إلى أبيك ولو بعد، وما جرى من حقوق الله في الزنا والشرب والقذف والسرق وكلما يوجب حدود فاحبس واستظهر على إنفاذ الحد بصحة الشهود وتفريقهم وابتلاء شهادتهم فمن صحّت عليه كما وصفت فأقم حدّه، ومن عرض لك شيء من ذلك فاستظهر عليه بغيره فإن وجدت من ينفذ حكمك وإلَّا فدع، فترك حق للمعذرة أمثل من ارتكاب فتنة لا يُوجد لها فيه، وممّا نوصي به الحرص على استخراج الزكاة والشدّ فيها فهي قوام السلطنة فمنّ عليها، فقم على من فعل ذلك بالأعوان إذا عصى وإن لم تجد أعواناً فحايل وَلاَ تقاتل ما أغنت المحايلة في ذلك ولا تقاتل ولا تكاسر، وإن لم تجد عن ذلك مَعْدلاً فإن دفعت إلى ذلك فتقدم بأصحاب ولا تبذل نفسك فيكون في ذلك هلاكهم واحرسهم ولا تشتغل بالقتال عنهم حتى يدهمهم ما يوجب قتالك من دونهم، ثم البذل البذل، وإذا انهزم أصحابك فاحم على أعقابهم

وإن وقفوا لكرة وكرهتهم، وإن نفقوا فاحم بقدر الطاقة ولا تنفصل عنهم، فليس لك موقف بعد معان فئتك التي تريد إليها، وشاور في الحرب من قبل الدخول فيه فأكثر الشورى، ولا تنفذ أمراً بالمشاوة من قبل الإجماع فإن اختلف المشيرون فخذ في الرأي ما يوجب سلامة العزّ والدنيا ولا تأخذ من الآراء ما يوجب الفتنة فإن الفتنة ربما أخرجت من الدين والدنيا وبدّلت العزّ ذلاً، فاحترز كل الاحتراز ممّا يوجب ما ذكرت لك، وإذا بان الحقُّ وثبت الأعوان فشد، وإذا وقعت الشبهة فأمسك، وإذا عدمت أهل العون فارفق بنفسك ولا تضع شيئاً إلاَّ في موضعه الله الله ثم الله الله احفظ بكل ما أوصيتك به، والناس أضداد وكل يسعى بضده فاطرح ذلك ولا تعمل من الأمور إلاَّ بأصحِّها وأبعدها من الريب، ولم أدع حالاً أوصيتك به إلاَّ وقد ذكرت لك منه أصلاً تبني عليه أو فرعاً تعتمد عليه، والله يوفقك ويحفظك ويمدك بعونه ويسعدك بطاعته وهي العروة الوثقى لا انفصام لها فتمسك بها ففيها النجاة والحمدلله أولاً وآخراً، وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وسلَّم تسليماً.

وهذه رقعة له أيضاً إلى ولده جعفر بن القاسم بن علي:

الذي أوصيك به يا بُني تقوى الله فإن من اتقاه جَعَل له من أمره يسراً، وممّا تضيق به مخرجاً، وقد ساقت الضرورات أباك إلى المدخل مع هذه الأمة التي لا يسع مؤمنً الدخولَ معها إلاَّ من بعد جُهد وضرورةٍ، ثم إنه ليس أحد أولى منك يا بني بمؤازرتك لأبيك ومعاونتك على ما قد دخل فيه فكن عند ظنّه، واحضر نفسك الصّبر على ما يلم بك من مقام هذه الدنيا، واعلم أن الرجل لا يوصف بالرُّجلة حتى يكون حازماً فاحزم في أمورك، واعلم أن الناس[1] ميلاً بعضهم ببعض، ومفتون بعضهم ببعض، فاصبر على من آذاك منهم ولا تفرحنَّ بقول من حسن لك القول، فربّ قول حسن من تحته سيء، ولا تظهرن من نفسك لعَدوّ عرفت عداوته أنك

---

(١) كذا: ولعله «للناس».

تشاه[١] ولا تثقن بصديق رأيت منه ما تهواه، فليكن حذرك من صديقك كحذرك من عدوك مع إظهار الجميل لهما جميعاً وبسط الوجه لهما معاً، واعتبر بما قد قلت بنفسك التي هي أقرب إليك منها فإنك تجدها تدعوك إلى ما لو أسعفتها فيه لكان بذهاب الدُّنيا والآخرة منك، وقبح القالة فيك، فإن كان ما تريد نفسك يؤول إلى هذا فكيف يكون حال غيرها من وليّ لم تتحقق ولايته أو عدو لا تأمن خيانته، يا بني إذا ارتضيك[٢] قوم لأنفسهم والياً ورأوك لذلك أهْلاً فصدق ظنّهم بك وألن لهم جانبك، وأحسن إليهم جهدك وليس ذلك بأن جعلهم[٣] من صبرك على مسيئهم، وتجاوز عن قبيح فعلهم فاجعل من نفسك ما قد وَصَّيتك به، واحذرك من الإصغاء لمن يبدي لك النصيحة، ولكن اسمع قوله وأظهر قبوله ولا تعطا[٤] ولا تعمل به حتى يتحقق لك منه ما لم يسْتبن عند لقائه، فإن أبانت لك التَّبينة[٥] سيئاً فاحْمل نفسك بالتجاوز عنه، وإن بانت لك حسناً فأنت إذ ذلك المقسط بحاجتك والسَّالم من عجلتك، وممّا أوصيتك به كثرة الاحتراز من الناس فإنهم مبتلون بافتقاد[٦] البريّة بحصون على كل إنسان قوله وفعله فاجعل السكات[٧] شعارك تسلم من ساع يَسْعى بعوار كلامك، وإذا أردت فعلاً فتثبت قبل فعلك حتى تدري إذ ذلك أوفق من الترك، وليس كل الرجال يَعْرف ما يصلَح له وإنما الذي يحظ بالمعرفة من قد جرب الأمور، ودارت عليه دوران[٨] الزمان، وأنت يا بني غر[٩] عن الدنيا وما فيها شاور الناصح إذا عرفته، وربما أفن رأي الناصح المحب ولكنه يتقلد اللائمة في ذلك، ولا ترم أنت نفسك بَعْد مشاورتك، إياك يا بني أن تعجل بعقوبة من أدبت

---

(١) كذا ولعله «تشنأه».

(٢) كذا ولعله ارتضاك. (٣) كذا.

(٤) كذا ولعله ولا تعط.

(٥) اللفظة بدون إعجام ولعلها «البينة».

(٦) كذا ولعله «انتقاد».

(٧) في الأصل السكان والسكات مصدره. السكوت معروف.

(٨) كذا ولعله: دورات.

(٩) الأصل «عرين» ولا معنى له.

حتى تعرف ما يفعل، فإن المغتاظ يغرب عن عقله، ومن قدرت أن تضربه بسوطك فلا تضربه بسيفك، ومن قدرت على حبسه فلا تضربه بسوطك، ومن كفاه الكلام منك فلا تلقه في حبسك، ثم عليك بترك الانبساط وإكثار المقول، وردّ تحية من حياك أوجب من حياطتك عن خطئه بأصوب القول، ثم أمسك فإنك تقدر بعد الإمساك على ما تشاء من القول ولست تقدر على ردّ ما يندم على قوله من الكلام، واعلم أن المروءة التي تناهى إليها الصفة والعفّة التي ليس مثلها عفة الزهد في حطام الدنيا وقلة الشّره إلى ما في أيدي الناس غير عمّا تدعوك نفسك إليه، ووفر مال من عرض عليك ماله وربما أعطى الإنسان عطية تختبر فيها مكنونه وتعرف بها همته، فإياك ثم إياك أن تقبل هدية من أحد ولا تقضه حاجته، وتغن بما قسم الله لك، وأنا زعيمك بقضاء حاجتك، وجلالة قدرك إذا أدّيت ما فرض الله عليك، وجعلت حاجتك إليه، والسلام، وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وسلّم.

قال الحسين بن أحمد: فتقدم الأمير بهذه السيرة فقرأها كافة رعيته، وأقام في مخلافه يُصرّفه، وكان بَعْد ذلك بفينة إذ أتى الإمام عليه السلام وادعة وشكوا إليه بلدهم وتَضْييعها وأنه ولّى عليهم من الولاة من فرط فيها فيما لا غِنَى لهم به، والإمام عليه السلام في إنفاذ الحقوق وتخليص الواجبات، وضبط العشائر، وكان ولاته في ذلك بنو المختار وكرهوا ولايتهم، وسألوا الإمام أن يولي عليهم ولده علياً ابن الإمام المنصور بالله أمير المؤمنين القاسم صلوات الله عليه، فأوجب لهم في ذلك وولّى ابنه عليهم، ووجه مع القاسم تذكرة يسيرها في ولايته، نسختها:

بسم الله الرحمن الرحيم تعلم يا بني أرشدك الله وأسعدك أن حكماء الأمة من جَعَل الأناة نصب عينه وشعار قلبه، ثم استظهر بآراء ذوي التجربة الذين كثرت عليهم نوائب الزمان وتتابع الحدثان، وأنت غر من الزمان وما يدور به على الإنسان، فإن استشرت من قد لحقه التجربة عقلت رشدك وسعدت، وليس كل الناس يستشار وإنما الرأي لأهل العقول الرضية والديانة والأمانة، وليس رأي الواحد يكاد يتبين صوابه إلاّ لمحصل حكيم،

فإذا أردت تنال الـرأي فشاور جماعة من ذوي الـرأي كلا على حيـاله فـإن اتفقت آراؤهم فلن يكـون مع الإجمـاع خـطأ، وإن افتـرقت واختلفت فخـذ منها بما أوجب العفو والأناة فاجعله المقدم، فإنك مع ذلك ستـدرك الفائت وتأمن الندامة، فهذا وجه اجعله مقدمة أحوالك واجعل بجميع متصرفاتك أن تستشيـر فيما كلك[١] وسـر مسرّتـك، وما لا مشـورة فيـه ولا غنى عنـه لكن ضربته مثلاً لئلا[٢] تدع المشورة في صغيرة ولا كبيرة ولا قليـلٍ ولا كثير الله الله، وأحذرك نفسك فإنها من أعـدا أعـدائـك لك وأشـدهم مضرة عليـك، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿**إن النفس لأمارة بالسّوء**﴾[٣]. وقال عزّ وجـلّ: ﴿**وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى**﴾[٤] والهوى فأصل كل معصية، وقد قال علي عليـه السلام «وإذا خـطر ببالـك خاطـران فخذ بأكـرههما إليـك فإن الـرشد فيما تكرهـه إلى آخر عمـرك» فإن أجبت دعوتها وضعـك ذلك وأذهب بهـاءك، ونظرك بعين الـدناءة من عـاداك وساء ذلك من والاك فالزم الصَّبر فإن الصبر مفتاح الفرج، وقل من صبر فلم يظفر بحظ بحاجته، واستعمل عن كل ما تدعوك نفسك إليه والصَّبر وأحذرك إدناء من نقصك[٥] دناءة، وتقلل من الناس ما استطعت، فإن مثل خيارهم كمثـل الـدرّ، ومثل شـرارهم كمثل الصّخـر، فـالـدر خفيف محمله كثيـر منفعتـه، والصّخر ثقيل محمله قليل نائله، وأحـذرك الرغبـة في الدنيـا فإنهـا فضاحـة نشـافة[٦] وليس يـدرك لها غـاية، وأحـذرك أن تطالب حـوائجك معـاً فيثقل عليك مطلبها فيخزيك فتونها[٧] وآطلبها بدداً فإن ذلـك أحرى بنيلهـا وأخف لتكفلها[٨] لمن كفلها، فهذا وجهه فاعرفه، ولا تغلط فيه، وهـو الذي أجـلّ

---

(١) كذا.

(٢) في الأصل «لئن لا».

(٣) الآية: ٥٣، سورة يوسف.

(٤) الآية: ٤٠، سورة النازعات.

(٥) كذا واللفظة بدون نقط.

(٦) كذا.

(٧) في الأصل يجزيك فتوتها (واللفظة غامضة).

(٨) كذا ولعله لتكلفها.

بكل من دخل في مدخلك ونحن بمعزل ولست تحظى بشيء قد وصَّيتك به الآن إلاَّ بتقوى الله وتقوم بما حضّه عليه، ولا تذر اكتساب العلم والاقتداء بآثاره من العلماء والحكماء وهذا مفتاح الرزق والنجاة من غضب الخالق، وقد قال النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم: «من عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار» والسَّلام، فالله يصلحك ويحفظك ويوفقك والحمدلله وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

قال الحسين بن أحمد: وكان مقامه بعيان ونهض منها إلى مذاب وأقام بها يعمر حصناتها ويزرع في ضيعته فبلغه شكايات بين ابن أبي الفتوح وبين الزيدي فأمر الحسين بن ظاهر بن حلم الحسيني أن ينهض فيصلح بينهما ويجعل طريقه إلى ابن زياد[1] وكتب له هذه التذكرة التي نسختها:

بسم الله الرحمن الرحيم الذي أوصيك به يا سيدي اسأل الله رعايتك وأعهد إليك فيه تقوى الله بدءاً[2] وأنّب[3] بعض هذين الأميرين في أنفسهما وتحذرهما مكيدة من يريد فرقتهما ويشاء أن تكون السّواية[4] من كل لصاحبه بيد الآخر، فقد رأيت وجه لذلك وتحقق عندي وتحذرهما النمرقة[5] الثانية المنتصحون فإن الفرقة لا تأتي إلاَّ من الأتباع، وأن تصل الزيدي أيّده الله تعالىٰ فتحدَّث معه في وجوه أولها: أنه قد عاد ينسب إليه الغدر وما نسب إليه لم يعدل عني، ولم يجعل إلاَّ مني، وقد أقريتك من الرقاع المدرجة إلى ما قد شاهدت، ولا بدّ من أحد وجهين إما أن يكون فيه كما قال الله سبحانه: ﴿**وأمرهم شورى بينهم**﴾[6] وإمَّا فرقة أكون فيها

---

(١) هو حاكم تهامة في ذلك الوقت وهو إسحاق بن إبراهيم بن زياد يلقب بأبي الجيش وقد توفي سنة ٣٩٠ وخلفه ولده، إبراهيم وقيل اسمه زياد (انظر غاية الأماني: ٢٣٢).

(٢) في الأصل بديا.

(٣) في الأصل: وأنت، ولا معنى له هنا.

(٤) كذا تقرأ هذه اللفظة.

(٥) كذا ولعلها التفرقة والنمرقة: الوسادة.

(٦) الآية: ٣٨، سورة الشورى.

أول من يخرج من الأمر، وألزم العزلة، ففي ذلك لي راحة إذا لم تقدني[١] السّلطنة إلى الأئمة[٢] ابن قحطان يشكوا، ثم قد صلح ما بينهما وهو صلح إلى الفساد وابن أبي الفتوح راسمه على رسم وأوجب لي رَسْماً غير ما رسم فلم يتم ذلك واعتذر ببلاغات يمكن أن يكون فيها محقاً ويمكن أن يكون باطلاً، وكل أمر خفي فليس على أحد منه يبعد[٣] ولا بدّ أن يسلم إلى ابن أبي الفتوح نصف مخلاف خولان، ولا يكن عليه فيه يد ولا إعتراض من وال ولا غيره، وألف دينار على ما لم يقسم له فيه من مخلافه، على هذا توافقنا ولا أعذره فيما وافقني عليه بوجه ولا سبب، وقوله رعانا[٤] الله: إن ابن أبي الفتوح غدر وأنه خلع على من بشره بهزيمة نجران، وأنه وجدت كتب بما يوجب النقض وأنه كاتب، وهذا ومثله خفي لم يدر به أحد بعد والذي كان قد عمل معنا كان ظاهراً قد شهده الخاص والعام، وأحاط به كل علماً وفهماً، فهذا وجه به تتم المصلحة وتنقطع به حجة هذا الرجل عنا ولا تعود إلاَّ بعد برنا، إلاَّ فيما كان من بدء عداوتنا وقد عدا بعد ذلك بما أدنى إليه المكروه، ووالله لئن حرصت على هذا الوجه أن أكثر حرصي السّيرة من هذا الرجل ومن الناس لأني أحق وأوفق أنه متى أيس أن يكون له مني نفاعة من الأمير عوده أن البلاء يحمله على البلاء وهو رجل كثير الدرش[٥] والحاشية ولم تكن مؤنته ومؤن من يمون إلاَّ من الخراجات التي كانت تجبى إليه، ثم الرجل إذا دفع إلى هذا الحال القبيح القبيح[٦] غضبت له السَّلاطين وأنذروه ولحق العشائر ما يلحق القريب على القريب، والصَّاحب على صاحبه، وعند ذلك تدر المداره ويكشف وجهه، فأدنى من يعمل إذا لم يكن فيه نهضة أن يقطع هذه الطريق ويبدي الخلاف فإن تركه

(١) كذا.

(٢) كذا ولعل في العبارة نقصاً.

(٣) كذا واللفظة بدون إعجام ولعله هكذا «تبعة».

(٤) كذا ولعله «رعاه».

(٥) كذا ولم أجده.

(٦) كذا في الأصل.

جرى المخالفون مجراه واتسع الخرق، وإن نهض نفسه يخبر[1] عنها في عشائر عزيزة[2] وبلدانه خربة[3] لا تنال، فالله الله لأبدوه[4] دراية في هذا الرجل ولا تستقر عنده حتى توجب مسألتي في هذا الرجل، وَوَجْه آخر ممّا أعرفه به فإن جميع من يريد الخلاف، لا يقدرون عليه، ولا له للإيخاف[5] السّلاطين فيسدّ كل باب يخشى أن يدخل عليه منه، وكذلك القواد الذين يجرون في الطاعة مجرى السَّلاطين فيحسن مداراتهم ويقم بنصفهم، ثم عليه بالخفض ولزم موضعه وإصلاح ما في يده ولا يطلب اليوم فتح بلد بكثر ولا بقل إلاَّ ما دعاه الأمير لفتوحه متى قد عامله عليه، فإن دعاه لشيء من ذلك طلبه ما قد وعده به فإن يصير إليه من المال ما يحمله للقيام وإلاَّ فأمسك حتى يعينه الأمير على أموره، فعلينا في هذه السَّلطنة أحوال شتى من رسوم تقتضي، وبلدان قد قبلنا[6] فيها قد خرجت من أيدينا وأحوال لا تزال تثوب لأن السلطنة كالثوب الخلق في كل وقت يحدث فيه حادث يحتاج يرفا، ولا مال في أيدينا نجبر به ما قد فسد، ووجه ممّا نخاطبه عنه أن نقول لهذا الرجل: أنت له مأمور وأنت عليه آمر، ولن نقل إلاَّ أنه مأمورنا إذا قال ذلك، قلت فهل علمت أن امرءاً يكون أمراؤه مسبوبين[7] على خراج ما ولو على ترك المشورة لمن تأمره يُولوا، فإن قال: لا يكون ذلك، قيل فيما راغبت[8] به سلطانك ممّا وليت، وفي أي فتنك شاورته، فإن قال إنه فعل ذلك، فلم يكن ذلك إلاَّ مما وجه ابن قحطان أو سبب[9] سألته إياه بالأمس ولا شيء سوى ذلك، وأما المعاملات والفتن فلم يشاورني من ذلك بل نهيته في كتاب يذكر في «...» عند منصرفنا[10] من

---

(١) كذا واللفظة بدون إعجام.

(٢) كذا.

(٣) اللفظة بدون إعجام.

(٤) كذا واللفظة بدون إعجام.

(٥) كذا واللفظة بدون إعجام.

(٦) كذا وربما كانت «قتلنا» واللفظة بدون إعجام.

(٧) كذا واللفظة بدون إعجام.

(٨) كذا واللفظة بدون إعجام ورسمها هكذا: «راعبت».

(٩) اللفظة غير منقوطة.

(١٠) الأصل هكذا «في عبد منص فنا».

نجران عن قوم يتقصدهم فنسبوا ذلك إليّ وخطوطي معهم فهم يحتجون بها اليوم عليَّ، ثم لو أهمني اليوم مهمة لكنت غير قائم بها وذلك لسبب ولاتي ولا شيء سوى ذلك، وأما الفتنة فيقدر عنها بأعشاش[1] السَّلاطين وليس لعشهم وجبت فتنتهم[2] لأن علياً عليه السلام، قال في أهل الملة: لهم علينا ثلث ما كان لنا عليهم، ثلث لهم علينا أن لا نمنعهم من الفيء ما كانت أيديهم مع أيدينا، ولهم علينا أن لا نبدأهم بمحاربة حتى يبدؤونا، والأمير أعزّه الله قد خالف سيرة جدّه في هذا الوجه، ولا لوم الآن في فائت قد مضى بما فيه، ولكن من السَّاعة فنكون على أمرٍ معلوم إن كنَّا أصحاباً وإن لم نكن أصحاباً مهلنا وعرفنا من بيننا وبينه عقداً نافذاً، تركنا ما تقلدونا وكان لنا في ذلك راحة وخلاص ممّا لا يقوم به حق القيام، وممّا يذكر الشريف ومخاطبات فيه الأمير ابن قحطان أيّده الله تعالىٰ حال ويبدو ممّا قد عرض أهلها فإن الأمير قائم على القوم لا محالة تركت معاملتهم وكنت تعتذر إليهم كراهية الأمير بذلك وأنه لا نفاعة لهم فيما به أعمل معهم إلاَّ بصلاح حالهم مع الأمير وتجدد الكتب إلى ابن زياد ما لا يمسي معه حالاً بترك رسم الأمير في موافقته، فإذا صلح حال الأمير لم [3] إلاَّ بخير وإن كان من الأمير تباطؤ وتأخر جرى[4] بيننا وبينهم فساد بحسب ما يحتمل الوقت وتقع عليه المشورة، وإن رأى الأمير تأخر القوم حمل الحطب معهم ونحر فيهم إلى متصل هذا الأمير، وأما مكروه فلا يأتهم، أمرته فيهم ويعتذر على سبق بمعاملة الأمير، ويقال ما اتصال أمورنا بأموره ولولا ذلك لأجرينا المعاملة بيننا وبينكم بلا نائل يطلبكموه، ونحو هذا القول ممّا يحمل به المخاطبة ويكون من مطنب بكتب إلى ابن زياد يصدر كما يذكر له، وقد بعثت أخي وسيِّدي فلان بن[5] فلان لينظر حال الأمير ابن قحطان

---

(١) كذا وربما كانت إغشاش بالغين المعجمة وربما كانت أيضاً أعشار والله أعلم.

(٢) ربما كانت هذه اللفظة هكذا «فيئهم».

(٣) بياض في الأصل.

(٤) في الأصل أقرأ.

(٥) الأصل: بن.

وأرجو أن الأحوال تحمل وتجري بالصَّلاح فيكون الكتاب مقدمة تبعث بـه ويكون كتاب ابن قحطان توال فيه قد كان إجراء أخي وسيدي فلان ابن فلان مع الأمير ابن زياد خطباً في هدنة ثم قد جنح لذلك وعوض شيئاً من ماله لعلمنا بما يطلب الأمير قبله ممّا قد ارتسم فيه في بلده ولم نحب أن نجري معه حالاً إلاَّ عن مشورة الأمير لاتصال أحوالنا بأحواله وأمورنا بأموره، فما زاد الأمير في ذلك ألقاه إلى الشريف فيخاطب عنه القوم فإن جرى شداد كان عن إنفاق وإن لم يجر ذلك لم يغمس معه يداً وكنا نكف ونراعي ما يتفق للأمير أيّده الله تعالىٰ على هذا الرسم فليكن الكتاب والسَّلام وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

قال الحسين بن أحمد: فأقام الإمام عليه السلام بمذاب ونهض الحسيني برسالته اليمن وهو يعمر بمذاب ضَيْعة هناك وحصناً وعيناً أجراها في وادي مذاب بضيعته، والأمير جعفر يصرف الأمور ولايته صنعاء ومخاليفها، وكذلك على بلدان وادعة وبلدان ضاف[1] وكذلك سليمان على صعدة ومخاليفها وغفل عن نجران وأهلها، وقال لمن خاطبه في القيام عليهم فقال: لا أكره لهم ما اختاروا لأنفسهم من الشقاء ولا لمن خذلنا في جهادهم من الوزر والردا، فوصل الحسيني إلى الأمير الزيدي وخاطبه عمّا ألقى الإمام عليه السلام فلم يعتمد على أمر الإمام عليه السلام الذي أرسله به إليه فظهر مع الحسيني يستنا[2] رده به، وهبط تهامة فلم يتفق ما أرسله فيه شيء مع جميع السلاطين الذين ندبه إليهم، وذلك لخلاف الزيدي لأمر الإمام عليه السلام لأن الزيدي طالت هيبته[3] في اليمن وكثر باعه[4] من الجنود وأهل الطمع، وصار في يده من ابن قحطان ما أعانه به من المال على قتال حمير، وما أمدته سلاطين اليمن إذ أشرف عليهم ولاية الإمام عليه السلام له عليهم مع ملك الهان، وقبض خراجها دون الإمام وغيره أدّاه

---

(١) من قرى جهران «الصفة: ٢٢٠».
(٢) كذا في الأصل ولعله «شيئاً».
(٣) الأصل «طاحلت هيبة».
(٤) كذا ولعله أتباعه.

ذلك إلى حب الدنيا والرفعة فيها، واستبدّ عند ذلك برأي نفسه دون رأي الإمام عليه السلام، وانفتحت له هذه الفتوح باسم الإمام يعني مشورته فاعتمد في رأيه، على أن ذلك بنفسه ورأيه، وأن الإمام لا يقدر بمثل ذلك، ثم سعى السَّاعون الذين يحبون توهين الإمام عليه السلام إلى الزيدي فأوهموه أن الإمام قد ذكره مقامه وهو يريد أن يقوي السَّلاطين الذين عاداهم الزيدي عليه، وقبل ذلك الزيدي منهم وغيره، وذلك لما صحّ له من عتب الإمام عليه في خلاف رأيه، فابتدأ الزيدي عند ذلك الجفا للإمام عليه السلام والشكاء إلى الناس أن الإمام مال إلى سلاطين الجور [و] والاهم وأنه يريد نزعه لقيامه على الظلمة، وكثرت السعايات والمكتبات[1] واضطرب لذلك الخلاف، فكاتب الأمير جعفر أباه الإمام يعلمه بكثرة الأوجاف في مخلافه من الزيدي وممّن ثبت بخيله فنهض الإمام عليه السلام وهو شبه المعتل حتى صار بصنعاء فأقام بها شكلاً من شهر يعالج علته بها، وسكن ما قد علا بني الأخيار[2] فيها، وذلك في شهور شوال وأول ذي القعدة من شهور سنة إحدى وتسعين سنة، وفي ذلك ترد الكتب والمواعظ إلى الزيدي ولا ترجع إلاَّ جفاء ما يكون وأغلظه، كتب الإمام إلى الزيدي كتاباً يعظه ويخاطبه فيه نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم، كتبت يا أخي وسيدي أسأل الله حفظك ورعايتك وكلايتك وأنا بحال من الله جميل وعطاء جزيل فله الحمد كثيراً كما هو أهله من مستحقه، وبعد أبعد الله السوء عن نفسك، فقد بلغ الماء الزبا، وكثر على رعيتنا البلاء، بمبلغ الأمير منتهاه فاتبعنا[3] فالقبول قول الوشاة واتباعنا لما فطرنا الله عليه من الأهوى، وإلى الله ابتهل وإيَّاه أسأل أن يعجل صلاحنا ويغنينا على جهاد أنفسنا، وأنا أسألك يا ابن عمي مسألة القريب لقريبه والنسيب لنسيبه أن تترك ما قد ساء الأولياء وشمت الأعداء

---

(١) كذا وكأنه من الكتب (معروف).
(٢) كذا ويحقق إذا كان اسم موضع في صنعاء هناك ولعلها «الأجبار» «واللفظة بدون نقط».
(٣) كذا ولعله فاتبعنا قبول.

من استغنى[١] كل منا برأيه دون صاحبه، والله قد نهانا عن ذلك وأمرنا بالمعاونة على ما أمرنا به من طاعته، فقال عزّ وجلّ: **﴿وتعاونوا على البرّ والتقوى﴾** ونهانا عن الفرقة، فقال عزّ وجلّ: **﴿ولا تتفرقوا فتذهب ريحكم﴾** وقد جمعنا أمر لا يسعنا فيه الافتراق ويجمل بنا فيه التعاون والاتفاق، ولم نخرج من قومنا مهاجرين ومن أوطاننا سائرين إلاَّ لنصرة الدين والحسبة لرب العالمين، ولن يتم لنا ذلك ولا ننال العلو فيه في الدنيا والآخرة إلاَّ بالصَّبر على المحن والبلوى ما وأعظم البلوى ما ابتلى بسبائبه من نستأنسه ثم بساسية هذا السر المنظور على اتباع الهوى ومفارقة ما فيه النجاة عنه، وقد ساقتنا الضرورات إلى الدخول معهم والصَّبر على معاشرتهم رعاياهم وسلاطينهم ولم أتم بالحسبة حتى قد رضيت نفسي فخبرت منها الطاقة بحمل الأمور وحسن السياسة والتدبير فأردت[٣] منك يا ابن عمي وشقيقي في نسبتي حيث ولّيتك أمري أن تستأمرني في جميع ما يقوم لك من الأمور في معاشرة هؤلاء السلاطين، وإن عصيتك في ذلك بشيء[٤] احتملت وحملتُ وصبرت فذلك سمت آبائك الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين، لأنهم رؤساء هذه الأمة وقوادها إلى كل مظلمة وهم إلى أتباعهم أميل وعليهم اتباعنا أثقل برفد[٥] حل الأمر عن العتاب وأشرفنا من القطيعة على فناء يغضب رب الأرباب، واليمن قائماً هو لأهله ولسنا نتنافس في ملكه فيعوض بنا حي وسيدي رأياً يحملنا[٦] وأمراط[٧] تجمعنا، واعلم أنه لم يتبعنا بين انتفعنا[٨] بحوائج هي لهم وذلك حسن سيرة منا أو نائل لا يبعدهم عنا، فما كنا لهم، كذلك استمتعوا بنا، وإذا حملناهم على

---

(١) الأصل من الاستغنا.

(٢) الأصل هكذا «ما ابتلا بسبابه من ستاسه ثم سياسه».

(٣) الأصل «قارت».

(٤) الأصل شيء.

(٥) كذا ولعل أصل العبارة هكذا: «وقد جلّ».

(٦) كذا والعبارة مضطربة.

(٧) مرط الشيء جمعه.

(٨) كذا ولعل العبارة هكذا «من اتبعنا» أو «لم ينفعنا من ينفعنا».

غير ذلك نجلوا عنا، واستبدلوا بنا غيرنا، فانظر بنا الآن يا ابن عمي في أنفسنا فإن نظرنا مصلحة تصلح بنا مرسولنا[١] واعلم أنه لا يشفي بيننا إلاّ أنفسنا ونحن السقراء بين[٢] غير، والواجب علينا ذلك، وإياك أن نكون كالذين قال الله فيهم: ﴿**أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون**﴾[٣] فلا جعلنا الله كأولئك ولا مثلنا بهم إنه على كل شيء قدير وبكل شيء بصير، وقد كتبت يا سيدي تعدني من نفسك بأنّني لو أمرتك بالخروج ممّا أنت فيه لخرجت، ولست لذلك لسائل بل مثلت، وإليك مائل، وإنما سألتك [٤] فإن حمدت عاقبته، وإن لم يتم زلت عنه لا منه فامتدد[٥] لي يدك ولا تبغي فيمن ترخص فيعلموا مثلي عليك فاستبق في قار[٦] مع اليوم غدا والأيام عوج رواجع، ونعم يا ابن العمّ آبائك فكافة أهل بيتك، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وسلَّم.

فأجابه الزيدي بكتاب نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم، وصل كتاب مولانا وسيدنا أطال الله بقاءه وأدام عزّه وعلياءَه، وكبت حاسديه وأعداءه، وحمى أوطانه وتابع إحسانه، ووقفت[٧] على جميع ما ذكره ممّا بدا منا جميعاً، والإمام أيّده الله تعالىٰ يعلم أنه لم يكن لي في ذلك سبب بدأت فيه بحال بل كان ذلك مبتدأه من حيث علم أيّده الله فاعتذر الإمام عليه السلام لما شكوت ذلك فقبلته وارعويت إليه إلى أن تبين من الإجماع في ذلك ما تبين، فجرى من الأمور الذي جرى عن غير محبة مني ولا مسارعة في أمر يخالف عليه ولا يسوؤه عليه، ووقفت على ما وعظ به أيّده الله تعالىٰ وأنا والله العظيم متعظ وإلى

(١) كذا وتقرأ هكذا «من سولنا».
(٢) كذا وتقرأ أيضاً هكذا «السقرانيين».
(٣) الآية: ٤٤، سورة البقرة.
(٤) بياض في الأصل.
(٥) كذا ولعله «فامدد».
(٦) كذا.
(٧) الأصل ووقت ولا معنى له.

كل أمر مسارع، وبالله ما علمت أنه جرى مني حال أوجب ما جرى عليّ وقد هو يعلم أطال الله بقاءه أني لم يكن لي قصد سوى ما يسرّه، والآن فإن لم يكن لمولانا الإمام في إتمام المعاني التي كنت عليها من موالاته فقد علم الله أني لم أحنث[١] له عن حال يريده ويحبه كان يجري على العهود من ظنّه[٢] الجميل، ولم يكن أيّده الله يصغي إلى كلام الوشاة والأعداء الذين هم له أعداء، وإنما أحكموا هذه الأحوال فجعلوها داعية إلى الفرقة والمباعدة من الاتصال، وهو أطال الله بقاءه يَعْلم يقيناً أنّي لم أطلح[٣] معه بكلام دون فعال، بل كل ذلك بحمد الله خارجين ما غبر ولا كدرة[٤] مكدرة، وذكر سيدي الشريف الحسن بن طاهر ما وقفت عليه وحملته من القول ما يؤديه واستكفيت بذلك عن التطويل، وقد وعظني الإمام مولانا بما يشنعني إليه، وأنا آمل منه الرجعة عن ذلك إذ وعظني فإنه قبيح بالواعظ أن يكون غير متعظ، والآن فقد أنفدت مع سيدي الشريف ما نبرهنه[٥] ونؤذنه، وقد عزم يبتغي يصل لأن خوضه مني، والله العظيم في حال من الأحوال لا يصح صدر ولا قرابة رحم ولا ديانة منعاً ولا وفاء بمعاهدة، فليبل الإمام جميع الأمور القليل منها والكثير، ويعرض كل ذلك على نفسه، وقد ذكر أدام الله عزّه أن احتمل منه وإنما يؤمل الاحتمال من الإمام أقام الله علوّه للمرتبة التي جعله الله فيها إذا سبق مني حال يوجب ذلك وكان ينظرني بعين الوفاء والتمام والمسارعة بالإنجاز والإكرام، وذكر أدام الله عزّه ما كنت أعده من نفسي ولم يكن ذلك حالاً زلّ[٦] بل هو اليوم متجدد، غير أنه أدام الله عزّه أراد أن يأخذ بيننا العدو وغيرنا معله ولا لي[٧]، فإن كان شاكاً في ذلك فليمنع معي على العدو قبل، فإني له عند

---

(١) اللفظة بدون نقط وتقرأ أجيب، أخيب إلخ.

(٢) الأصل: طينه الجميلة.

(٣) طلح: ألح.

(٤) نسخة بمعرة «من هامش الأصل».

(٥) اللفظة مكتوبة في الأصل هكذا «بفنه».

(٦) كذا ولعله «حالاً لا أزال».

(٧) كذا.

كل شار على الوفاء والتمام ما دقا[١] لي غير أني[٢] قد أجلت أن يكون بيننا كتاب يشهد فيه على الكل منّا وبعد ذلك فإني معين له لا أزال على طاعة الله تبارك وتعالىٰ متبرئاً إلى الله وإليه من كل أعداء الله ومقاربتهم ومعاملتهم ما وجدت إلى ذلك معيناً من أهل الإسْلام، وقرأت على الإمام السَّلام كثيراً طيباً، وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وسلّم.

وخفّ الإمام عليه السلام وهو بصنعاء من علته وعوفي عنها فأراه رجل من سكن صنعاء يقال له سلامة بن محمد الحداد[٣] شعراً يهنئه وأولاده بعافيته يقول فيه:

صحّ الإمام فأشرق الإسلام ... وأنارت الأحكام والأعلام
وارتد عنا كيد كل معاند ... ورست بنا أمناً به الأقدام
واختصّنا رب العباد بنعمة ... يبقى به من دونها الإنعام
أيس الطغاة به عن الأمر الذي ... كانت تمن لهم به الآثام
فهنت سلامته بنيه «...»[٤] ... ما امسوا وهني برؤه الاسلام
وهنت جميع المسلمين حياته ... ولحاسديه الذلّ والإرغام
ملك تدين له الملوك مهابة ... وتذلّ من خوف له الأقوام
فتراهم حافين حول رواقه ... منهم قعود حوله وقيام
لا ينطقون مهابة ملكانه ... وإذا يقول فما يرد كلام
ملأ القلوب جلالة ومهابة ... وهو الجواد الماجد البسام
وأما حنا[٥] قد تبين فضله ... ما مثله في العالمين إمام
ما ان يقاس بفضله فضل ولا ... بمقامه أبداً يقاس مقام
اعتلّ فاعتلّت قلوب ذوي النهى ... شفقاً به واحتلها الأسْقام

---

(١) كذا.
(٢) الأصل «إلى».
(٣) سبق ذكره.
(٤) كلمة غامضة تقرأ هكذا «حسنت».
(٥) كذا ولعله «وإمام حتى».

وأقـالـه رب العبـاد فـأصبحت قد صحت[1] الأديان والأجسام
والله أسكن فضله فبشكره يرجى لأنعمه الجسام دوام
وأتم دولته الإله لخلقه وأدامها ما دامت الأيام
ووقاه أسباب المتالف دهره وعليه مني في المعاد سلام

وكان الإمام مقيماً بصنعاء في هذه الأيام إذ أتاه أسعد بن أبي الفتوح مسلماً عليه وشاكياً عليه ما أولاه ابن عمّه الزيدي، فقابله الإمام عليه السلام بأحسن مقابلة وأولاه البر والبشر ووعده بمخاطبة الأمير في أسبابه فيه وهو معامل الإمام، وأقام أسعد بصنعاء لمقام الإمام بها، وكاتب الزيدي في إصلاح ما بينه وبينه فلم يجب إلى ذلك واعتمد خلاف رأي الإمام، وكان بقلعة بيت بوس[2] من بني شهاب ورئيسهم[3] في ذلك العصر محمد بن سلمة، فوصل الإمام بصنعاء فبايعه وبذَل له الطاعة وقال له: إن بن عمّي ابن عباد معامل للزيدي وأنا بريء من فعله فإن أحببت يا ابن رسول الله أن ينهض الأمير جعفر معي فيصير في القلعة فإني أخاف من الزيدي أن يرسل واليه إليها ويسعده بعض أهل بيتي، فأجابه الإمام عليه السلام إلى ذلك، وأمر أسعد بن أبي الفتوح بالمصير معه في القلعة ففعلا ذلك ولبثا بها أياماً، ثم صحّ لهما أن محمد بن سلمة قد استوى أمره وأمر بني عمّه في طاعة الزيدي والخلاف على الإمام وأخشا[4] منهم المكيدة ويظهر على قبيح فعلهم، فدعاهما ذلك أن يتركا عَسْكرهما وخدمهما في القلعة[5] ونهضا بأنفسهما في أول الليل إلى الإمام عليه السلام صنعاء يشاورانه ويعلمانه[6] على ما قد اطلعا عليه، ويَسْألانه أن لا يعجل بنهوض من

---

(١) الأصل «حجت».

(٢) بيت بوس: قرية من عزلة حزة صنعاء ناحية بني مطر، وتقع الآن في ناحية سنحان وهي على بعد ٧ كيلومتر جنوب صنعاء «السيرة المنصورية: ١٧٠».

(٣) الأصل «رأيهم».

(٤) كذا ولعله هكذا «وأخشيا».

(٥) الأصل: القعلة.

(٦) الأصل: وبعليانه.

صنعاء ويثبت لهما لحاجتهما إلى ذلك، وما يأملان من العزّ والصّلاح لهما بمقامه، وذلك أنهما أخبرا أنه يريد النهوض، فوصل[1] الإمام عليه السلام ومعهما علي بن الحسين الحسيني الأعور، وبان في ذلك العصر من أهل صنعاء السّاكنين بها وقضيا مشورتهما من الأمور، وخرجا لأن يعودا في الليل القلعة، فأقسم الشريف الحسيني عليهما إلاّ ما دخلا منزله فأوجبا له، فأمر لهما بضيافة وكرامة فشغلهما وإياه حتى أصْبح ثم نهضا بعد أن صليا[2] إلى القلعة، وعلم محمد بن سلمة بخروجهما في الليل، فأرسل لمن بعد من بني شهاب فاسترو[3] على أن يكمنوا لهما في العقبة في الليل ويقبضوا عليهما أو يقتلوهما، وذلك بمعاملة الزيدي لهم عليهما، وكمن بعضهم من خلف القلعة حتى يمكن أصحابهم الأمير، ثم ظهر الجميع بهم على من بقي من أصحابهم في الحصن فحكموا فيهم بما قد كانوا عزموا عليه من قبل، فلما اشتغل الأميران جعفر وأسعد بن أبي الفتوح في ضيافة الشريف حتى أصبح ارتفع الكمين من العقبة من خوف أن يشهروا فلم[4] عاد ينالوا نيلاً، ووصلا وقد أسفر النهار ولم يجدا على العقبة أحداً فدخلا الحصن، فشكا بعض أخدام الأمير أبي الفتوح خادماً للأمير جعفر أنه أساء به، فأمر الأمير جعفر بالخادم أن يجلد ويعاقب أشد عقوبة، فلما فعل بالعبد ذلك صاح يَصْرخ لمن ينقذه من العقوبة بأعلى صوته، ويقول في صوته: السّلاح والرِّجال، وكان الكمين الذي خلف القلعة لم عاد يصلهم أن الكمين الذي على العقبة قد ارتفعوا، فلما سمعوا صياح الخادم ظنّوا أن أصحابهم قد فعلوا ما كانوا متعاملين فيه بالأميرين فخرجوا من أماكنهم شاهرين للسلاح قاصدين للقتال، فردّ الأميران أيديهما وعسكرهما لقتالهم، وظهر في الحصن في بيوت منه من كمينهم رجل، فوثب الأميران عليهما فحال دونهم ابن سلمة وبان منه الميل مع أصحابه والغدر بما كان عقد للإمام على نفسه،

---

(١) كذا ولعله «فوصلا».

(٢) كذا ولعله «وصلا».

(٣) كذا ولعله فاستتروا.

(٤) كذا وهي لغة شائعة إلى الآن.

فبعثا رسولاً إلى الإمام ؛ ليعلماه مما بدا من نكث ابن سلمة من نكثه بيمنه[1] وغدره بعهده، وقيام بني شهاب كلهم عليهما، فأرسل الإمام عليه السلام رجلاً من الرَّسِّيين يقال له علي بن يحيىٰ بن عبد الله، وأمره إن وجد الأمر صحيحاً أن يأمرهما بهدم القلعة، فوصل الشريف وهما في القتال لهم فأمرهما بأمر الإمام، فهدما القلعة ونزلنا إلى الإمام إلى صنعاء وكانت بنو شهاب قد أخرجوا من قرية يقال لها المحفد[2] في بلادهم أهلها وأخذوها واصطفوا أموالهم فقالهم[3] ابن حمزة فأتوا الإمام عليه السلام وهو بصنعاء وشكوا إخراجهم من قريتهم واغتصابهم لأموالهم وهم له رعية، فوعدهم الإمام بالنّصر عليهم، وقال عند ذلك: إن مكنني الله لأدخلنكم منازلكم وأردن إليكم أموالكم، وأخذن جميع سوبه[4] إليكم.

ووصل الإمام عند ذلك رسالة من ابنه سليمان ابن الإمام، وكان على ولاية صعدة يعلمه أن آل المختار يحيى الشرفاء عاملوا المليح وأرْسلوا له من نجران وأنفار من أهل صعدة وبعض من بني سعد أهل الحقل، وقد كان بين الإمام القاسم بن علي، وبين يوسف بن يحيىٰ لقاء بأثافت[5] بحضرة مشايخ وادعة وأنفار من أهل صعدة والحقل، وإن اعتذر يوسف بن يحيىٰ من جميع ما كان ينسب إليه من الخلاف للإمام عليه السلام، وقال: أنا أريد أبايعك بَيْعة لا ينقضها ناقض ولا يحلّ عقدها سبب أني أواليك وأطيعك، ولا أخرج من طاعتك أبداً ما دمت حياً وترسم لي رسماً في صَعْدة وتقسم لي بالوفاء على ما تفرض على نفسك، فبايعه الإمام وشدّد عليه في البيعة ورسم له ربع جبا صَعْدة، وأقسم له بالوفاء بذلك وكتب كتاباً وأشهد بذلك جميع من حضرهما، وشرط يوسف بن يحيىٰ في بيعته

---

(١) كذا ولعله بيمينه.

(٢) بيت محفد موضع في الشرق الشمالي من بيت حنبص في حزاز جبل عيبان المطل على صنعاء من الغرب الجنوبي «المقحفي: ١٥٦٧».

(٣) كذا ولعله: فأقالهم من الإقالة «معروف».

(٤) كذا واللفظة بدون إعجام ولعلها سوية.

(٥) الأصل: أثاقب.

أنه لا يوالي للإمام عدواً ولا يخذل له ولياً ولا يعصي له أمراً ولا يأتي في طاعته أبداً سوءاً ولا يحدث مع أحد من الباغين حدثاً فتعاقدا على ذلك، وكذلك ابن أخيه قد كان عاد من خروجه على الإمام وباع وعقد على نفسه الوفاء وكذلك الأمير عبدالله بن محمد بن المختار، وكان أيضاً عاملاً للإمام ومبايعاً له على الطاعة، وله ربع جبا صعدة.

فلما وصل الإمام دخول المليح البلد واجفا الشرفاء عهودهم والرعية اشتد اهتمام الإمام عليه السلام بذلك وقال: ما يعذرني الله تبارك وتعالىٰ وكافة أمة جدي من هؤلاء القرابة الذين قطعوا رحمي وكفروا إحساني وكافؤوني السيء بالإحسان، أتيت من الحجاز وأهل بيتي مطرد أكثرهم فردتهم[1] وملكتهم وأمنتهم، ووجدتهم مفترقين متباغضين فجمعتهم ولففت شملهم وأصلحت ذات بينهم، ووجدتهم مسفوهين مطروحين عند أهل اليمن فرفعتهم، وأكرمت فقيرهم ومكنت غنيهم وقربت ضعيفهم ولا أمنّ ذلك عليهم لواجبة عليّ لكن ليعلم من بلغه ذلك أنهم لا حجة لهم عليّ وأكثر عجبهم من شيخهم الشريف يوسف بن يحيىٰ بعد أن عاهدني وحلف لي وكذلك عاهدته وأطعمته وأبلغته مراده وشارطته وشاهدته خطوط جميع الشهود في الكتاب بيني وبينه، ثم أصبح قد غدر في بيعتي، ونكث في معاملتي، وجعل فعله أماناً لي، وكذلك بنو عمّه ولا يجهل أحد من خولان وهَمْدان فِعْلي وإحساني إليهم، ثم إنا لله وإليه راجعون.

وكتب كتاباً إلى جميع أهل الطاعة من أهل اليمن نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله المنفرد بالوحدانية الآمر بحمده لكافة البرية أحمده لجلال عظمته ويحل عليه الثناء لجسيم موهبته، الدائم فلا أول بدوامه، والآخر فلا انقضاء لبقائه، الموجد لما خلق لا لحاجة منه لخلقهم بل للمنّة عليهم، وبيان صنعة فيهم إذ جعلهم خلقاً سوياً أولي صور بهية، وحواس لما يلم بها وعيّة، وعقول لما يعرض عليها متميز ﴿**ليهلك**

---

(١) كذا: ولعله فرددت.

من هلك عن بينة، ويحيى من حيّ عن بينة وإن الله لسميع عليم﴾[1] ثم لم يذر من أوجد من خلقه من هداة يهدون بأمره إليه، ويدلون من جهل من البرية عليه ﴿**لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، وكان الله عزيزاً حكيماً**﴾[2] فأبى أكثر الناس إلاّ كفوراً وعن الحق نفوراً، يا أهل اليمن وإياكم كمن سبقنا وسبقكم من القرون الخالية والأمم الفانية، وكل من أولئك أتتهم النذر وبعثت فيهم الرسل، ونزلت عليهم الكتب بما فيه رشدهم والنجاة لهم مع الإعذار والإنذار والتكليف لما فيه وبه ابتلوا من الأعمال، فنبذ كل أولئك ما ألقي من ربّه، ولم يؤمن أحد ممّن ذكرنا برسله ولا بما أنزل في كتبه، وكانوا كما أخبر الله عنهم فيما نزل على رسوله إذ يقول: ﴿**وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلاّ قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون، قل أولو جئتكم بأهدى ممّا وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون**﴾[3] وقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿**كل كذب الرسل فحق وعيد**﴾[4]، وقال لنبينا صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم: ﴿**فإن كذّبوك فقد كُذِّب رسل من قبلك جاءُوا بالبينات والزبر والكتاب المنير**﴾[5] وقوله عزّ من قائل: ﴿**وهمّت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب**﴾[6] وأنتم كأولئك إذ سبيلهم في الجهل والتكذيب والتعطيل سبيلكم، ألا واعلموا يا أهل اليمن أننا وإياكم كأحد من ذكرنا من المكلفين، وقد أتاهم من الله الحق المبين، ولنا نبي وأمره فينا لن ينسى [و] كتاب الله نزل عليه وهو لا يزال بأيدينا[7] فيه رشدنا وحكم ما اختلفنا فيه من حكم بيننا، وهو حجة علينا وإن كان لا ناظر فيه من أهل دَهْرنا، ولا عامل بما فيه من أهل

(١) الآية: ٤٢، سورة الأنفال.
(٢) الآية: ١٦٥، سورة النساء.
(٣) الآية: ٢٣، ٢٤ سورة الزخرف.
(٤) الآية: ١٤، سورة ق.
(٥) الآية: ١٨٤، سورة آل عمران.
(٦) الآية: ٥، سورة غافر.
(٧) الأصل وهو لا بأيدينا.

زماننا، وكذلك قال نبينا صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم: «إنه سيأتي على الناس زمان لا يبقى فيه من الإسلام إلَّا اسمه ولا من القرآن إلَّا رسمه»[١] وقال: «زمان يذوب فيه قلب المؤمن كما يذوب خبث الحديد» وهو زمانكم هذا يا كافة همدان فإنه لم ينجب[٢] لا يعرف إلَّا علماؤكم حتى شهرت، ثم اتصلت بي كافتكم حتى كرهت، فعندها طلب نفسي من خافكم وحشي ظهوري وظهوركم فلم آتي أن تحيرت إليكم بعد زمان كنتم تطلبون دوني فيه وأبعد منكم، فكان من إقبالكم عليّ ما لا تجهلون، وكنتم من يوم بيوم أضعف همتكم وأقل عزائمكم حتى تناهت بكم الأحْوال إلى الدهر والونا فَظَهَر لذلك كل معشر كان يخفى غشّه وأبدى المكيدة من كان يسرّ المكيدة، واسْتنصركم أولئك عليَّ إذ كاتبوا جميع بيوتاتكم بالمعاملة عليَّ وسوء القالة فيَّ ولم يلقوا منكم كراهية لذلك، ولم يكن منكم استدعاء لمناصفة لمن بالمكروه قصد، بل أجاب جميع من كوتب منكم بأجوابه أدنت المكروه مني، ولستم من ذلك سالمين ولا لمكروه ما ينوبني آمنين، ولا من ذمامته بخارجين، فالعجب كل العجب لمن لا يبين المبطل من المحق والعالم من الجاهل، ولا المصلح من المفسد، ولا المتبوع من التابع، إنكم إذا صرتم إلى هذه الحال فلا متعلق بكم لمقام أجل إلَّا متعلق بمن نكث عهده وأخلف وعده، ولم يكن أولئك آمر بمعروف ولا ناه عن منكر، وإن تعلقنا بكم من بعد أن بان منكم ما بان بالضرورة إن صَيّرتمونا إليها وقد يتمونا[٣] منها، فهل فيكم أو في أحد منكم يا همدان من ينوبنا لجواب يصوننا فيه ممّا يصون فيه نفسه إلى أن نستطيع مخرجاً من بينكم وتحويلاً من أرضكم، فإن أرض الله واسعة ولكنا في وقتنا هذا من الذين قال الله فيهم ﴿**لا يَسْتطيعون حيلةً ولا يهتدون سبيلاً**﴾[٤] أجل لقد حللنا بينكم فما أرابكم محلي بل سترت منكم القبيح وإطفاء الفتن وأمان السّبيل

---

(١) الحديث في كنز العمال: ٣١١٣٥.

(٢) كذا والجملة كلها غامضة.

(٣) كذا «واللفظة غير منقوطة».

(٤) الآية: ٩٨، سورة النساء.

وألم الشعث وقد كنتم ممّن ألقاه مقام الرسول رسول الله، والله يقول في أولئك: ﴿**واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها**﴾[1]. أجل لو ذكرتم نعمة الله لما زلت بأحد منكم قدم، ولكنكم كأولئك ولم تذكروا ما أولاكم الله من نعمته وستندمون غداً ممّا أنتم له اليوم مريدين، وتريدون ما أنتم له كارهين، ولات حين مناص ﴿**وما ربك بغافل عمّا يعمل الظالمون**﴾ والحمد لله رب العالمين وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

وكان الإمام عند نهوضه اليمن جمع مقدمي بني سعد وبالحقل وجميع أشياخ خولان بَعْد خلاف المليح والحسين بن محمد، فقال: إن لي باليمن أشغالاً ورعايا قد احتاجوا إلى إطلاعي، وقد جَرَّأوا هذا القاطع المليح في البغي والخلاف والعداوة وافين بعهودكم وضابطين لبلدانكم، نهضت وأنا واثق بقيامكم مع ولدي على من نصب أو خالفني ظاهراً عليه، فقالوا له: يا ابن رسول الله نحن على ما عهدت من طاعتنا وعلى ما أوكد ممّا تحب من بيعتنا، ونحن ناصرون لأميرنا ومانعون لأهل البغي عن بلدنا.

فلما حدث هذا الحدث كتبت[2] إليهم كتاباً لإخوتي الأعزّاء على كافة ولد سعد بالحقل:

بسم الله الرحمن الرحيم كتبت يا إخوتي أسأل الله حِفْظكم ودفاع الشرّ عنكم بَعْد تناهي علم ما فعلتم فلم يسوءني ذلك لأحوال أعرفكم بها ونذكّركم بما نسيتم منها. أما أولها: فإني لما حللت بداركم وكان من إقبالكم إلي ما علمتم وَصلة حبلي بحبالكم ما عرفتم لم نتوان بايعتموني ومن بايع قائماً يبايع الله، والله يقول لنبيه صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم: ﴿**إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم، فمن نكث فإنما**

(١) الآية: ١٠٣، سورة آل عمران.

(٢) كذا بالأصل يرد تارة بصيغة الغائب وتارة بالمتكلم.

ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً﴾[١] ولا أنبئك أن لا ينكث بيعته إلاَّ أحد ثلاثة رجال: جاهل لا يلزمه معرفة، أو رجل لا يعتقد الإيمان، أو رجل يتأوّل فيمن يبايع أنه لا يستحق ما بايع عليه، ولا معذرة لمن تأوّل هذا التأويل حتى يبتلي من بايع بما يوجب تحقيق أمره تبين أن يكون مستحقاً فلا معذرة فيه، أو غير مستحق فيرفضه على بصيرة، فلما بايَعْتموني ووثقت بما عقدتم لي سرت عنكم بنيّة المناصرة والمظافرة، فلم آتي أن جلبت إليكم العرب فأتوا على كل صَعْب وذلول، ونلتم مرادكم ومكنت[٢] البلد الذي فتيكم[٣] فلم أقصره على نفسي ولم أرسمها منه بدرهم فما فوقه، وصيّرته إلى قرابتي الذين أخرجوا منه والينا الذي كانوا فيه وهو مولى عنهم، وانصرفت كما دخلت تعففاً وتكرماً وانتهى بي المخرج إلى ترج ولم ألبث أن أتى محمد بن سليم الباقري بشكية سلطانكم لابن عمّه وذكر أنه خاف الرعية عنه وسألني أن أقبض البلد من الجميع فلم أرعو لذلك وبنت حتى وَصَلني من كل بيت منكم فوصل من بني مالك باسان والمدلهم، ومن الأبقور[٤] يحيىٰ بن علي، ومن البقرا عبدالله بن حميد، ومن يرسم أبو العشيرة بن أيوب وأكّدوا[٥] عليّ في المخرج معهم وتولّي البلد على من كنت تركته له، وأن أولّي عليه غيرهم، وذلك أنهم يزعمون أن صاحبهم إن انفرد بولاية ناكره في ذلك يوسف وأن وليّ يوسف ناكره في ذلك عبدالله وأحلافه وإن وليّا معاً لم يَسْتقيما، ووافتني[٦] العرب وطلبوني بذلك بيعتي لهم، وقالوا: نحب لك أن تطلعنا فلم أبعد ذلك إلى إسعادهم بحال ما ذكروا، والله يشهد إني لكاره لارتجاع البلد بَعْد تسليمه، وغير راضٍ بذلك بل لائم لنفسي عليه، لكن لم أجد من مساعدة الجماعة، وأميرها بدويم[٧] ما أراد الجماعة وقَبَضْت البلد

---

(١) الآية: ١٠، سورة الفتح.
(٢) الأصل: ومكث.
(٣) كذا ولعلها فيئكم.
(٤) الأبقور قبيلة من خولان «الصفة: ١٢٩».
(٥) الأصل: الحلو.
(٦) الأصل: وفتنا. (٧) كذا.

وتقلدت فتنته ومغارمه، وجعلت لذلك نصيفاً[1] من خراجه وصرفت إليهم نصيفاً وجرت الأحوال بما لا تجهلون، وكانت من يوم فيوم تزداد قبحاً وأنا أراعي مرادكم حتى جزا بجزا[2] الآن فلم تجعلوه بيدي ولم تسألوني فيه ولم تشاوروني عليه، ولم يذروني أولاً وما فعلت لأفعالكم هذه أجراً ممّا دخلا النار فلا إحساني أولاً ثم ولا جعلتم الذي فعلتم إلي فاعتاض به ما فوتم عليّ، فأرى تسليم هذه البلد من القفاء لا من الوجه، فإلى الله أشكو ما أوليتموني وإلى أنفسكم، وقد تصورت حالي وحالكم فإذا التزامكم بي لم يكن لرغبة فيّ بل كان لإنجاع[3] أحوالكم وكافة أهل بلدانكم، فلما أوجه لكم ذلك جعلتموني بظهر كأن لم يجرّ بيني وبينكم معرفة أصْلاً، والوجه الثاني أن يكون التزامكم لطمع يلوح بسببي فلما صحّ لكم بعتموني به فبئس العوض مني ما يزول ويفنا ويوجب ذمامة الآخرة والدنيا، وقد كان ما أشرتم به عليّ عمارة الحصن فلم أكره ذلك لمساعدتكم، وسألت أهله الفسح في عمارته، ولما كثره[4] أن أجيء مكرمةً من مكارم السَّلف قد أميتت فنهضت في عمارته فلم أذر في شيء من مخالفي درهماً إلَّا أنفقته فيه بل أذنت عليه حتى صار إلى حد العمارة وأنزلته بعض كرائم بني عمي هؤلاء ولم أجعله لي من دونهم ودون أشياعهم، ثم بلغني أن الجماعة طلبوا للذمّة عليه، ولم أقدم بحمد الله يداً توجب إخراج الحريم وهدم المنازل فيقبضا ذلك بل قد ولينا أولاً ولو في حال فِتْنَتِنَا فجعلنا عن منازلهم وبين ضرار إذا الحذيق[5] منها ولم نحمد أنفسنا بذلك لواجب ما جعلنا علينا ولزومه لنا فإذا أراد بنو عمّنا لأنفسهم ولنا حشمة فذروهم وذلك فلن نعدوهم معرفة ولن نصرف عنهم ذمامته، وقد كان لنا بالبلد اتصال ننال من لنا به ما يدفعون به بعض الوقت ويقضون منه الحاجة، ثم لا أشك أن ذلك قد خرج من أيديهم، وقد نخشى أن ينال من لنا بالناحية قبلكم مضرة فليكن

---

(١) الأصل بصنعاء.

(٢) كذا في الأصل ولعله هكذا «خراجكم».

(٣) الأصل: اتجاع.

(٤) كذا ولعله: ولم أكره. (٥) كذا.

منكم لهم تفقد واطلاع فيما نابهم من حاجة أقوت، فابذلوا لنا في ذلك جاهكم فرضاً يوفَّى وما بعد ذلك إلَّا منكم براً وعطية من أموالكم فوشيكاً يصل من يحولهم عندكم إلى قوم آخرين يبين[1] أن ينكشفوا كانكشافكم أو يرعوا حرمة صيرٍ لهم فنشد[2] بأولئك أيدينا ونعتاضهم منكم وفي الله العوض من خلقه ولا عتابنا في حال مخرجهم من البلدان يشيعوهم إلى مهابط العقاب، وقرأت عليكم السَّلام كثيراً طيباً، والحمد لله وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

وكتب إليهم بأبيات قالها، نسختها:

إني أقول وفي مقالي حكمة ... ليست تر[3] فلا تكن مخدوعا
غلب الشرار خيار سعد كلها ... فاختل عزّهم وكان منيعا
لم يغلبوهم بل تلاشى رايهم ... وتقلدوا عاراً يعاب شنيعا
كفروا بعهدي واستباحوا ذمتي ... أضحوا لها بين الأنام خضوعا
كانوا ذرا قحطان أرباب العلا ... فقد اصبحوا بعد العلو وضيعا
والحكم حكم الله ليس بنازح ... لا بارح منا ولا ممنوعا
متطامنين لما جرى من فعلهم ... لا يدفعون ولا يرون منوعا
إذ عاملوا في جارهم بدراهم ... بخسٍ يراه الناظرون جميعا
وحمى المليح من أقام بأرضه ... قسراً فأصبح قوله مسموعا
لولا يد قدمتها لجعلتهم ... عوضاً وكنت لدى الكرام رفيعا
يا حي خولان الحماة هكذا ... عقد الجوار لمن أراد ربوعا
في عقر داركم وظنّ بأنكم ... لم تقبلوا للمفسدين صنيعا
يا سَعْد يا سعد التي لم يختشِ ... منها الخيانة قد خسرت سريعا
وابتعتِ عزاً لا يعود ولو جرت ... ريح يعود دليلها ممنوعا
أنسيتموا ميعادكم لكفايتي ... إن كان خدعاً قولكم توزيعا
لا يركبن إلى صديق بعدكم ... أحد سواي فودعوا توديعا
عهدي لديكم أو نكون بموقف ... يوم القيامة لا نطيق رجوعا

---

(١) كذا تقرأ هذه اللفظة. (٢) الأصل: فنشدوا. (٣) كذا.

وله أيضاً:

تــأوَّب همّي والـهـمــوم تـؤوب　　وقـلّ العـزا والنـائبـات تنـوب
وإن الذي أمسى ومن دون أرضه　　مسيــرة شهـر كـامـل لغـريب
تبـدلت منهـا حين لا أبتغي بهـا　　بـديـلاً ولم يحكم عليّ غـريب
إذا المـرء أمسى في بلاد يـودها　　ذليــلاً فـلا أمسى لـديـه حبيب
أرى عُصباً من حي خولان أصْبحت　　عـلـيّ وهــم منهـا وذاك تـعـيـبُ
بغوا لي بديلاً بعد أن عدت بينهم　　وسيـطاً وهـل رأي بـذاك يصيب
ولم يحفظوا عهدي ولا كون منزلي　　لـديهم فهل عيش كـذاك يطيب
شروني بلا شيء وباعوا فأرخصوا　　وكم بايع يرجو امرؤ بسخيب[1]
فمن ذا الذي يهدي إليهم تحيَّتي　　وينــظر فيمــا عنـدهـم ويؤوب
فإن كان فيهم وافي العهد ثابت　　على ودّه فـالنصر منــه قـريب
ولم نخله منـا ولا من عصـابـةٍ　　تعـاضد من يـدعـو بهـا وتجيب
وإن يك صرماً ليس من بعده رجا　　ففي الهجر ما يبقى الأذى وينوب
إذا اختلفت خولان أبعدت منزلي　　ولـم ينسني وافي الـذمام وهـوب
وكــان لــه منـي أخـاً ومــودة　　وحسن ثناً في السَّامعين عجيب
تمنيتمـوا كوني لـديكم وقـومكم　　قصيـد عنـاكم طـامـع ومصيب
وحـازتكم همدان عنهـا وسهمها　　يكـاد إذا انحط السّهـام تصيب
ومـا كان في سعـد مقال لعـائب　　إلى أن جرى ما لم يلسه[2] أريب
بنى العز مسعود وباسان رأبها[3]　　وللمـدلهم الفـرد[4] فيـه نصيب
أولئــك أشيـاخ تـولّى قـديمهم　　فشـادوا بنـاهم والعــدو كئيب
فمن حين أمسى فيهم ألف هادمٍ　　أضيـع بِنـا البـانين وهـو مهيب
فيـا أيهـا القــوم الـذين همُ همُ　　بـقيــة سـعــد لاينـوا فـنخيب
وشدوا على الأشرار منكم وشمروا　　فليس يفيـد المكـرمـات هيـوب
سلامة من في الأرض ما دمت داعياً　　ومنهم رضـوني سـامــع ومجيب

---

(١) الأصل بالمهملات والسخب قال في القاموس القلادة ليس فيها لؤلؤ ولا جوهر.

(٢) كذا.　(٣) الأصل «راو بها».　(٤) الأصل العرر.

وعنـد تـوليهم جميعـاً يصيبهم   من الله مـا لا يـدفعـون قـريب

تمّت، والحمد لله وحده وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وسلّم.

وكتب كتاباً فرّقه إلى جميع العسكر يشكو فيه أهل بيته ويذكر فيه أحوالهم، نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم، كتابي يا إخوتي أسأل الله حفظكم ودفاع السّوء عنكم بمنّه وكرمه من صنعاء عن حال سلامة ونعم تامة والحمد لله ولي الدنيا والآخرة وإياه نسأل العفو والمغفرة، السلام عليكم سلّم الله أنفسكم وخاطركم عن النوائب وحرسكم قد علم الله شكري لكم واعتدادي بكم إذ أنتم الأخوة الأوداد، والشيعة الأمجاد، أهل المذاهب الرضية والأفعال الأريحية، ولما كنتم عندي بالمحل الذي لا يحله غيركم ولا ينزله سواكم رأيت تعريفكم لما أنا عليه من كافة الأحْوال لمشاركتكم في كافة الخصال، لستم أعزكم الله تجهلون حالي، ولا كيف كان سبيل مدخلي مع أهل هذا الزمان، أنتم تعلمون أعزّكم الله أني أقمت نيفاً وعشرين سنة معتزلاً في رأس جبل، وأهل اليمن يختلفون إليّ عاماً بعد عام، ويسألوني مع ذلك القيام، فلم أسعفهم إلى مسألتهم لا جاهلاً لما في ذلك من الثواب ولا زاهداً في طاعة رب الأرباب، ولكن لعلمي بأهل زماني، وما هم عليه من كثرة الإدغال والميل إلى المحال، فلما ساقتني الضرورات ولزمني الحق بقطيعة القرابات ذكرتكم وعولت على ما كان من الاتصال بيني وبينكم، وكان منا جميعاً ما علمتم، والآن أدام الله سلامتكم، فقد علمتِ ما لحق الناس من الملامة والاختلال وتغير الأحْوال، ولم يجر ذلك إلَّا بأسباب قرابتي ومن قدمته على نفسي، أولهم ما كان على صَعْدة فقد علمتم مدخلي معهم في بدء أمري وصيانتي لهم وحرصي إلى ما ودا[1] إلى محبوبهم فردَدْت عليهم بلدهم وثقفت أودهم وأصلحت ما كان متشعثاً من شملهم فعدت إلى ترج بصلاح ما خلفته هنالك من الذرية، فلم أبلغ البلد حتى لحقتني رسلهم بالمناكرة بين الجميع منهم والشكية من كل

(١) كذا.

صاحبه، وعند ذلك لحقني وجوه خولان وأقاموا عندي ولم يعذروني دون أن أنهض معهم فأسْعدتهم وألفاني من كان هنالك من بني عمّي وقرابتي، وكان بيني وبينهم ما هو ظاهر مشتهر، ثم ظهرت منهم المحن وجرت بأسبابهم الفتن إلى أن أفسدوا نجران وكان ما عرفتم من جميع الأفنان، وكان آخر ما جرى[1] بحضرتكم وتوسطكم بيني وبين يوسف بن يحيىٰ ما أجريناه من الأيمان المؤكدة والعهود المشددة بعد أن أسعفت طلبته وأجبت مسألته، فلم أخالفه في شيء ممّا طلبه وكان عمله وعقده له ولكافة أهل بيته، وانصرفنا من هنالك إلى صعدة وكدنا ما كان من ذلك بحضرة وجوه خولان ورضاء الجميع منا، لم يخرج من ذلك إلاَّ المليح فتقلده أخوه على طلبة طلبها له فأجبته إلى ذلك ومضيت إلى ترج سفري هذا الآخر لنقلة من علمتم من الذرية، فخرج إلى تهامة وأرسل إلى الأمير جعفر رعاه الله يَسْأله التوسّط والضمان والمدخل بيننا فأجبته إلى ذلك، ومضيت بذلك كتبه أبو جعفر أحمد بن قيس الشاهد بذلك والقوم يرومون أمورهم ويعاملون قيس[2] أصغر معهم إلى أن كان منهم ما قد بلغكم، فهذه أحوالي وأحوال القرابة. وأما الزيدي فوصلني وافداً من الحجاز على صورة قد علمها كافة الناس فقدمته ورفعته وفوضته ولم أجعل لنفسي ولا لأحد من قرابتي كالذي جعلت له، فنال ما علمتم بسببي وأخذ الناس باسمي وغدر في ذمّتي ولم يحط قولي ولم يرع عهدي، وفتن كافة السَّلاطين ومعهم خطوطي ومعاملتي فأعطيت على ذلك ودفعت الوقت بالوقت وأرسلت إليه الشريف الحسن بن طاهر الحسيني، ولطفت له الأحوال وعرضت عليه كل جميل من المقال والفعال، فلم يلتفت من ذلك وفرّق كتبه إلى كافة العشائر يسْتدعيهم ويطمعهم، وكاتب إلى العبدين وفرّق الرقاع والرسل بالمواعيد إلى أهل الطماع وأرسل هلالاً[3] فركز به في بيت بوس يسْتقضي ويضعف أمري ويدعوهم إلى نفسه دوني وإلى الفساد عليّ والخروج من جملتي، كتبه إلى العشائر بذلك معي، فتجاوزت جميع ذلك وأعدت الحسيني سفيراً إليه

---

(١) الأصل: ماجر.　　(٢) كذا.

(٣) هو هلال بن يحيىٰ العلوي له ذكر كثير في تاريخ صنعاء لابن جرير بتحقيقنا فانظره.

أتلومه وأشرط له كل شرط جميل، فأعاد إلى الدخول مع المليح والحلف له وخشي إجماع خولان واعتذر بأنه أبدى إليه أولاد الإمام الجفاء، وأنه قطع عنه ما كان الإمام رسم له في صَعْدة.

وكتب الإمام عليه السلام جواب كتاب عند ذلك، نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم، وصل كتاب الشيخ السَّيد أطال الله بقاءه وأدام عزّه ونَعماءه وحاطه وتولاّه معرفاً بما جرى في الناحية من إجماع خولان مع أبي إسماعيل إبراهيم بن محمد أطال الله بقاءه، ولم يستو ذلك لأنه كان في وجه فتنة قد أبان لها نفسه، ولم يكن بيني وبينه دلامة[1] ولا عقد ومن تولّى ولاية على هذا السَّبيل حبس ذلك به، ولم يزل ما جرى على مثل هذا الحال لا ينكره العرب ولا السَّلاطين بينهما، وأما ما ذكرت من حلف سعد والرَّبيعة وهدم الدماء بينهم فقد كفاهم الله تخلفي المتقدم بينهم عن هذا الحلف الثاني لو أعفيتهم أيّدك الله. وقد سعى معك في ذلك قليل من كثيرهم أهل الحفائظ والمعمول عليهم من العشائر، وأولئك معنا وكتبهم تترى إلينا وشكا ما يؤيّدنا الله وإياهم بعساكر يضيق بها الفضاء ويحل القضاء وتعود الأحوال كما بدأت بحول الله وقوته، وأما ما ذكرته من إجماعهم على ابن أخيك وإكراههم إياه فلم يكن هنالك لا إكراه ولا إجماع لحال من[2] أبو إسماعيل معك ومعه فألفاكما سريعاً إلى ما دعاكما، وليس ذلك أول دَعوة دعاكما إليها فأسرعتما ورضيكما للمكروه فأوقعكما، وأما ما عرضت به من الشكية لولدي وأخدامه، فأنت تعلم أطال الله بقاءك أن ولدي يوماً[3] ذكرت لم يكونوا معاملين لك ولا بالحالفين لك، ولا أنت لهم، إنما ذلك بيني وبينك يحضر من علمت من مشيخة وادعة وغيرهم بأثافت، ومن حضرنا أيضاً بصعدة من مشيخة خولان وغيرهم، وهذا الغدر الذي يفضح ولا يقبل إنما لو كنت مصيخاً أو وقفت علينا حساب ما أخذوا

(١) كذا ولعله الصواب «ذمامة».

(٢) كذا

(٣) كذا ولعله «يوم ما ذكرت».

حتى يأمر بعزمه فيعتب علينا بما لا معتبة فيه، وإنما العتب لنا عليك أولاً وآخراً، أما أول ذلك فإني كاتبتك من الحجاز ابتدأ متعزّماً مواصلاً فضرب رسولي ولم يقرأ كتبي حتى رددت إليّ إلى الجبل، وأما الثانية فإني وصلت إلى صعدة فلم يبق من العرب أحد فيما بين مكة والمدينة وأقصى اليمن إلاّ أولانا الجميل، ولقَيْتَنا أنت أيّدك الله الشّر والقبيح بَعْد أن نزلنا عليك منزل الضيف وتجنّبنا من النزول على من كان لك حرباً، كل ذلك تقرّباً إليك وصلةً بك فلم يزدك ذلك منا إلاّ بعداً، ثم سرنا في عَساكرنا المنصورة، وكان ما علمت فلم نغرمك شيئاً ممّا جرى فجعلناك ومن صفا لنا ودّه من قرابتك سواء، وقد كان بيني وبينهم من الأرحام الشاملة من دون النسب الذي يجمعنا والتجريد[1] معي ما كان يوجب لهم أن أصْرفه إليهم جملةً ما وليت من بلد خولان ولأجعلك معهم فيه شريكاً لسيء ما قدمت، والله يجزي كل عبد بفعله ويعطيه بعمله ولم يفت بحمد الله إلاّ الشرّ موكل[2] فأنت مستدرك وأنا صابر إن شاء الله بحمد الله، وقويت العساكر المؤيدة المنصورة وخالطونا بالعصبة الوفية المذكورة، الوافية بذمّتها الراعية لعهودها مغرز خولان وساداتها ولا ضرّ فيما عوفي الله من يضره، وعند ذلك إن شاء الله أولى بني عمي وأقرب القرابة إلى ما كنت قد أبعثهم عنه لمراعاة صلتك، ثم لم نجد فيك ما رجونا وإنها لمصيبة كبيرة نشكوها إلى الله تبارك وتعالىٰ أن يكون أسن آل رسول الله لا يفي بعهد عاهد عليه، وعند هذه المصيبة نقول إنا لله وإنا إليه راجعون، وممّا يدفع به كيدك فيما أخذ من هذا المجلس ما شارطناك عليه من أنه إذا أشرف على البلد حال يخشى صرفنا فيه جميع خراج البلد فلم يكن في الحال أكبر من مركز ثبت علينا كان آخره ما ترى، فخلف هذا المعنى وتعلق بمتعلق يلزمنا ولم نجد ذلك بحمد الله أبداً أنت ولا غيرك فينا، وكيف يكون ذلك، وقد هذبنا أنفسنا وأصلناها على الصّحّة والوفاء واقتدينا مع ذلك بآثار السّلف وبالآباء، ولسنا

---

(١) تقرأ هذه اللفظة «والبحر بدمعي».

(٢) كذا.

إلاّ كما قال عمّنا محمد بن إبراهيم عليه السلام: إنه لا ينتفع بالعلوي حتى تنبت عانته بالحجاز وأنت يا ابن عمّي نشأت[1] بين الصنعانيين فاقتديت بأفعالهم، وأنت معاهم حيث ما صرفوك تصرَّفت، ونحن نقول ألا لعنة الله على الظالمين من الأولين والآخرين، والحمد لله رب العالمين وصلّى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

فردّ يوسف بن يحيىٰ بن الناصر جواب كتاب الإمام عليه السلام نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم، وصل كتاب الشيخ السَّيد أطال الله بقاءه وأدام عزّه ونعماه وحاطه وتولاه ولا أخلى فناه مفتتحاً بإقامة الهيبة والجفاء وليس الهيبة، فقام على الأكفى ونحن وإياه أمثال ونظراء لم عاد يبن له علينا فضل نقدمه به علينا ولا نزيد به فيفضلنا، وهو يَدّعي حالاً لم يُناظره فيه من يدعيه ولم نصلحه فنسلمه، فأصل ما تدعو إليه لم يصحّ وإنما وَصَل البلد وبين الأشراف أعزّهم الله تعالىٰ فرقة وبين عشائرهم مثل ذلك فوجد فصلاً قد حلّ عليه فضرب لهم خوف الاجتماع شبكة خداع، فقال: لا أزيح إماماً عن إمامته ولا أميراً عن إمارته، ولا صاحب رياسة عن رياسته ولا من كانت له مرتبة عن مرتبته وأعطى على ذلك بِعيان[2] العهود والأيمان وشهد على ذلك كافة وجوه همدان، وكتبوا شهادتهم بخطوطهم، وذكر في مشروطه أنه لا يخرج مخلافاً من يد من هو في يده ولا زعيمة[3] من راعيها، فحلّ عقده ونكث عهده ومان وخان، ونقض ما إليه دعا فهذه غدرة، ثم غدر بأهل نجران بعد الذمام، ثم غدر بابني عمّه وأسرهما كان معه الأمير الزيدي، ثم غدر بأهل بيت بوس، وعامله الأمير ابن جعفر عيسىٰ بن جعفر معاملة حلف له على تمامها سَبْعين عهداً ما تمّ له منها بعهد ثم هو لا سموع لا يتم بيمين ولا ذمام، وليس هذا من صفة إمامٍ،

(١) الأصل نشيت.
(٢) الأصل: لعيان.
(٣) كذا ولعله «رعية».

والناس يفخرون بأسْلافهم، فلم تـزد على أن صغرت بهم ورفعت نفسـك، وحططت أسماءهم، فمن ذا يرجوك بعـدهم، ثم نظر النـاس إلى فعلك في أقاربك، فـإذا بـك تميـل عليهم وتهددهم بـالسَّيف والقتل فـانصرفت عنـك قلوبهم وآيسـوا منـك، ثم أرسلت لبني أبي الـطيب فـاستعملوا المنكـرات وكاشفوا بالفاحشات وما ستروها ومـا زجرتهم عن الفسـاد ولا أنكرت عليهم شيئاً، وأقول في ذلك قولاً وأغضي على أشياء لو شئت قلتها، ولو قلتهـا لم يبق للصلح موضعٌ، ثم تذكر أن الحلف الذي جعلت بين الربيعة وبين بني سعد كان يكفي عن محالفتهم لو أني أعفيتهم أنـا ولم تكن محالفتـك بينهم إلَّا مبـاعـدة لبعضٍ من بعضٍ لتجـد بعضهم على بعض يـداً وعـدة لعـدة فتحالفوا هم بينهم محالفة صحة لم يكن لي في أمرهم تقـدمة ولم أكن من الجند المرتزقة فأقاتل عن دولة ولا حظ لي فيها ولا جاه ولا مقدار فأقطع ما بيني وبين بني عمّي وبين عشـائر في دولـة من يتهمني، ولو لم يفض كتبي ويضـرب رسول وصـل لي من ابن عمّي أعزّه الله تعـالىٰ الـزيـدي، ونهبت حوانيت أخدامي وتجـروا[1] إلى الحبس ويقول[2] ابنـه سليم[3] في جماعـة من أهـل البلد: قبح الله لحيـة يوسف الـذليلة، والله لا واجرات[4] بـالـدَّار لأنزلتها أجوره أجوره[5] وأشكـو فلا أشكي ويؤخـذ الواجب من رمضـان فلا أعـطي، وليست لحيتي ذليلة ولا مقبوحـة إنما الـذليلة التي شـربت الخمـر ووجد عندها الدَّهر، وقد غـطيت الكثير إن تـركت، وقلت كما قـال الأول: إن النـاس أعفوني تعـافيت عنهم، وإن بحثوا عني فـإني مبـاحث، والله مـا أظهرت سنة ولا نحـوت بدعـة، ولقد نسخت بغيـر إسمك ولاعبت مـا ليس لك، وإلى كل شيء سبيل، وعلى كل شيء دليل، وأما تواعدكم إلى تهدم المنزل فذلـك عندي سهـل يسير، فمتى أحببتم ذلـك فدونكم، وذكـرت أن كتب بني سعـد تنشر إليـك، فإذا شئت فـأقدم فـأنت متكل على المخلوقين

---

(١) كذا ولعله «وجروا».

(٢) الأصل «بعول».

(٣) كأنه ابن الإمام سليمان أورده بهذه الصيغة تحقيراً له.

(٤) كذا تقرأ هذه اللفظة وكأنها جاورت.

(٥) كذا.

ونحن نتكل على ربّ العالمين، وتتمسك بحيلة المرقين[١] وليس ثقة يحتاج ما يوقد[٢] على ثقة ولرب راج حيل دون رجائه ومؤمل[٣] ذهبت به الآمال، قد بلغك خبر عبدالله صاحب الشريف في بغيه على الحرامي صاحب حلي[٤] وكيف أمسى ولم يصبح، ولسْت أشك يا ابن عمي أن إمساكي عني [٥] مرة بعد قد صغرني عندك وحقرني لديك ونسبتني فيه إلى العجز عن إيقاد نار الحرب والقيام بالأمر الصَّعب، فكلما انفجر صباح أو هبت رياح قصدتني بالأذاء وآذيتي على سواء، وأنا أجرأ منك على الأمور، وأشد إقداماً على المحذور وإتفاق المحذور، فلا تهز كل هذا الهز، ولا تنظرني بعين العجز، فلي في رجال همدان وبني الحارث وحمير والأبناء وودادعة الأيمان المؤكدة والإحسان والصّنائع المنعقدة، ولك في اليمن أربع سنين من حملت منهم أو من خشوت[٦] أو اصطنعت، هذا ابن أبي الفتوح اصطنعك[٧] وخرج معك إلى نجران ابن عمّه وماله وخيله ورجاله، فقتلوا معك وسلبوا، وأضرّ به الزَّيدي فدمَّر منزله وأخرجه من مخلافه وناله ما لم ينله قط فلم تنكر في ذلك، فلما أمدك من حطام الدنيا بشيء يسير فلبث[٨] معه وأنت رجل[٩] متقلب وأنا فقي[١٠] تهددني به كما قال ابن الجهم[١١]:

وأقصي إلى الشر حتى إذا دنا ... وحلّ ببالي قلت للشر مرحبا
وأركب متن الشر حتى أذلّه ... إذا لم أجد شيئاً سوى الشرّ مركبا

فأكلفتني شيئاً تكلفته أو ألزمتني شيئاً التزمته، إنك إن ألزمتني ما لم

---

(١) كذا.
(٢) كذا (واللفظة خالية من النقط).
(٣) الأصل (مويل).
(٤) الأصل «حلل» والإصلاح من عندنا.
(٥) كذا ولعله «عنك».
(٦) كذا تقرأ هذه اللفظة.
(٧) الأصل «أمتعتك».
(٨) كذا.
(٩) الأصل: فرجل.
(١٠) كذا وربما قرئت هذه اللفظة هكذا «وأنا هي».
(١١) لم أجد هذين البيتين في ديوان ابن الجهم تحقيق خليل مردم.

أطق ساءك ما يسوؤك[١] مني من خلق فلا تحسب أني لأول سابق وتسهل[٢] همدان وحمير هل غدرت بني الضحاك فهم رؤوس همدان، وقد عاملت ابن قحطان وابنه من بعده وابن أبي الفتوح، فلا تقدر أن حربي أهون الأمرين ولا أني أعجز الرجلين واستمتع بالعافية وتقول أنك لم تجد فيَّ، وهذا قول مقلوب أنا الذي لم أجد فيك، وقد اصطنعتك مراراً، ووصلني كتاب المهنا من بني داؤد الحسيني يحذرني منك، فلما[٣] أقبل وجئتك إلى عيان، فمرَّة جفوتني ومرَّة عاملتني فلم تتم لي وغدرت لي، وبَعْد ذلك فالخيار إليك فاجعلني حيث شئت ولا تزهد فيَّ وصلني حيث لم أجازك منه قدمت إلى اليمن كراهية لطغيتك[٤] وقلت في كتابك عند هذه المصيبة إنا لله وإنا إليه راجعون، فهلا قلت ذلك عند محذوراتك المذكورة المشهورة، وأنا على تصنيف الكلام وتفصيل المقال أقدر منك، وبالله قسماً باراً لقد غطيت كثيراً من عَوْرَاتك[٥] ولئن ألجأتني لأنشرن[٦] مساويك في جميع الآفاق، ولو اقتديت بالسّلف لسرت سيرتهم، ولكن لم ترض بسيرتهم وسرت غيرها ويد الله فوق يدك، والله من ورائك محيط، وأنت لا ترحم ضعيفاً ولا تغيث ملهوفاً وقسا قلبك فلم تنظر حق الرَّحم، ولم تعرف المحسن من المجرم، وعليك يا ابن عمّي السَّلام كثيراً.

فلما وصل الإمام عليه السلام هذا الكتاب، ووصله وقد خرج من صَنْعاء وصار بريدة في العشر الأول من شهر ذي الحجة، ولقد ذكر يوسف ابن يحيىٰ في كتابه أشياء لم نعلمها ولا[٧] شاهدناها منذ دعا الإمام القاسم ابن علي صلوات الله عليه إلى هذه الغاية، فمما ذكر أن قال: لم أحاربك منذ أتيت اليمن ولا[٨] شهدنا نصبه له وقيامه في وجهه بأهل صعدة ومن

---

(١) الأصل «يسرك».
(٢) كذا في الأصل ولعله «وسل».
(٣) كذا ولعله «فلم».
(٤) كذا ولعلها ضغينتك.
(٥) الأصل «عواراتك».
(٦) كذا تقرأ هذه الجملة والله أعلم.
(٧) الأصل «وكافا».
(٨) الأصل «وبلا» ولعله «وقد» واللفظة بدون نقط.

أطاعه من عرب خولان حتى استباح بأصاره[1] صَعْدة، وهو ناصب بالحرب له وبايعوه قهراً، وممّا ذكر أن قال: قسا قلب الإمام حتى قطع الرحم، فلا والله ما عرفنا معه إلاّ الصّلة وذلك إذ أتى من الحجاز[2] وهم مفترقون فجمع شملهم ومفتتنون فأصلح ذات بينهم، ومن المال فأملكهم وأحسن إليهم وحُرَم كانت لهم ضعيفة فأحسن إليهن وكفلهن، ثم ابتدأوه بقطيعة الرحم فَنصبوا له، وطلعوا عليه الدَّوائر واستدعوا لحربه العشائر، وكذلك ادعى أنه غدرٌ لا والله ما شاهدنا من الإمام عليه السلام غَدْراً أبداً إلاَّ عطف عليهم بالإحسان بَعْد بغضهم عليهم[3] وغدرهم به فعفا عنهم وأدناهم وجَعَل له ولهم مجمعاً بأثافت[4]، وحضر جميع مشايخ وادعة وبكيل فأشهدهم الإمام القاسم بن علي عليه السلام، ويوسف بن يحيىٰ وعبدالله بن محمد بن الأمير، وتقلد كل واحد منهم أهل بيته أن يوسف وعبدالله هذين وأهل بيتهما طاعة القاسم بن علي وأشهد الإمام عليه السلام لهما برسم من جبا صعدة وبلد خولان وشاكر ونصف جبا الأفراد، وحَلفا له اليمين البالغة على الوفاء بطاعته والمعاداة لأعدائه والاستقامة والتصرف، وأقسم لهما على الوفاء بما شرط لهما، فكان الإمام على شرطه حتى أبدوا الغدر، وأخرجوا إبنه من صَعْدة وأهله، وهدموا[5] منزله في حصن الناصر، وبايعوا الرَّعيَّة لأنفسهم وكفروا إحسانه ونكثوا بيعته وقطعوا رحمه، فأجاب الإمام القاسم بن علي صلوات الله عليه على يوسف بن يحيىٰ بجواب في كتابه الذي استثنى نسخته قبل الورقة[6]، نَسَخْتَه من خطّ يده:

بسم الله الرحمن الرحيم، وصل كتاب الشيخ الجليل أطال الله بقاءه وأتمّ نعماءه مخاطباً لي بالشيخ وأنا كهل فشكرت إعظامه وإكرامه بما لم آمله من النصفة الجليلة، وقد هجر ذلك بعدها بما قد أجفى من القول وذكر

---

(١) كذا ولعله بأصهارة.

(٢) الأصل «إذا أتا بالحجاز».

(٣) كذا ولعله «علية».

(٤) الأصل «أثاقب».

(٥) الأصل «وهزموا».

(٦) كذا.

أني أردت بذلك إقامة الهيبة والجفاء، وقال إن الهيبة والجفاء لا تكون من الأكفى، ولم أر ذلك ولم أقصده بل لا أعلم من أبلغ في التواضع للأكفى مبلغي، فلم نر كثيراً منهم ذلك، ولم يخف على الله شيء في الأرض ولا في السماء، وذكروا أني وإياكم أكفى وأنهم لم يبن لهم مني فضل يقدموني به عليهم، وصدق أما أكفى فلا مدافعة دون ذلك، وأما الفضل فلن يعرفه إلَّا من هو سجيته وإلَّا لزم على من جهل حالاً وجهل مالاً يدق[1]، وإن كان لم يعذر البرية في طلب ما ينفعهم، وأما قوله إني وجدت الأشراف مفترقين فضربت لهم شبكة خداع خوف الاجتماع حتى وجدت فضلاً قد دخل فيه، فيا سبحان الله، وهل ذلك لي شبيه[2] أجل لو كان ذلك لاغتنمت الفرصة وشددت يدي بما فتحت بسيفي ممّا وجدتكم مخرجين منه فلم آل جهداً في تمكين الداخل وإدخال الخارج وكسرت شوكة من قد أباح الذمّة وهتك الحرمة وسبب[3] اللمة، ثم عمدت من بعد ذلك إلى ما فتح بي من البلاد عنوةً كبلاد بكيل ووادعة ونجران، فجعلتها في أيدي أهل بيتك فوليتهم ما توليت من ذلك، وخرجت من اليمن كما دخلته حتى عدت إلى أرض خثعم أريد المحل هنالك متخلياً من اليمن لا أريد له عودةً إلَّا لناجم يوجب مَرجعي، فلم ألبث إلَّا يسيراً حتى ورد علي كتاب الأمير عبدالله بن محمد يذكر فيه جور أصحابه برسم[4] ومنعهم عن الممسى في مدينة صعدة وخوف أصحابه بني سعد، ومنعك لتجار البلد أن يدخلوا منزله، وتسألني مع ذلك قبض البلد إذ لا حظ له فيما جعلت له فيها، ولم ألبث بعد رسوله أن وصل أشياخ بني سعد باسان والمدلهم ويحيىٰ بن علي وعبدالله بن حميد وأبو العشيرة بن أيوب، فشكوا كالذي شكا أميرهم وأكلوا[5] عليّ في التخريج معهم ففعلت ذلك ووصلت فعزلتكما بما عاينت فيه صاحبك، وكان الواجب أن يكون العزل لك والولاية له لحفتك[6] عليه،

---

(١) كذا واللفظة بدون نقط.

(٢) كذا ولعله «سُبّة».

(٣) كذا ولعله «وسب الأئمة».

(٤) كذا ولعله يرسم.

(٥) كذا ولعله «أكدوا».

(٦) كذا في الأصل ولعله بالخاء المعجمة.

لكن تكرهت العرب ذلك فتولينا إلى ذا[1] والمغرم، وجعلنا لكما ما لم يكونا بنا لأكثر منه ولم يَنْسني عن أمر الربيعة بالفساد وغرهم فلم يدركنا والحمدلله في ذلك مضرة ولم نجازك عن ذلك بمكروه نالك منه معرة « »[2] ما نالنا من سببك ونالك من تعطفنا عليك لما أحطنا بذلك وأمورنا بادية ينظرها الخاص والعام ومن ذكر غير ما يعرف الناس منها جشم نفسه ولو درا[3] بها، وأما قولك إني أعطيت من نفسي العهود بأن لا أزيح إماماً تحق إمامته ولا أميراً عن إمارته ولا رئيساً عن رياسته، وإن همدان شهود بذلك فلا قبلت ذلك حتى يتم لك الشريط وتطلب الوفاء بيد قدمتها، ولقد نعلم إنك كنت من أكره الناس بالمقام فلما وليت لم أنزعك من شيء لا ممّا تنجحد[4] ألفيتك فلم تجحد من هذا ما لا يحسن ممّن يحل من الشرف والمنزلة الرَّفيعة محلك، وكذلك ذكرت أحسن توفيقك أني لا أخرج مخلافاً ممّن وجدته في يده ولا رعية من راعيها، وقد جعلت ذلك لم سلَّم[5] فأما من عرض السفه[6] لي ولم يَرْعو لقولي فلم أجعل هذه الشريطة لمن كان كذلك، وإنما جعلتها لمن وصل حبلي بحَبْله ووافقني على العمل بحكم رسول الله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم، ولا متعلق لذلك بذلك أيضاً، وأما ما أضفت إلينا من الغدر فمحال ذلك وبهتان يلعن الله من فعل غدراً، ومن قال زوراً، وأما ما تذكره من أني غدرت بأهل نجران فمحال ذلك من أهل نجران إن كانوا زعموا ذلك، وإن كان من بعض من يريد أن يَطْغى فليس لخصم على خصمه قول إلَّا ببينة فأبن ذلك أو بينوا لأهل نجران إن كانوا المدعين وإن كنت المدعي لهم أبى الله لي ذلك، وطهَّرني منه، فقل قولاً يصح، وذكرت أني غدرت بني عمي وأَسَرْتهم كان معي القاسم بن الحسين الزيدي ولِمَ والعظيم أغدر به، ولا

---

(١) كذا.

(٢) بياض في الأصل.

(٣) كذا واللفظة بدون نقط وربما قرئت هكذا «ولوزرابها».

(٤) كذا.

(٥) كذا.

(٦) الأصل «السفت».

بأحد من البرية، بل وليته مقامي وقلدته ذمتي فغدر، ثم أذممت له وأساء ثم أمرته بالإحسان إليه، فلما لم أسْعده في غيّه وآتبعته في جهله غدر بي كما فعلت، والله يحكم بيننا وهو خير الحاكمين، والله ما قصرت في الزّيدي منذ وصلني إلى هذه الغاية فإن كان قد شكاني إليك فهلا وقفت أنت وغيرك على عهدي له، ثم لتعلمن من بعد نظر أنه الغادر لا أنا ولكل نبأ مستقر ولن يخفى من الأمور لا ظاهراً منها ولا مستوراً خلا ما لا يكون وإن أحببت أنت أن تفتشني وإياك علماء الأمة على علم الكتاب وسنة الرسول صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم وأنا والسَّلف فعلت لك ذلك لئن يخرج الشك من قلبك وتعترف بمن هو أولى بالفضل منك، كذلك ذكرت أهل بيت بَوْس فأما أهل بيت بَوْس فإن ابن سلمة أدخلنا ذلك المكان مظهر الطاعة فلما حلّ ولدي عنده نزل به ابن أبي الفتوح وسأله الوصول معه إلى صنعاء وذكر له أني خارج فأتى يطلب مني الأناة فلما أخرجا في الليل البرية [١] بنو شهاب بينهم فاتفق رأيهم أن أجلسوا للرجلين ومن معهما جماعة في الحصن وجماعة في النقيل الطالع إلى الحصن وعزموا المكيدة فيهما فطال مكثهما في المدينة ولم يخرجا إلّا وجه الصبح فأسفرا قبل وصول القلعة، فتحير من كان في النقيل إلى الشعب الذي في المكان فمكثوا فيه وهي الحصن من فيه من معقاب محسوسين فوصل الرجلان النقيل وليس عليه أحد فولجا في الحصن فلما أن صارا فيه شكا إلى جعفر بعض أخدامه فأمر له فنادى الخادم بأعلا صوته، السِّلاح والرجال، فهدت الجماعة التي في الشعب تحسب أن أصحابها قد واقعوا في الحصن، فخرج لهم من في الحصن من أصحابنا فطردوهم وكفى الله من مكيدتهم، وفل منهم شوكتهم، وذلّ من في الحصن وأتاني من حضره مشهورة القوم منهم يريد ومتنصحاً لما كان من رأيهم، فأنفذت علي بن يحيىٰ بن عبدالله الرسّي على بجاوي مفرداً بالبدار إلى جعفر فوصل الشريف والناس طردون[٢] وإياهم بما

---

(١) بياض في الأصل.

(٢) ولعله يطردون.

ذكـرت، ورأوا من ابن سلمة المكيـدة من المدافعـة عمّن أغار من أصحـابه والعصبية لهم ما أوجب ما ذكر، ثم تظاهرت الأخبار واشتبه الأمر، فلما كان ذلك أمرت بهدم القلعة ولم يكن لمن بدت مكيدته عهد ولا ذمّة، وقد قتـل الحسين بن علي عليه السلام أسيره بعد أمانه لمـا هَمّ بقتله، ولم يجعل الله العهـود إلاَّ لمن استقام والتـزم بهـا، قـال الله: ﴿**إلاَّ الـذين عـاهـدتم عنـد المسجـد الحـرام فمـا استقـامـوا لكم فـاستقيمـوا لهم**﴾[1] فلم يجعـل الله الاستقامة إلاَّ لمن استقام، وأما قـولك إني عـاملت الأمير عيسىٰ بـن جعفـر وأعطيته سَبْعين عهداً ثم غدرت به فليس ذلك كما ذكرت، لم أكن بالحجاز أميراً يعاملني عيسىٰ إنما كنت رجلاً مطيعاً أفـد إلى عيسىٰ وأنا مـريده فلمـا طلبه السُّلطان إخطاري بـذلت نفسي معه للمكـروه أناسـاً من[2] الحياة لمـا أولاني، فلمـا همّ السُّلطان بـالقبض عليّ تلطف في الحـال حتى حـاجني، فلمـا صرت إلى الحجـاز عدت إليـه زائـراً فبـدا في الحـال أن السلطان لم يذرني له إلاَّ بضمان إليه فحَققت أنـه لم يضمن ذلك الضمـان إلاَّ ضرورة، فـرأيت أن أبعد نفسي عنـه ولا أعرضهـا لمـا يشيعـه ويهلكني وحـرى بعـد التحيير[3] وحبسه خشي فيهـا أن يكون مني مكـروه إليه فـإن كـان ذكـر مـا ذكـرت فحال أن لا إطـلاع في هذه النـاحية والأمـر بيد الله ليس لأحـد منـه شيء، فيسهل على نفسك وأيقن أن[4] ما شاء الله كان، وأما مـا ذكرت من افتخار الناس بأسلافهم ولم أزد على أن أصغـر لهم ورفعت نفسي وحططت أسماءهم، وهذه خلة يلعن الله من فعل فيها مـا ذكرت، أنـا بفخرهم أفخـر واتبـاعهم أذكر، وأمـا ما تعلق بـه على من ترك تسميتهم على المنبـر، فـإن ذلـك كثر وجـاوز من ذكر من الفضـلاء حتى عتب ذلك عليكم وفي إجمـال ذكرهم من دون الأسماء ما كفى لأنه لا اختلاف بين الأمة في الصـلاة على النبي صلَّى الله عليـه وعلى آلـه وسلَّم أن يصلي على الـنبـي وعلى آلـه الطيبين الطاهرين، وهذا أجمـع[5] وأكفى من التفريق وتسميـة بعض فضلاء

---

(١) الآية: ٧، سورة التوبة.

(٢) كذا. (٣) كذا.

(٤) كذا. (٥) الأصل «فاجمع».

أهل البيت دون بعض فما علقتك بمثل هـذا فعالـك من الحجة عليّ وقلت إن النـاس انصرفـوا عنّي إذ رأوني أتهـدد أهـل بيتي بـالقتـل والسَّيف وهـذه دعوى لا صحة لها لا الناس سمعـوا مني هذا ولا أنـا بحمد الله نـويت هذا الفعـل دون قـولـه[١] وإنمـا تعلقكم علي بـطلابـة بني أبي الـطيب إذ قيـل صاحبهم يـمـن بآرائـه صاحبا يأمن الرعية[٢]، فلما خرجا وبقي في البلد أنفـار منكم طلبـوا قتـل بعضهم فلم أوصلهم إلى ذلـك، وقلت: قبلكم سلاطين فهم بظاهر البلد ولسنا نحـول ولا بين مرادكم منهم نسبة[٣] حالهم إذ وتـروا وبقية منـا أنهم لا يذكـرون من كان بـظاهر البلد فـأنتم من يومئذ متعلقون من هذا القول بما لا يوجب لي لوماً ولا قليلاً، وأمـا قولـك جعلت فـداك إني أرسلت لبني أبي الطيب حتى يفعلوا المنكـر وإنهم أظهروا ذلـك فمـا أنكرتـه ولا غيرتـه، فلم أعلم أني أرسلت لهم لغير المنكـر فضـلاً عن المنكر أعوذ بالله من ذلك، وأما القوم فوصلوا لما لم يجهلوا فـإن كانـوا أتوا منكراً فغير متصل بي ولا منسوب إليّ ولم أر ولم أسمـع ولم يحضر عنـدي من يثبت بـذلك شهـادة فأكفهم عن ذلـك بالمـوعظة، وأمـا الحد فلم نجـد استطاعة نقيم بها الحدود ويمنعني من ذلك كالذي يمنعك، وأنت فلم تـزل تخبر عن سفهاء الذرية بما يوجب الحـد والأدب فلم تسل بغيـر ذلك، وأمـا ما تذكر وتشتكي ممّا جعلته سبباً للتخريج ممّـا دخلت فيه معي فليس ذلـك بمخرجك ممّا دخلنا فيه وإن حكم بذلك حاكم بيننا دخلنا تحت الحكم إلاَّ أنه أوكد من رواسي الجبال، ولو استقلت من قبل ما جـرى ألا قلت، ولقد نبذت إليَّ عهدي في حال الفسحة لمـا لمت، وأما مـا يتعلق به على ذلـك المعنى الجاهل من خطأ القول فمثله أخطأ وأساء قبح الله وجهه وفعله، ولا بلغه في القبح أمله صغر عليّ والله ما يشكو منه ولا حيَّ لـه ولا كرامـة ولا نعما، غير أن أخبر فعله وما هـو أهله، وإن لم يكن منه انقـلاع عن السيء

---

(١) الأصل «أقوله».

(٢) كذا رسم هذه الكلمة واللفظة بدون نقط صاحبهم إلى الرعية.

(٣) اللفظة مكتوبة هكذا «تسبيحا لهم» ولعله «نَسيجاً».

فقصّر الله عمره، وأما قولك جعلت فداك إني سميت بغير اسمي وادعيت ما ليس لي فليس الأمر كما ذكرت، أما والله لو كان ذلك لأخرجني[1] منه العلماء كما أخرجوك وغيرك ممّن ادعاها، إذ الأمر بلا دليل ولا بصيرة إن الأسماء لو كانت تنظر بسماتها[2] بلا دليل لما بقي أحد حتى يتسمَّى بها، لكن أبى الله ذلك إذ ميّز بين الحق والباطل، فقال لنبيه صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم ﴿**فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون**﴾[3] قال فإنهم لا يكذبونك بحجة يقطعونك بها عن مقامك، فأما التكذيب بالقول فلم يزالوا مكذبين ولما جاء به جاحدين، وكذلك كان فعلهم مع سائر النبيين قال الله عزّ وجلّ: ﴿**كل كذب الرسل فحق وعيد**﴾[4] وقال لنبيه صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم ﴿**فإن كذبوك فقد كُذّبَ رسل من قبلك جاءُوا بالبينات والزبر والكتاب المنير**﴾[5] وقد بلغ بهم تكذيب من كذبهم أو ناكرهم أن انفردوا بأنفسهم في أطراف البلاد لا تابع لهم ولا ناصر حتى اختار الله لهم دار الآخرة وأهلك مكذبهم بأنواع العذاب، فإذا قد جرى ذلك بيننا في أنبياء الله مع [ما] أتوا به من الدلائل والمعجزات، فالأئمة أجدر أن يكذبوا وأن لا يعرفوا، فكيف يعرف الأئمة من جهل عليهم وإنما بعلمهم يعرفون ولخذل من خذلهم أن يظهروا بسيرهم وبالسير الكريمة يوصفون هذا ما لا يكون فما بال من ظهر في حال بناها الجهل في هذه الأمة وعمومه عليهم حتى أن عالمهم لمفتون في علمه وجاهلهم مكتف بجهله وإلى الله المشتكى في ذلك، فكيف أصلحك الله تظهر بسنة أو تمحوا بدعة من الأعوان له عليها ولا مؤازر له في إقامتها إذا كنت أنت وأنت الذي نصبت نفسك لا على منزلة صد لمن نصب نفسه لذلك فمن الذي يرجى للقيام كما ذكرت وعسى ولعله أن يختار[6] الله لدينه فيؤيد من

---

(١) الأصل «أخرجن».

(٢) كذا تقرأ هذه اللفظة.

(٣) الآية: ٣٣ سورة الأنعام.

(٤) الآية: ١٤، سورة ق.

(٥) الآية: ١٨٤، سورة آل عمران.

(٦) الأصل يرتاخ ولعله هكذا.

اختار للقيام، وأما ما ذكرت من نحو هنالك بهدم المنزل، فهل أنال بمخوف لك بذلك أن ذلك من وغد لا يعبأ بكلامه، فواجب عليك أن لا تذكر ذلك قول من لا يلزمه القول، ولا يقدر على فعل ما يقول، وإن كان ذلك القول مضافاً إليَّ فذاك مني بعيد وإنما يقرب مني ويكون فعلي صيانة المنزل فقر فيه[1] وقد فعلت ذلك في جميع الأوقات التي توليت فيها البلد واستوليت عليه، ولا أقول ذلك منّة ولا استحباب[2] مكافأة بل أقول ذلك تعريفاً بنيتي وما تدعوني إليه همتي وما يلزمني في ذمتي ومروءتي، بل أعوذ بالله من فعل يبقى عاره ولا يؤمن ناره فعد يا سيدي عن هذا القول ولا تجده لك ببال، فإنه ممّا لا أفعل أبداً بك ولا يخبر به عنّي أحد، وأما ما ذكرت من فعل ابن أبي الفتوح وإني أمرت به من قلعه من منزله فيكذب من عرفك من ذلك بالمحال ليس الأمر وحق الله وحق ملائكته ورسله كما بلغت، ولا كما ذكر لك، وبالله ما زلت فيه غضباناً إلى هذه الغاية أردوا[3] الكتب والرسل ولمن أجر رسلي كان الحسيني بن مسلم جرى بخلاف الزيدي وهو عنده يسير في شأن ابن أبي الفتوح، وقلت إني لم أقم معه حين أمدني بشيء من حطام الدنيا، ولعنة الله على من أعطاه ابن أبي الفتوح بعد الذي جرى عليه درهماً ولا أكثر منه ولا غرضاً وإني لأبعد بنفسي عن هذه المنزلة الدنيَّة الذي لا يفعلها بر ولا فاجر، بل بحمد الله قد اتفقنا فيما لزمنا من ذمّته ما لا حسبما[4] ها هو إلى هذه الغاية التي كيلت فيها تبرًّا ما انقطعت نفقتنا في ذلك، وإني كالذي وصف به سيدنا الهادي إلى الحق رضي الله عنه نفسه إذ يقول[5]:

أبى الله لي هٰذي الفعال وهمتي وإني آمرؤٌ ما تَعْتَرِيني المطامع

فهذا ما أمضى الجواب والمعذرة، وقد أجبت عنه واعتذرت عمَّا ألقي إليك ممّا لا علم لك به، وأما سائر الكتاب ففيه من المعائب والقول

---

(١) الأصل تقرأ اللفظة هكذا «فعرفته».
(٢) الأصل «استحاب». (٣) كذا ولعله «أردد».
(٤) كذا. (٥) سيرة الهادي إلى الحق: ٣٠٣.

الواسع ما لو رمنا الجواب عنه لخشينا أن يزيد ما ينشأ بعداً، فقد ضربنا عن حكايته وجوابه، واعلم يا ابن عمّي وسيدي أن الله عند لسان كل قائل ولو رمت إن أكافىء قولك وأذكر معايبك ممّا يذكره الناس فيك ممّا يصدقون فيه أو يكذبون لم أعدم ذلك، ولكن أبى الله أن أقول ما لم أحضى[1] به علماً وما ستسأل عنه جوارحي عند أمور تمنع اللسان من القول ويحال بينه وبين المنطق فلا يستطيع قولاً ولقد أرى عنك من نشر القبيح فيك إذا لم يدع عليّ، وأقول كما قال الشاعر:

ومن يتبع جاهداً كل عثرة   يجدها ولا يسلم له الدهر صاحبك

وأنت يا ابن عمي فقد شطّ لسانك في حكايات ما بلغتك إلاَّ من خصوم فلمتني فيها وعذلتني بها بغير ما بيّنة صحّت لك ولا دليل دلك، فاستغفر الله من ذلك تسلم من الأثام[2] فيما بينك وبينه فأما ما بيني وبينك فأنت منه بحل فيما لم تصب مقصدك ولا تغفرني في شيء ممّا نسبت إليّ فإني إلى رحمة الله بيقين مضطر بل أعوذ بالله وبه ألوذ أن أكون كسبي ممّا ذكرت يا ابن عمّي أليس وحذرك وبني عمّك فتنة فهل ظاهرتهم عليك، أو صرت في خير من دهر دونك أوليتهم عليك، أو جعلت لهم أبرُهُ عليك، وقد فعلت ذلك منهم ألا وإن فعلت يوماً كفعلك هذا فلا يتبعني لائمة فلم يعد الآن بيننا معاملة ولا حال يتعلق به بعضنا على بعض الذي كان بيننا قد أعذرت عنه لما فعلت هذه المعورة لزمني فعلهم أو لم يلزمني، وقد تصرم ما كنا نتعامل عليه وصارت الجملة بأيديكم فهل تصرم من المقول ما يفيد تأيدك[3] القبيح ويوجب بيننا القطيعة فلولا أن ينسب إليّ استخفافاً بكتابك وردّ جوابك لبدأت بقطع ذلك فقد بلغ كل في كتابه [4] أكمل النجدة أو قد أوجب الذمامة والله وكفى نسأل المغفرة ممّا يوجب عقوبته وبه نستعين وهو حسبي ونعلم الوكيل، وقرأت عليك السّلام كثيراً طيباً وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وسلَّم.

---

(١) كذا ولعله «أحط».
(٢) كذا ولعله «الآثام».
(٣) كذا «واللفظة بدون نقط».
(٤) بياض في الأصل.

ثم إن الإمام عليه السلام كتب إلى ولده سليمان يعيب عليه فيما ادعى عليه يوسف بن يحيىٰ من الخطأ وهو إذ ذلك مخرج من صعدة عند المدلهم بن الفحيش في الحقل فوصل سليمان إلى أبيه فوافقه قد صار إلى الحصن ببلد بني ربيعة فأقسم له ما كان منه ممّا ادعى يوسف من القول والذي قذفه به من شرب الخمر.

قال الحسين بن أحمد: ولقي الشريف ابن الإمام عليه السلام من بعد ذلك فأقسم لي قسماً بالغاً ما كان من دعوى يوسف بن يحيىٰ في القذيفة كلها نسبة واحدة، ولا شي من الأشياء ولا شرب الخمر وكما يعرف الشريف أبا القاسم أيّده الله تعالىٰ من البراية بخلاف ما يتكلم به يوسف ابن يحيىٰ.

قال الحسين بن أحمد: ثم إن الإمام عليه السلام أمر بالرحيل من صنعاء بمن معه من أصحابه، فكان نهوضه من صنعاء يوم الثلاثاء لست باقية من شهر ذي القعدة من شهور سنة إحدى وتسعين وثلثمائة سنة، فأمسى آخر نهاره بالجائف[1] بالخشب، نزل في الجائف في منزل أبي الجيش بن أبي النظر، وأصبح فرحل فأمسى ريدة وأقام بها وأرسل فتقدم عمّاله ورتب في مخلافه أحواله، فوصل إليه رجل من بكيل بكتاب أرسله إليهم الأمير الزيدي يشكو فيه الإمام ويذكر أنه غدر به وأنه رجع عن أمر الله وولّى أعداء[2] الله واحتاز ابن أبي الفتوح عليه وركن إلى الظلمة وسألهم أن ينصروه على الإمام ويَعْذروه في المخالفة عليه ويعدهم مع ذلك بالسوم والأرزاق.

وكذلك كتب الى وادعة وكتب كتباً عدة إلى أهل البون وسائر السلاطين والعرب، فلما وصل الإمام عليه السلام ذلك وقف عليه دعا بورق ودواة وكتب كتاباً إلى كافة همدان نسخته:

---

(١) اللفظة بدون نقط والجائف قرية في جبل عيال سريح جنوبي عمران.

(٢) الأصل «وولاعدار».

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الكبير المتعال المنعم ذي النوال والطول والجلال، أحمده لجسيم مواهبه، ويحل عليه الثناء لما هو أولى به، ونسأله أن يصلي على محمد نبيه الأمين وعلى من طاب من ذرّيته أجمعين.

أما بعد يا كافة همدان وسراة ولد قحطان فإنا نشكو أنفسكم إذ دعانا على ذلك العتب عليكم، وذلك إذ بلغنا أن الزيدي كاتبكم بزور من القول فجعلتم ذلك حقاً وكدتم أن تخرجوا كما دخلتم فيه، بل قد خرجتم بغير ما دليل حقق لكم قوله، ولا شاهد بين لكم فعلنا أو فعله، خلا أن موّه عليكم فقبلتم تمويهه إذا تأكلا[1] منكم ترحيب بهوى إما جنودكم وطلاب البواد[2] منكم فألهمهم أن أعطلناهم وأضعناهم وقطعنا منافعهم وأنا اعتمدنا على الخفض والرقاد وأنه طاب لنا وأضعنا العباد وتركنا الجهاد وعد كلاً منهم برزقه وأطعمهم بما ليس في يده ولا يوجد في ملكه رغبةً في فسادهم وحرصاً على عنادهم ومحبة للتفريق بيني وبينهم، كذلك كانت مغزى همدان ودخل عليهم من باب لم يكن له دخل عليهم إلاَّ منه فأصغوا لقوله إن كان الكل منهم غيرتهم لفعله وظنوا أن قد صدق، ولم يعرفوا كيد ما نطق، إذ كان ممّا خاطبهم به أننا خالفنا أمر الله وحكمه في مولاة[3] الظالمين والفاسقين وإنما يوالي الفاسق من كان فاسقاً، ولسنا بحمد الله كذلك يعرفنا بالصحّة في أداتنا كل من عاشرنا مع احتجاجه بآي من الكتاب لما يجوز على الجاهلين وإيهامه أنه القائم بالحق والمجاهد دون من كان بالأمس يدعو إليه، حتى لقد بلغنا وصحّ عندنا أن كلاً منكم بل كافة همدان قد أطلق فينا القول وسمج فعلنا وحسن قول هذا المتعدّي[4] علينا الناكث لعهدنا، والقائل بغير الحق فينا، الكافر لما ناله من جميلنا، ولسنا الآن ولا إياه بمعدومين ولا أموات فيختلف القالة فينا ولا سوا ما فضل إليه به الفاضل منا فنسيه فيكون شبهة توجب الافتراق بيننا، إنكم يا كافة همدان

---

(١) كذا.

(٢) كذا.

(٣) الأصل «مولاه».

(٤) الأصل: المستذر.

اختلفتم التي[١] أربعة وعيرين[٢] لشبه بيننا بنى علماؤكم ومستفيدين المعرفة جهالكم، والزيدي وغيره بمن نعرفه عنده بمعزل من هذا الأمر لا يعرف فنوناً ولا يعلم، فلسْنا وأكثر آل الرسول إذ ذلك سبيلهم سبيله فما الذي بدا لكم منه أوجب اتباعه ورفض العلم فأثبتوا ذلك، وتبين من قبلكم قوله فينا كي تعرفه البرية كما تفضل الله نعمته علينا عوضاً، وإن تمّ لكن ذلك معكم ولا معه فما هذا الجهل وهذا العمل الذي لا تميزون معه بين الحق والباطل ولا العالم ولا الجاهل، معاشر همدان باديها[٣] وحاضرها أن الله بيني وبينكم حكم وشاهد علينا جميعاً أبهذا أمركم الله فينا فأطعتم أمره أم بسنة الرسول فاتبعتم سنته أما الله فقال وقوله الحق **﴿يرفع الله الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات﴾**[٤] وقال: **﴿هل يَسْتوي الذين يعلمون والذي لا يَعْلمون﴾** ألا أنه في أي من كتاب الله ها هو باق في أيديكم وموجود في كتاب ربكم، وقال النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم لليهود من استخلف موسىٰ من بعده، فقالوا يوشع بن نون فقال النبي لِـمَ استخلفه دون بني إسرائيل قالوا: لا ندري، قال النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم: لأنه كان أعلم بني إسرائيل، كذلك فعل النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم استخلف علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه إذ كان أعلم قومه، وقد شككتم[٥] وأمن جهلنا[٦] وقبلتم فعل من لا نقاس به ولا يقاس بنا بسبيلهم أولى بالصواب والصّدق، أم الجاهل فإن قلتم العالم فلا تفعلوا ذلك فينا وإن قلتم الجاهل فقد فعلتم ذلك وتلك التي ينكرها عليكم جهال البرية فضلاً عن علمائها، ولا بدّ أن نعرفكم بخطا فعلكم وخطا من أوهمكم فينا ما ليس فينا ليجلو بذلك عنكم سكرة الجهل ويرد عليكم ما

---

(١) كذا ولعله إليّ.

(٢) الأصل هكذا «وعه رين» ولعله وعشرين.

(٣) الأصل «بأيديها».

(٤) الآية: ١١، سورة المجادلة.

(٥) في الأصل «سلكتم».

(٦) كذا.

لم تنتفعوا به من العقل[١] ما أول ما دخل بهذا الرجل معي فإنه أتى من الحجاز بالإطاعة ومحبة وهجرة، فقابلت ما ذكر بالقبول وجعلت له من القربة والمحل ما لم أجعله لأحد من آل الرسول ولم أني[٢] أن سلمت إليه تولّي ما ملكت تصريفه من بلادكم ولم أجعل لي ولا لغيري معه في ذلك يداً، وعهدت إليه عهداً آمره فيه بما يجب لله عليّ وعليه وأهديه من السِّير على ما نحن بسببه إلي وإليه، فنبذ ذلك وراء ظهره ولم يعتمد به، وهذا عهدي موجود فيما كنت من آبائي وسيرتي وأعرفه بمن قد أوجبت له الكفاف من السَّلاطين فلم يرعو لذلك عن قولي ولم أدخل مع سلطاني به كافةً إلَّا لوجهين، أمَّا أحدهما فإني اتبعت أمر الله والله يقول لنبيه ﴿**وإن جنحوا للسّلم فاجنح لها**﴾[٣] وكل سلطان باليمن طلبني السّلم بمن عاملت فلم يسعني عن اتباع أمر الله، وأما الوجه الثاني فإني اتبعت أمر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في هذه الأمة فإنه قال صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم لهم علينا ثلاث ما كان لنا عليهم ثلاث، لهم علينا أن لا نمنعهم من الفيء ما كانت أيديهم مع أيدينا وأن لا نبدأهم بمحاربة حتى يبدأونا وأن لا نمنعهم من الصَّلاة في مسجدنا ما صلوا بصلاتنا، وأنا فلم نبد أحداً من سلاطين اليمن بفتنة ما يكون منه بعدها منتصراً، وجميع يعلمون أن النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم سالم كثيراً من المشركين وكذلك كثيراً من أهل الكتاب وأعطاهم ذمته وهم من الكفر على ما ليس عليه أحد، منهم يقول إن الله ثالث ثلاثة ويزعم أن المسيح ابن مريم ابن الله، ومنهم من يزعم أن العزير إبن الله مع جحدهم لمحمد صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم، ولما أتى به من الله، مع استحلالهم لجميع المحارم من شرب الخمور وأكل لحم الخنزير[٤] والاستحلال لكافة المحارم، وها هم في ذمّته صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم إلى هذه الغاية ترعاهم أهل ملته

---

(١) كذا.

(٢) كذا.

(٣) الآية: ٦١، سورة الأنفال.

(٤) الأصل: الحبيرير.

في مشارق الأرض ومغاربها، فهل خَطَّا أحد من المسلمين فعل النبي في هؤلاء الكفرة المشركين، وقال إنه والاهم بإحسانه إليهم، وجعل ذمّته لهم مع كفرهم إلى يوم القيامة، فهذا ما لا يقول به مسلم فما بال هذا المحتسب على من هو أولى بالحسبة منه ألا يجوز[1] رسول الله في حكمه وعلينا في سيرته ويجوز من اتبع سيرتهما في المعاهدين والمليين، ألم تعلم أن من أنكر سيرة سار بها الرسول صلّى الله عليه وعلى آله وسلَّم والأئمة من بعده على سيرتها أن نكيره عليهم لا على التابع لآثارهم، وهذا الرجل فقد أنكر ما لم يعلم وجاز ذلك على كثير منكم إذ قد آنست المعرفة به وبكم، وأما ما عابنا به من النكرة عليه في بعض عهدنا لابن أبي الفتوح والقيام معه عليه فإنا نعرفكم من الحال بما لا تنكرون أما ابن أبي الفتوح فأعطيته مني موعداً الكفات[2] عمّا في يده من مال ورجال إلى دنوي من أرضه وطلبه القيام معي، فإذا كان ذلك لم يكن له عني تأخر فأقبل ورضي يحمل إلي في كل سنة مالاً، وطلبته النجدة فبذل ماله ورجاله حتى لحقهم ما لحق أهل طاعتي من قتل الرجال وأخذ الأموال، ولم يكتف هذا الرجل بما فعلت ولم يجاز ما فعل فيّ حتى أخاف هذا المعاقد المناصر من طلبة المعامله فعامله استكفافاً وحلف كل لصاحبه، وشهد على ذلك الشهود بينهما فلم يمض شهر ومقاربه حتى نكث الشريف عهده وعدا على جانب بلد هذا الرجل المحالف للجميع منا، ولم يجعل الله لأحد في الكفر ولا في الإسلام أن يعتدي حتى يبدي المعاهد النكث والبغي، والله يقول لنبيه **﴿وإمّا تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين﴾**[3] نقول ابتدأ إليهم عهدهم فعدا على هذا الرجل الزيدي في أوسط عَهْدي وعهده من قبل أن ينبذ إليه ما عهد له، فلما أنكرت ذلك زاد فتابع المكروه حتى قلع بلدانه ومحاله وأمواله وجعل ذلك مُباحاً لمن استحله من طماع البدوان والضلال الذين لا يؤمنون بالرحمن ولا يدينون

---

(١) كذا.

(٢) كذا.

(٣) الآية: ٥٨، سورة الأنفال.

بدين الإيمان، فلما كان ذلك منه نفر هؤلاء[1] القوم الذين استحبوا[2] في عهدنا طالبين لموعدنا فدفعناهم عنا واعتذرناهم بما عقدوا معه من بعد عقدهم مَعَنا، فلم يعذروا في ذُلك، فلما ألحّ بهم المكروه ورمونا بأنفسهم واستجاروا بنا، فلم نجد من إذا جربناهم[3] بداً واتبعنا أمر الله إذ يقول عزّ وجلّ من قائل: **﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنَه﴾**[4] فذلك فعلنا لواجب عهدنا ويكون الجوار لنا والمنزل علينا فمن ينبذ رأينا في ذلك فقد أساء بنا وأعظم الفرية علينا إلاَّ أن يقول أهل العلم إن العهود مطرحة والجوار مقوض فليبينوا ذلك ولن يبينوه، وكيف والله يقول وقوله الحق: **﴿وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً﴾**[5] ويقول: **﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾**[6] فأردتم وأراد هذا الرجل الذي موَّه عليكم أن نقض أوامر الله ولا سلك سبيل رسول الله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم، أجل لو فعلت ذلك لكنت سبيله وأسأل[7] الحال بي وبه وأتم الله ما قمت فيكم حتى أحطت بعلم الكتاب محكمه ومتشابهه وناسخهٔ ومنسوخه وأمره اللازم وأمره الذي يستحبُ ولا يلزم وفرائضه اللازمة، وما أوجب المخرج منها في حال الضرورات، وتفصيل مجيد أمره وما قصّ فيه من القصص على نبيّه كذلك ما سنّ الرسول صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم من سنّته ودل من شريعته فكل أنا به عالم وبالقيام به مطلع، ولا مخرج لكم ممّن هو كذلك إلاَّ من بعد أن تبتلوه، فلا تلقوه كما ذكر ولن يكون من بعد ذلك إلاَّ من دون علي عليه السلام وقد رفضه أهل القبلة واتبعوا معاوية، وأنتم كأولئك تكونون وإلى من جهل الحق تسرعون **﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾**[8] والحمد لله رب العالمين وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وسلَّم.

---

(١) الأصل «هولاي».
(٢) كذا ولعله «استخانوا».
(٣) الأصل «جرباهم» واللفظة بدون نقط ولعله (من أن أجرناهم).
(٤) الآية: ٦، سورة التوبة.
(٥) الآية: ٣٤، سورة الإسراء.
(٦) الآية: ٣٢، سورة المعارج.
(٧) كذا ولعله «وأساء».
(٨) الآية: ٢٢٧، سورة الشعراء.

قال الحسين بن أحمد: وكتب الإمام عليه السلام هذا الكتاب بريدة وهو كما ارتفع من علة كان شكاها مقيماً، حتى كان يوم العيد عيد عرف ضاحي النَّهار أوصله بعض خدم ولده جعفر مطروداً من صنعاء، فأعلمه أن الزيدي هجم على ولده الأمير جعفر فقبضه وكان في غفلة وقلة من الأنصار والأعوان، وثقة أن ابن عمه ووالي أبيه لا يقطع رحمه ولا ينكث طاعته، وكان طاعته وكان من أهل صعدة أهل مودة للزيدي فقاموا مع الزيدي على جعفر وهو إذ ذلك سلطان فيهم، فقبضه ورفعه من ليلته إلى قلعة كان بها هلال الحسيني لبني شهاب وهم إذ ذلك في حربه وقبض معه ابن عمّ أبيه موسىٰ بن القاسم الحسيني الرسي، وكان معه أخوه الحسين وهو إذ ذلك صغير السن فقبضه أيضاً معه ورفعهم إلى بلد بني شهاب، فلما بلغ ذلك الإمام عليه السلام اشتد عليه فعل الزيدي وهو آمن من قطيعته في الأنفس ففرّق الرسل إلى أهل طاعته لشيعتهم وجنودهم ورعاياهم لا يرتابوه، فأتاه من الناس أنفار ليس فيهم منعة ولا في عزيمتهم نصرة، فلما رأى خذلان الناس ونكثهم بيعته وميلهم إلى أعدائه أقام بريدة متربصاً بهم وبالزيدي منتظراً لنصر الله يوم إحدى عشرة باقية من شهر ذي الحجة من سنة إحدى وتسعين وثلثمائة، كتب في مقامه كتاباً إلى وادعة وبكيل يسألهم الاستقامة والجواب الكريم ولمن تحت يده من ذرية رسول الله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم، نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وإليه نشتكي وإلى أوليائه ما قد نزل بنا وما قد دفعنا إليه من خذل أهل دهرنا وإجماعهم معاً علينا مع سفهاء قومنا، ومن مكاره البغي علينا اللهم ﴿**افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين**﴾[1] معاشر همدان الحاضر منها والبادي إننا لم نخرج من أوطاننا ونبعد من قومنا إلَّا بأسبابكم ولم تبن لنا المكاره إذ صرنا بين ظهرانيكم إلَّا بأيديكم، فبماذا تعتذرون فينا إلى خالقكم إذا سألكم عنا غداً ولم تجدوا من جوابه بداً، أبينوا بذلك ما دامت أبدانكم سالمة

---

(١) الآية: ٨٩، سورة الأعراف.

وألسنتكم متكلمة أألله أمركم بهذا أم على الله تفترون إنه ليس من أمة هلكت إلاَّ بتكذيب من دعاها وخذلان من هداها، فاتقوا الله وراقبوه وتوبوا إلى الله واستغفروه، وبَعْد يا رجال بكيل ووادعة ومن فيه بعد البقية والمنعة فإنه قد كان من خذلان عشائركم لنا ما قد بلغكم إذ قمنا في ذمتنا وقد أتموا ما قد عملوا بأن عاملوا على ولدي هذا القاطع الفاجر الزيدي، لا زاد الله في عمره حتى قبضه وأخاه وابن عمّه أخالاً[1] طفلاً صغيراً كان زائراً لهم له فأسرهم أسراً عنها وصيّرهم في أمير[2] أعدائهم بني شهاب ليحبسوا في قلاعهم، وإن كان لا عدوّ أعدى منه، ولقد فعل فينا كفعل بني أمية وبني العباس في سلفنا وساعده على ذلك كمن ساعدهم من أهل زمانهم، فإلى الله وإليكم نشكو عشائركم إذ قد نالنا بأيديهم المكروه على حين لا ناصر لنا منكم ولا مقدرة لنا على المسير من أرضكم ولا جدة لنا نتكفف به عن الحاجة عنكم، وبعد فإنه لا مرتد لنا بعد الله إلاَّ إليكم، ولا مستقر لنا إلاَّ فيكم فليفسح كل أهل بيت منكم لمنزل من منازله لذريةٍ من ذرية رسول الله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم تحت أيدينا ينزل عليهم، فقد وقعت الحاجة إلى ذلك وأوجبته المحنة والنفاعة، ولن يمتحن الله إلاَّ الصَّالحين، ونقول عندها من نحن إنا لله وإنا إليه راجعون رضاء قضاء وتسليماً لما أمضى ونحن نعيذ[3] ما يكون لقايتكم لذرية نبيكم تسير في قبائل العرب ونطلب النصرة منهم فكفى بالله ناصراً على القوم الظالمين، والمنازل التي ننزلها عليكم فمنها منزل في آل دعام بن إبراهيم ذلك لولد عليان، ومنزل قد هو في بني سلمان، ومنزل في بلد ضاف وهما لكافة سفيان، ومنزل في بني معمر ومنزل في الهراثم[4] وبني عذر وهما كافيان في بلد بني سعد، ومنزل في بلد بني ربيعة، ومنزل في بني صريم وهما لولد حرب جميعاً، فليكن في الجميع تصديق لظننا ومنزل لرجائنا فيهم فليغنم الإحسان إلى ذرية

---

(١) كذا.

(٢) كذا.

(٣) كذا.

(٤) بنو معمر والهراثم من قبائل حاشد «صفة: ١٢٨».

نبيهم الرسول، قال الله: ﴿**لا يضيع أجر المحسنين**﴾(١) وليعلم الجميع أن لمن برّنا أو آوانا وأطاع الله فينا زيادة في أعمارهم وأرزاقهم وعمارة لديارهم، والله يقول وقوله الحق ﴿**إلاّ قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي ومتعناهم إلى حين**﴾(٢) وأنتم فيفعل الله بكم كذلك فيكشف عنكم عذابه ويمتعكم بما استخلفكم فيه حيناً طويلاً، فأجيروا من عذاب الله بما قد عرضنا لكم من ثوابه، وبما يوجب لكم حسنى القالة في الدنيا والآخرة، وقرأت عليك السّلام كثيراً طيباً وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وسلّم.

قال الحسين بن أحمد بن يعقوب: وكتب نسخة هذا الكتاب نسخاً إلى وادعة وبكيل ورجع إليه جوابهم بالإسعاف لمسألته من النرسعة في بلدانهم لأهله وذريته، ونهض في أول سنة اثنتين وتسعين وثلثمائة سنة طريق المشرق، فنزل فيه بقرية يقال [لها] مدر لم يأمن مكر الزّيدي بها وغارته عليه، فأرسل لذيبان(٣) فأتوه وطلع بلدهم بمن كان معه من أصحابه، فلما صار بها لم يجد بها علوفة لخيله وخيل أصحابه ولا مستقراً لكفايته، فانحدر الجوف فنزل بوَرْوَر منتظراً لنصر الله، ثم إن الزّيدي أطلق ولديه وابن عمّه من حبسه، وروي أنه عذله في فعله بعض أهل بيته فأطلقهم فوصلوا إليه، وأرسل الزّيدي إليه يَسْأله الصلح والهدنة وتسكين الفتنة فيما بينهما، فقال الإمام عند ذلك: أما أنا فقد ونا(٤) أنصاري ونكث أهل بيعتي وهو يعلم ذلك منهم وليس يحتاج إلى صلحي إلاّ لتستقيم له الرعايا في اليمن باسمي، ولولا أضرفده(٥) إلى صلحة لما رأيت ذلك ولا استحالته، والله المستعان على ما تدفعنا إليه الضرورة والامتحان، وورد إليه الجواب بالإسعاف لمسألته في الصلح، فردّ الزّيدي إليه رسولاً أنه يحب أن يلقاه بريده فخاف الإمام(٦) فلم يسعفه في اللقاء إلى بلد الصّيد فرسما

---

(١) الآية: ٩٠، سورة يوسف.

(٢) الآية: ٩٨، سورة يونس.

(٣) ذيبان: قبيل ووطن في بلاد أرحب «الحجري ١: ٦٥».

(٤) كذا. (٥) كذا ولعله «ولولا اضطر فيه».

(٦) بياض في الأصل.

اللقاء إلى ناحية صيخة[1] في أعلا بلد الصَّيد، وكـان اللقاء في شهـر صفر سنـة اثنتين وتسعين وثلثمائـة ففصل الإمـام عليه السـلام موضـع اللقاء وقـد جمع الصَّيد فكانوا خشية[2] وأنفار من المسلمين ممّن هو ملتزم به ومتمسك بـطاعته قليـلاً، ووصل الـزَّيدي مـوضع اللقـاء ومعه جنـود عظيمـة وعساكـر كثيـرة، وهي في رأي أهل الـدنيا من الـرايات الصّفـر والمظلل فـوق رأسـه البنود[3] من الخز والجباجب[4] والصّنوج والطبول، فخافه الإمام فأرسل إليه الإمام أن يقف في مكانه ويلقاه وحـده إن أراد الصّلاح والسَّـلامة وإلاَّ معـدّ بعساكره، وكان الإمام في مكـان حزبـه بغرقتـه هو ومن معـه، فيصل وحـده على فـرسه ليس معـه إلاَّ خادمـه ورجـل من همـدان، ويصـل الإمـام عليـه السلام من أصحابه، فلقيه عند ذلك وأبدى العزلـة والندامـة، وعرض عليـه كل معرض في الدخول معه فاحترز منه الإمام عليه السـلام، وقال لا أفعـل معك في لقيتنا هذه غير الصلح حتى ننظر في الأمور من بعد، فلما اتفقا[5] على ترك المشاقة سأله الزَّيـدي بعد أن اختلط عسكـره بأصحـاب الإمام أن يجعـل مراحهمـا معاً إلى ريـدة، فأوجب لـه الإمام وراحـا معاً ريـدة، ونزل الإمام بالـدار التي كان ينـزل بها ونـزل الزَّيـدي على رجل من جنـد[6] في أعـلا القريـة وافترقـا من ريدة على الصّلح، فـانقلب الـزَّيـدي اليمن وأخـذ الإمام عليه السـلام على إثره بـلاد بكيل، وقـد كان الإمـام في حال لقيهمـا عرض الزَّيدي على الإمام مخـلاف البون وراوده، ونـزل عليه والـزَّيدي لـه عـون فكره الإمـام عليه السلام: وقال: ولِّ عليـه من شئت، فسألنـا الإمام عليه السلام: لم كره ذلك، قال: كرهت ذلـك لما أتـاني من نكثهم لبيعتي وخيانتهم لطاعتي وميلهم إلى معصية الله ومعصيتي، فلم استحل التعلّق بهم بعـد ما خبـرت منهم ما خبـرت، والحكيم لا يبذر أرضـاً لا تنبت البـذر ولا يزجر من لا يسمع الزجر، فلبث بوَرْوَر أياماً ثم نهض بلد وادعـة فأقـام فيها في بلد بني ربيعـة يعمر بهـا داراً يسكن فيها ابنة عمّه القـاسم بـن عبد الله

---

(١) صيخة: من بلاد الصَّيد «سيرة الأميرين: ٢٢٣».
(٢) كذا «واللفظة بدون نقط». (٣) الأصل «السود». (٤) الجباجب: الطبول.
(٥) نسخة «اصطلحا» من هامش الأصل. (٦) كذا ولعله «جنده».

وجعلها بحلالها، ولأولادها سليمان وعبدالله ويحيىٰ بن الإمام القاسم بن علي، وترك الأمر والنهي وتربّص بالظالمين، وجعل الخيار والطاعة إلى الرعايا لعدم الأنصار، فمن ولّاه منهم دفع إليه زكاته وأعطاه ذلك سعاية أو فضلاً به، ومن كره ذلك وكان متخوفاً عنه لم يسلمه شيئاً.

قال الحسين بن أحمد: وكان يأمل الانتصار على بني المختار بصَعْدة فبايعوه عليه وهدموا حصنه ونهبوا منه، وكان من خولان من بعده آداباً بعصابة من همدان أنه ينصره، وأن خولان يدخل في طاعته وينال من بني المختار في مظلمته فنزل بنفسه على بطون بكيل ووادعة فالتف معه منهم عسكر لا يصل بهم وحدهم شيئاً من بني المختار ولا من أهل صعدة، فجعل طريقه في ناحية بلد شاكر في شرقي صعدة حتى وصل بعسكره ذلك بلد بني مالك بالحقل، وجعل منزله على المدلهم بن الفحيش، وكان في ذلك العصر رئيس بني سعد من خولان، أشار عليه باسان وكان باسان رجلاً صحيحاً ناصحاً للإمام عليه السلام، وطمع بأن الإمام إذا نزل على المدلهم لا يرفع منزله بعذر ويلتزم بنصرته ويكون منزل الإمام عليه عذراً له في طاعته، لأنه كان ممّن خالف على الإمام عليه السلام ودخل مع بني المختار في الخلاف، فلما وصل الإمام عليه السلام هنالك واستقر لم ينفعه منزله على المدلهم، ولم ير الإمام عليه السلام من خولان ما أمل منها من النصرة وروي أن المدلهم رشي بشيء من حطام الدنيا ما صرف قلبه عن طاعة الإمام، فلما رأى الإمام خذل خولان وقلّة الخير فيهم عاد بِعَسْكره ذلك طريقه التي أتى منها وصرف كلاً منهم إلى بلده، ولزم منزله وجعل مقامه حيناً بحصنه في ضيعته بمذاب وحيناً بعيان في منزل أيضاً من منازله كان هنالك داخل بعيان بين بكيل من أولاده جعفر وعلي والحسين كما صيّر أولاده الآخرين ببلد بني ربيعة ولزم التصرّف فيما بين بلد بكيل وبلد بني ربيعة، ولم ينقطع عن أحد من بكيل من الطاعة ولا من بني ربيعة، وأما سائر أهل اليمن فيتصل به منهم من كان مؤتمّاً به وهم القليل، وانقطع عنه من كان رافضاً له أو من أهل الدنيا مشتغلاً بدنياه، فرأى عند ذلك أن افتقد الناس بكتاب لإقامة الحق عليهم وفرّقه إلى بلدانهم:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله لجزيل نعمه علينا وترادف آلائه لدينا أحمده حمد مقر بألوهيته[1] معترف بربوبيته، شاهداً له بالوحدانية والقدم والأزلية، وأنه العدل في جميع أفعاله، والصادق في كل مقالته، والبريء من أفعال العباد، والمتعالي عن القضاء بالفساد، والموصوف بأكرم الصفات والمستدل عليه بأبهر الدلالات، وأشهد أن لا إله إلاّ الله شهادةً لا تعارضها الشكوك، ولا يحملها الاعتقاد المأفوك، وأشهد أن محمداً عبده الأمين ورسوله إلى الخلق أجمعين، وأنه قد أدّى الرسالة وأبلغ في الحجة وأوضح على الله الدلالة، وأن أولى الناس بعده أخوه الذي اختاره أخاً في حياته واستخلفه بعد وفاته علي بن أبي طالب صلوات الله عليه أمير المؤمنين وسيّد المسلمين والقائم بأمر رب العالمين، وأن ولديه السبطين الحسن والحسين ابني رسول الله صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم وذريته، وموضع خيرة الله وعترته، وأن الإمامة في ذريتهما المنتخبين وعقبهما الصّادقين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وبعد يا كافة المسلمين ومن هو من أهل النحلة والدين، فإنا نشكو إلى الله وإليكم أنفسكم وطول غفلتكم، وما قد أضعتم من فرض عظيم عند الله قدره وجليل أمره وثقيل عليكم وزره، فاتقوا الله وأفيقوا من غفلتكم وانتبهوا من نومتكم قبل أن تحل بكم الندامة وتبعد منكم السّلامة، واذكروا ما دعاكم الله إليه في محكم كتابه حيث يقول جلَّ وعلا ﴿**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان**﴾[2] ويقول عزّ وجلّ: ﴿**وأصلحوا ذات بينكم**﴾[3] ويقول: ﴿**وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**﴾[4] ويقول تبارك وتعالىٰ: ﴿**إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى**

---

(١) الأصل «بالأهينة».

(٢) الآية: ٢، سورة المائدة.

(٣) الآية: ١، سورة الأنفال.

(٤) الآية: ٥٩، سورة النساء.

بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به﴾[1] الآية فندبكم الله للنجاة والكرامة، ودلكم على الخير والسَّلامة، فنكثتم بيعتكم مختارين، وملتم إلى هوى أنفسكم مسارعين فأصبحتم لخالقكم مسخطين ومرضين لأعدائه الجبارين، فهل منكم منته من غفلته أو متيقظ من نومته أو مستقيل من زلته أو نادم من خطيئته قبل أن يهجم عليه ما وعد الله به. قال عزّ وجلّ: **﴿أفأمن أهل القرى أن يأتيَهم بأسنا بياتاً وهم نائمون أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون﴾**[2] تعلمون أرشدنا الله وإياكم ونجانا من مضلات الفتن ونجاكم إنكم دخلتم معنا في بدء أمرنا فحمدنا مدخلكم وأرضى الله عزّ وجلّ فعلكم وأرغم جميع الشياطين طاعتكم، ثم فسحتم أنفسكم عنا، أفمللتم طاعة رب العالمين، أذممتم ما دخلتم فيه من الهدى المبين فأصبحتم ببيعتكم ناكثين، وعن المنهج المستقيم ناكصين وليس ذلك بضار لنا ولا ناقض عند الله لدعوتنا، قال الله عزّ وجلّ: **﴿أنما على رسولنا البلاغ المبين﴾**[3] ولولا ما أوجب الله علينا من التذكرة لما ذكرناكم، وما وعد في الموعظة من الثواب لما أوعظناكم، فَرَجونا عن ذلك رجعتكم وتذكرة من هو من المؤمنين بينكم واغتنموا قبولنا لكم ما كنا موجودين وما كنتم لذلك مستطيعين، فإن فعلكم قد وهن الإسلام وأعز دعوة الطغام وأكبَّكم موبق الآثام، فانظروا ماذا تفعلون وبماذا عند الله تعتذرون **﴿وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلب ينقلبون﴾**[4] والحمد لله كثيراً والحمد لله رب العالمين، والسَّلام على عباد الله وأوليائه الصَّالحين وصلّى الله على محمد خاتم النبيين وآله الطيبين.

ولما لزم العزلة والانقباض عن الناس لقلة الموافق وكثرة المنافق تكلم عليه روافضة من الشيعة وأبدوا الطعن في السيرة، فلما بلغه ذلك كتب كتاباً ردّ عليهم دفع به باطلهم وقمع به محالهم وسمّاه «كتاب الردّ على الرافضة» فاستغنينا بشهرته وكثرة وجوده مع الأولياء عن رسمه في كتابنا

---

(١) الآية: ١١١، سورة التوبة.
(٢) الآية: ٩٧ ـ ٩٨، سورة الأعراف.
(٣) الآية: ٩٢، سورة المائدة.
(٤) الآية: ٢٢٧، سورة الشعراء.

هذا، وكان آخر كتاب وضعه من كتب العلوم.

قال الحسين بن أحمد: واعتلّ الإمام صلوات الله عليه واشتدت به علته في سنة ثلاث وتسعين، وكان من حين إلى حين أثقله منها، ونقل منازل أهله من مذاب إلى عيان، وجعل بناته بعيان عند نقله من علته، وكان قد كتب كتاب وصية قبل وفاته إلى أولاده، ورسم فيها كل ما يحتاجون إليه من المعرفة لديونه وما لا يَسْتَغنون عنه من وصيته، وروي عنه صلَّى الله عليه عند ثقله من علته وذلك عند وصول بنات له كن عند أحمد ابن الملاح كان قد أمر يراهنَّ، فقال لبنيه: يا بني إني قد أجدني ثقلت من هذا المرض ولا أظن عند وصول هذه البنات إلَّا أنها قد حضرت الوفاة لأنه يروون[1] في الخبر أنه ما حضرت الوفاة أحداً من النبيين والوصيين والحجج المستخلفين إلَّا حضره أكفانه وساق الله إليه لما يريد الله لغيره من سيرته وما يستحق لديه من تكريمه، فحرج لذلك أولاده وحضور من أهل بيته وقالوا: يا مولانا يبقيك الله لنا ويجعل عمرك طويلاً بعدنا، فقال لهم: ما قضاء الله ففيه الخيرة والتسليم منا لما حكم، وروي عنه صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم أنه ما بدا منه قرب وفاته جزع من شدة علته ولا اختلال من عقله ولا تغيّر من طبعه وحالته، وما زال ثابت العقل حسن القول والفصل حتى فاضت نفسه بغير نزاع شديد ولا كذب[2] جهيد، وكان ذلك صباح النهار يوم الأحد لتسع خلون من شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين وثلاث مئة سنة.

قال الحسين بن أحمد: ففارق الحياة حميد الخلائق حسن الطرائق شريف المذاهب جزيل المواهب واسع الحلم بازغ العلم كاملاً في الصفات جامعاً للخيرات رؤوفاً بالمؤمنين عفواً للمذنبين ساباً للظَّالمين مجتهداً في رضاء رب العالمين زاجراً عن الغي والفساد، داعياً إلى الرشاد، صابراً عن البلوى، شاكراً للنعمى، علماً للقاصدين، هادياً للمهتدين، دامغاً

---

(١) الأصل «يروا».

(٢) كذا ولعله «كدٍّ».

بالحجج للمخالفين، وباذلاً نفسه للمعتفين، يهرب من الدنيا وآثامها، ولا يرغب في شيء من حطامها، توفي صلوات الله عليه فلم يورث ورثته ديناراً ولا درهماً، ولا خلف إلاَّ سلاحه ودوابه وثيابه، وتخلف دين عليه أكثر منها أضعافاً، فصلوات الله عليه ورحمة الله وغفرانه، ولقد أبلغ في هدايتنا ونصحنا وإكرامنا وكنا في حقوقه مقصرين، وفيما يجب علينا [من] فروضه مفرطين، فنسأل الله أن يتجاوز عنا ما فرطنا فيه من حقّه، ويهب لنا ما ضيعنا من لوازمه وفرضه، فمولانا يعلم ما في قلوبنا من محبته، وما وفقنا له من مودته، اللهم فاجعل ذلك سلماً إلى عفوك ووسيلة إلى مغفرتك، اللهم واجعلنا ممّن يدعي يوم حشرك ونشرك بأمانه ويساق في زمرته، ونكون من حزبه وجماعته، وننجو عند الله باتباعه ومحبته، يا الله إنك وعدت بالإجابة من دعاك فأجب دعوة عَبْد موالٍ لأوليائك، مباين معاد لأعدائك، لا يخوض مع الخائضين في تكذيب أئمة الهدى، ولا يفرق بين الدعاة منهم أبدا، وصلّى الله على جميع سادتي، موالي كل النبيين والوصيين، والأئمة المهتدين، وعباد الله الصَّالحين، وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وسلَّم تسليماً، آمين اللهم آمين، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله العلي العظيم، وكان الفراغ من رقمه نهار الربوع في العشر الآخر من شهر ربيع الآخرة سنة ثمانين وألف سنة من هجرته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم تسليماً.

فهرس الأعلام
والقبائل والبلدان

ـ الأعلام ـ

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الظاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الياء

فهرس القبائل

حرف الدال

حرف الراء

حرف السين

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

حرف القاف

حرف الكاف

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

فهرس البلدان - والمواضع

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء


المجلس
الإسلامي


المجلس
الإسلامي